هيئة تكريم العطاء المميز

تأسست ١٩٩٦ - علم وخبر ٥٣/أد/٢٠٠٠

العدد السادس

مجلة معرفة وعطاء

إغتراب

آداب

إجتماع وإنسانيات

علوم وصحة

إقتصاد

حقوق وقانون

تربية

تكنولوجيا

www.OCHDD.org

مجلة معرفة وعطاء

(مجلة ثقافية علمية)

تصدرها هيئة تكريم العطاء المميّز كل ستة أشهر

العدد السادس: كانون الثاني 2023

تعبّر المواد المنشورة في هذه المجلة عن آراء أصحابها و هي على مسؤوليتهم .

هيئة التحرير

تتكون هيئة تحرير مجلة " معرفة و عطاء " من تسعة أساتذة وخبراء في الشأن الثقافي العلمي الأكاديمي ، تناط بهم المسؤوليات التالية :

- وضع خطة العمل للمجلة مع الاشراف على تنظيم وتنفيذ الأمور الفنية .
- اقرار البحوث المعدة للنشر و اعتمادها .
- ادارة التقويم الدوري للمجلة من حيث الشكل و المضمون بهدف تطويرها .
- اقرار الاخراج الفني .

تتوزع الهيئة الحالية على الشكل التالي :

1- رئيس التحرير : د. كاظم نور الدين

2-أمين التحرير : د. حسين ظاهر

3-التدقيق اللغوي : د. درية فرحات

4-التدقيق اللغوي : الأستاذ ماهر الحاج علي

5-الشؤون المالية : الحاج حسيب عواضة

أعضاء هيئة التحرير

6-د. عماد سيف الدين

7-د. سلام شمس الدين

8-الأستاذ يوسف نصار

9-الأستاذ اسماعيل رمال

10- المهندس نبيل مكي

افتتاحية العدد

د. كاظم نور الدين

المعرفة والعطاء

ننطلق في افتتاحيتنا لهذا العدد(السادس) من مجلة " معرفة وعطاء" فنبحث في المفهومين : معرفة و عطاء

المفهوم الأول : المعرفة

1-ما هي المعرفة ؟

المعرفة والمعرفة العلمية بشكل خاص هي تخزينٌ لكميةٍ هائلة من المعلومات التي اكتسبها الفرد خلال مسيرته في الحياة وعند دراسته البحوث العلمية. إنها الإلمام بكلِّ ما يحيط به من مُعتقدات ومفاهيم في مُختلف مجالات حياته العلمية والثّقافية والاجتماعية...

المعرفة هي التصورات والآراء والمعاني والحقائق عن ظواهر الكون، والتي تمّ التوصل اليها بشتى الطرق وخاصة استخدام المنهج العلمي، إنها ذات طبيعة تراكمية تمكن الفرد من التعامل بكفاءة مع المحيط الذي يعيش ضمنه.

ويرى عالم الأحياء "هكسلي" أن المعرفة هي النشاط الذي يكتسبه الفرد من خلال أكبر قدر من معرفته بالظواهر، و يحاول أن يمارس بواسطته الضبط والتحكم في العالم الطبيعي

فالمعرفة إذن هي بناء منظم من الأفكار والتصورات يبدأ في الواقع وينتهي الى تفسيره.

2- أهمية المعرفة

للمعرفة دور بارز في نمو وتطور المجتمعات الذي ينبع في الأساس من تطور الفرد، وذلك في مختلف المجالات، وتتمثل هذه الأهمية في ما يلي:

- تساهم المعرفة في نجاح الفرد وتطوره في الدراسة.
- يمكن للفرد من خلال المعرفة تحقيق ذاته، واكتشاف ما يدور حوله، وتسخير ما ينفع منه لراحته وخدمته.
- المعرفة تمكّن الفرد من السير قدماً و اكتساب المهارات الجديدة.
- يَعتمد تقدّم المجتمعات على المعرفة، سواء في مجال الاقتصاد، أو السياسة، أو العلوم الدنيوية، وكذلك العلوم الدينية وغيرها...
- تعتبر المعرفة المورد الهام بل الرئيسي للكثير من المجتمعات.

3-أنواع المعرفة: تتنوع المعرفة بين :

- المعرفة العملية:هي قدرة الأشخاص على القيام بخطوات معينة تخص عملاً ما أو نشاطاً ما، وترتبط بكيفية أداء هذا العمل أو النشاط ، ويمكن أن نطلق عليها المعرفة الإجرائية، كونها تمثل العمل الواقعي.
- المعرفة الشخصية: هي المعرفة التي تتعلق بالشخص نفسه من خلال الإطلاع أو الإكتشاف، وتشمل كل مايتعلق بالمهارات الفطرية أو المكتسبة، والخبرات الشخصية.
- المعرفة الافتراضية: يطلق عليها معرفة الحقائق، وهي المعرفة التي يمكن التعبير عنها بواسطة المعادلات الرياضية باستعمال الجمل التوضيحية، وعلى هذا الأساس تكون المعارف التي يكتسبها الفرد من الكتب والقراءات والمشاهدات، والتي تقدم إرشادات ومقترحات وطرق تعلّم هي معرفة افتراضية.

4-خصائص المعرفة العلمية: تُبنَى المعرفة العلمية على الأفكار والمعاني التي يتمّ اكتسابها من خلال البحث والتّجريب وتكوّن مجموعةٌ من الخصائص أهمها :

- الموضوعية: هي غياب ذات الباحث، أيّ قدرته على تقبُّل الحقائق كما هي، وليس كما يرغب أن تكون، كما يجب عليه أن يحترس من مُعتقداته ورغباته وثقافته وأيّة أفكارٍ أو استنتاجاتٍ مُسبقَة أو خيالاته وتصوّراته.
- التحقق: تستند المعرفة العلمية على أدلِّة يمكن التّحقق منها، بحيث يمكن للمُدققين ملاحظة الظّواهر والتأكّد منها.
- الحياد الأخلاقي: عدم السماح للقيم بتشويه إجراءات البحث العلمي، ويتمّ تحديد كيفية استخدام المعرفة من خلال القيم المُجتمعية.
- الإستكشاف المنهجي: يختار الباحث العلمي خاصية الاستكشاف المنهجي لخطّة مُحددة للبحث عن مجموعة بيانات وتحليل الحقائق حول المُشكلة، وتتضمّن هذه الخطة اتّباع خطوات محددة ترتكز على صياغة الفرضية وجمع البيانات والتّحقق منها.
- الدقة : تتميّز المعرفة العلمية بالدّقة في المفاهيم والتّجارب والاستنتاجات والفرضيات الصّحيحة، لأن الدّقة هي الأساس الدّاعم في البحث العلمي.
- التجريبية: هذه الخاصية مهمَّة لوجود أشخاصٍ قادرين على التّحقق من البحث العلمي والتأكد من البيانات والمعلومات والمواد والأدوات التي تمّ استخدامها في البحث.
- الواقعية: تقوم هذه الخاصية على مبدأ تتبّع الظّواهر التي نعيش فيها، وتكون بعيدةً عن الخيال.

5-مصادر المعرفة: تتعدد المصادر التي يُمكن اكتساب المعرفة من خلالها، ومن أهمها:

- الحدس: يُمكن اكتساب المعرفة عن طريق الحدس ، حيث تُدرك المعرفة بشكل مباشر وبلمح البصر ودون وعي... ولا تستند هذه الطريقة على المنطق ولكنّها في نفس الوقت لا تتعارض مع العقل، ويعتقد بأنّ الحدس هو لمحات أو ومضات روحانية تأتي عن طريق الإلهام الإلهي أو البصيرة.
- الخبرة : يُمكن اكتساب المعرفة من خلال الخبرة المكتسبة من التجارب الشخصية، حيث تُساعد الخبرة الشخصية الفرد على الإجابة عن الكثير من الأسئلة التي يواجهها في حياته، ويعتمد اكتساب المعرفة من الخبرة على قدرة الفرد وذكائه في التعلم بشكل كبير والاستفادة الجيدة من تجارب حياته.
- الإكتساب والسلطة المعرفية: يُمكن اكتساب المعرفة التي يصعب الحصول عليها عن طريق الخبرة من خلال الأشخاص الذين لديهم السلطة، وهؤلاء الأشخاص هم الذين اكتسبوا الخبرة في مجال معين من مجالات الحياة، فعلى سبيل المثال: يذهب العديد من الناس إلى الأطباء لإكتساب المعرفة الصحية، ويكتسب الطالب من المعلم المعرفة العلمية، ويكتسب الأطفال المعرفة الشخصية من الوالدين...
- الاستنتاج: يُمكن اكتساب المعرفة عن طريق التفكير الاستنتاجي، وغالبًا ما يتبع العلماء والفلاسفة هذه الطريقة للإنتقال من معرفة عامة إلى معرفة خاصة باستخدام الحجج المنطقية التي تتكون من عدة معلومات تستند على بعضها البعض لإستنتاج معلومة جديد معينة، وتُسمى هذه الطريقة بالقياس المنطقي والمبني على عدة فرضيات تنتهي بنتيجة صحيحة.
- التجربة: يُمكن اكتساب المعرفة عن طريق التجربة، وهي طريقة تحتاج إلى الملاحظة واستخدام الحواس لمعاينة الحقيقة من خلال اللمس، والرؤية، والتذوق، والشم، ويستخدم العلماء هذه الطريقة للوصول إلى حقيقة العالم بشكل أفضل.

- المنهج العلمي: يُمكن اكتساب المعرفة عن طريق المنهج العلمي وهي طريقة تدمج بين الاستنتاج والتجربة، بحيث يحصل العالم على المعلومات من خلال التجربة ثم يستخدم هذه المعلومات للتأكد من صحة الفرضيات وتقييمها، ثم يصل إلى استنتاجات مدعومة بحجج منطقية وأدلة واضحة.

المفهوم الثاني: العطاء

1-ماهو العطاء؟

- العطاء لغة: تُعدّ كلمة عطاء مشتقةً من الفعل أعطى، والفاعل منها مُعطٍ، والمفعول به مُعطىً، ومصدرها إعطاءً وعطاءً، وجمعها عطاءات، وجمع الجمع أُعطيات، ومعناها الهِبة، أو ما يُعطى دون مُقابل، وأجزَلُ العطاء هو أوسعه وأكثره.
- العطاء اصطلاحاً: هو إحدى الفضائل الإنسانية التي تعني البَذل والتضحية، ويكون ذلك بعدم التقيّد بحب الذات ، وإنّما حُب الآخرين أيضاً، كما يعني التجرّد من الأنانيّة والتملّك، وتفضيل البذل على الإحتكار، فالمال بالنسية للشخص المِعطاء وسيلة لا هدف، وبالتالي لا تُسيطر عليه الأهواء وحب المال، إنّما حُب مساعدة الآخرين من خلال هذا المال. ولا يقتصر العطاء على ما تقدم إنما يتوزع على كل الميادين ...

2-فوائد العطاء : للعطاء آثارٌ إيجابيّة كثيرة تعود بالنفع على صاحبه، والمُجتمع بشكل عام، ومن هذه الآثار :

أ- يزيد من طاقات الفرد والأمة، ويشحذ الهِمم.

ب- يساعد على كسب المحبّة، والاحترام، والثقة من قِبل الأفراد، والعائلة، والمجتمع، والشعور بالرضى الذاتي، بالإضافة إلى كسب رضى الله تعالى، ونيل الأجر.

ت- يساهم في توسيع آفاق الأمّة لبناء وتنمية مجتمع متماسك، وخَلق نوع من الثقة، والحب، والترابط بين أفراده.

ث- يدفع الى الإنغماس في عمل الخير، والتضحية، ومُساعدة المُستَضعفين، والشعور بلذّة العطاء، الأمر الذي يقي صاحبه من هموم كثيرة تقف عائقاً في حياته.

ج- يجعل الشخص يشعر بعطائه وما يقدّمه من أعمال خيّرة متواصلة.

3-صور العطاء :

للعطاء صور وأشكال كثيرة، فليس من الضروري أن يكون ماديّاً فقط، حيث إنّ للعطاء المعنوي أهميّةً من المال، أو المسكن، أو الملبس... بالنسبة لفئات معينة ، مثل حاجة بعض الناس للحب، والتقدير، والاحترام، والعرفان، والشعور بأنّ لهم دور مهم في الحياة، وهذا ما يُسمّى العطاء غير المنظور...

من أجل أن يشارك الفرد في العطاء تنوعت أبوابه وصوره حسب قدرة كل فرد لأننا كلنا قادرون على العطاء ، فمن لم يقدر على إعطاء المال، فهو قادر على العمل أو تعليم الناس وتدريبهم، قادر على التطوع بجزء من وقته لمساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم ... حتى الكلمة الطيبة عطاء والسماحة والعفو والتنازل عطاء... قادر على نشر معارفه لإقادة الآخرين لأن هذا النوع من الفائدة عطاء.

من أجل ذلك واءمت هيئة تكريم العطاء المميّز بين المفهومين وسارعت الى إصدار مجلة "معرفة وعطاء" لتتيح لكل المثقفين من تقديم العطاءات المعرفية لأجيال المستقبل.

د. ريما محمد يونس

المتعلمون ذوي الصعوبات التعلمية في زمن التعليم من بعد

إن التربية في كل بلد، هي الوجه المشرق الذي نبني عليه مستقبل ابنائنا وتطلعاتهم، فكيف اذا كنا نتكلم عن ذوي الصعوبات التعلمية. فالتحدي في التعليم ليس أن نعمل فقط على دمج هذه الفئة ضمن الصفوف الدراسية، بل أن نجعلهم مواطنين صالحين وفعالين في المجتمع يتمعتون بكافة الحقوق والواجبات.

ان المتعلم بقيمته هو صاحب حق، وحق ذوي الصعوبات التعلمية علينا ليس منة من أحد، بل هو واجب شرعي، قانوني وانساني ومثال على ذلك التشريعات التي أصدرتها الولايات المتحدة الأميركية في الخمسينيات من القرن الماضي، ومنها أنّ حقّ التّعليم مكفول وهو حقّ للجميع وأنّ المساواة والعدالة أمر توجبه كلّ القوانين (البسطامي وفتيحة، 2016؛.(23

فتطبيق القوانين والتشريعات الخاصّة بذوي الصعوبات التعلمية يساهم في تغيير النظرة لهذه الفئة من المجتمع، لما لذلك من أهميّة في حفظ حقوقهم ووقف التّمييز ضدّهم، ونقلهم من العزل إلى دمجهم بشكل كامل مع أقرانهم في نفس النّظام التّعليميّ والاجتماعيّ (البسطامي وفتيحة، 2016؛.(25

وفي ظل الظروف الراهنة التي فرضتها جائحة كورونا، نجد أن المتعلمين ذوي الصعوبات التعلمية وذويهم، يعيشون حالة من القلق والخوف كسائر أعضاء المجتمع الذي ينتابه ارتباك وتخبط، وهذه الأجواء لا تصب في مصلحة أي شخص، فكيف اذا كانت هذه الحالة تجتاح كيان المتعلمين ذوي الصعوبات التعلمية الذين من حقهم علينا أن نؤمن لهم أجواء مريحة ومطمئنة.

من ناحية أخرى، تساؤلات تربوية طرحت وتطرح في زمن التباعد الاجتماعي: هل ستبقى أنظمتنا التربوية على ما هي عليه؟ هل ستختلف عما كانت عليه؟ هل ستجاري التقدم التكنولوجي؟ وما الجدوى من أنظمتنا التربوية اذا لم تأخذ بعين الاعتبار فئة ذوي الصعوبات التعلمية؟

لا يخفى على أحد أن جائحة كورونا، أثبتت حاجتنا لاعادة صياغة مناهجنا الدراسية وبالتالي اعادة تأهيل أنفسنا كمجتمع تربوي، فمجتمع لا يأخذ بعين الاعتبار الفروقات الفردية أو الحاجات التربوية لشريحة من المتعلمين، مجتمع يحتاج الى اعادة تفكر حول الغاية الأساسية التي وجد من أجلها التعليم، فالمتعلم ذو الصعوبات التعلمية لم يعد هذا الكائن الغريب الدخيل في الصف الواقعي والذي أبعد قصرا في زمن التباعد، فأي تمييز يعيق تقدمه التعليمي أو التربوي يجعله يصبح أقل ميلا للإنجاز الأكاديمي، وأكثر توجها للانسحاب من مواقف التنافس التحصيلي والتفاعل مع الأقران، وينمو لديه شعور بالدونية أو بالعجز ، ويؤثر ذلك على توافقه الشخصي والاجتماعي (الزيات ، 1998) ، (الوقفي ، .(1998

ومن يتابع عن قرب بعض التفاصيل اليومية لزمن التعليم والتعلم من بعد، يجد أن معاناة نفسية وجسدية أثقلت كاهل المتعلمين ذوي الصعوبات التعلمية وذويهم في زمن التباعد كما كان الحال قبل ذلك أيضا، بعض المعلمين اعتبروا أن التعلم عن بعد حق من حقوق النخبة من المتعلمين فقط بالرغم من حق كل فرد الانتفاع بالخدمات التربوية التي تساعده على النمو والوصول إلى أقصى مدى تؤهله له إمكانياته (الوقفي ، 2001) ، ويشمل هذا الحق تلك الفئة من المتعلمين ذوي الصعوبات التعلمية بهدف تدريبهم على أن يكونوا مواطنين صالحين عبر اعتماد طرق تعليمية – تعلمية حديثة ، متنوعة وفردية تناسب وضعهم التربوي.

فبناء مجتمع راق لا يمكن أن يكون الا عبر تحقيق المساواة في التعليم، وعليه فان تحديد المبادئ التربوية والأطر والنظم الاجتماعية وتحقيق التنمية الشاملة للمتعلمين عقلياً وبدنياً ووجدانياً ورعايتهم اجتماعياً وصحيا وتنمية مهاراتهم الاستقلاليّة ، أهداف يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار ضمن الصفوف الدراسية في زمن التعليم والتعلم عن بعد ، خصوصا اذا ما طالت جائحة كورونا. فلا شك ان المدرسة تعتبر عنصراً هاماً في حياة المتعلم، ولا بد ان يحتاج أي برنامج تدخل فردي الى معلمين قادرين على التصرف بايجابية وفعالية ويمتلكون القدرة على التفكير النقدي بهدف تدريب ذوي الصعوبات التعلمية على مواجهة مختلف المواقف الحياتية بصلابة وتفكر، وهنا تتضاعف واجبات المعلم ويزيد مجهوده عبر منصات التعليم عن بعد ، لذلك تبقى مصلحة المتعلم طريقاً مشتركاً يجمع المجتمع ككل ، ويبقى الوعي حول موضوع الصعوبات التعلمية هو الوسيلة الاقوى التي تساهم في مساعدة المتعلم على تخطي صعوباته.

فبكل الأحوال صفوفنا الدراسية الحالية التي فرضتها جائحة كورونا، أرست اختلافات جديدة لم تكن بالحسبان، التعلم عن بعد لمن يملك المقومات الاقتصادية والتكنولوجية، بالاضافة الى الاختلافات على الصعيد الشخصي و الاختلافات في المستويات الأكاديمية التي قد تؤدي الى مشكلات الإعادة والتّسرّب المدرسيّ.

فيا أيها المجتمع التربوي :

ان العمل على الشق الأكاديمي بأقل ضغط نفسي وجسدي وترتيب الأوليات التربوية واختيار الأهداف الي يمكن تقديمها عبر منصات التعليم من بعد مع النظر في الأهداف الموضوعة مسبقا، واجب على المعنيين في عالم التربية والتعليم بهدف التركيز على النوعية المعطاة وليس على الكمية، وكل ذلك يساهم في الدعم النفسي وتطوير مهارات المتعلمين ذوي الصعوبات التعلمية بهدف اندماجهم في مجتمعاتهم بشكل طبيعيّ، كما أن تدريبهم على

المكونات الجديدة لعملية التعلم عن بعد من الأهداف الواجب العمل عليها حاضرا ومستقبلا ومنها:

-تطوير البرامج الوقائيّة وطرائق التّدريس والوسائل والأدوات التّعليميّة.

-مساعدة الأنظمة التّربويّة على تطوير البيئات المدرسيّة وتعديلها بما يتناسب مع حاجات هذه الفئات.

تطوير منظومة متكاملة من البيانات والمعلومات والمناهج وما تتضمّنه من تمايز في التّعليم والتّقويم والتّغذية الرّاجعة.

-تطوير اتّجاهات أفراد المجتمع وتطوير شبكات الدّعم والتّواصل لنشر ثقافة قبول الآخر المختلف ودعمه.

(البسطامي وفتيحة، 2016)

وأخيرا وليس أخرا، ان التعليم المنصف لجميع المتعلمين على حد سواء هوما نأمله من التغيرات التي ستحصل بعد زوال هذا الوباء الذي رفع الغطاء عن أوبئة تربوية تتغلغل في مجتمعنا التربوي، ولا ننسى أن تقرير المراقبة العالمي، أوصى بأنّ تستمرّ جميع الحكومات في التّعليم كميسّر لعمليّة التّنمية الشّاملة ومن هنا نطرح الإشكالية التالية: بعد زوال جائحة كورونا ، هل سيكون للمتعلم ذي الصعوبات التعلمية نصيب ضمن الخطة التربوية المستقبلية؟

د. علي حجازي

دموعُ حفيدي تحبّرُ أوجاعَ الوطن* (قصّة قصيرة)

بعد تلك الجولة القصيرة برفقة حفيدي في سيارتي التي شارف وقودها على النفاد، عدتُ خالي الوفاض لا ألوي على شيء سوى الخيبات المرَّة ، وما أكثرها في هذا البلد ! فطوابير الذلّ الطويلة أمام محطات الوقود والأفران والصيدليات والمطاحن وغيرها أدخلت إلى روحي مشاعر النقمة، فجلستُ افكِّر . قل كنتُ ساهمَ الطرف، الأفكار تتقطّع في ذهني المشوش تقطّعَ الحبال والأوصال في هذا الوطن الغارق في أزماته المتراكمة على مدار الدقائق والساعات، وفي هذا الزمن الذي ألغتْ فيه الكورونا أسباب التواصل والتراحم والتوادّ، فالسلام لم يعد مصافحةً، والقبل التي كنّا نتبادلُها ألغيت من قاموس التعبير عن الشوق والمحبّة .

كانت حدقتا حفيدي ابن السنوات التسع مصوّبتين إلى وجهي المحتقن، إلى خطوط الطول والعرض المرتسمة عليه، والتي حفرت عميقاً فيه وسأل:

–جدّي ما بك أأنت بخير؟ إنّني أرى الحزن في عينيك، بمَ تفكّر الآن؟

– أفكِّر في الكتابة التي أضحت عديمة الفائدة ، وغير مجدية في بلد تبلّدت فيه مشاعر ساكنيه حتى بات واحدهم شبيه ضفدع أُلقوا به في قدر ماء فوق نار ، الحرارة ترتفع وهو متمسِّك بحبال الصبر ، ولا يتّخذ قراراً بالقفز والنجاة من موت محتّم، كان عليه الإسراع في معالجة الأمر ، في الانقلاب على واقع سيء ومصير محكوم بالموت.

حتى الكتابة لم تعد مفيدة، ولا توفِّر لنا حلاً، قل أصبحت تسجيلاً لواقع مشفّ في وجعه ، تقرؤه الأجيال القادمة فتشتم وتسبّ وتلعن و...

–ونحن متى نشتم ونسبّ ونلعن ؟

ابتسمت ابتسامة مغتصبة وأردفت:

–متى تعود خائباً لا تلوي على تأمين حاجة من حاجاتك اليومية.

–عندما لا تجد رغيف خبز ، وعلبة دواء ، وحليباً لطفلك وحفيدك المولود حديثاً.

–وعندما تعلم أنّ بدل ساعة المراقب، مراقب القمار في الكازينو تفوق بدل ساعة الأستاذ الجامعي بعشرة أضعاف، ولعلمك أنّ الأستاذ الجامعي الذي أمضى ثلاثة عقود من عمره في سبيل الحصول على أعلى شهادة جامعيّة يحضّر ويشتري المصادر والمراجع اللازمة للمادَّةِ التي يُدرّسها ، بعد تكبّده عناء السفر، ومشقة الانتقال إلى الجامعة بسيارته في ظلّ هذا الارتفاع الجنوني للمحروقات، فضلاً عن الانقطاع المتواصل لها كما ترى.

عندما تبصر أطباء ومهندسين وممرضات وممرضين وأساتذة جامعيين مودَّعين مغادرين إلى بلاد لم تُنفق على تعليمهم وتربيتهم قرشاً واحداً، ومع ذلك فهي تفوز بهم وبمؤهلاتهم ، وبما يملكون من معارف وخبرات.

عندما تعلم بموت الأستاذ بشار عباس الذي أصيب بسكتة قلبيّة بعد خروجه من المراقبة في ثانوية الغبيري الرسميّة.

هذا الشهيد الذي أحسّ، من دون شك، بالآلام الصدريّة التي تواكب الذبحة عادةً، غير أنّه فضل إنجاز مهمّته التربويّة والإنسانيّة فكانت الكارثة.

عندما تبصر أساتذة أنجزوا مهمّة المراقبة في الامتحانات الرسميّة، أو الانتخابات النيابيّة واقفين طابوراً، ساعات طويلة، بقصد قبض المبلغ الزهيد المخصَّص لهم بدل أتعابهم. والذي يدفعه لهم موظّف كان تلميذاً في المدرسة التي يدرّسون فيها، بل في المدرسة التي درسّته فيها الأديبة الأستاذة رائدة التي ساءها تجاهله لها، فبعد دفع المبلغ لها قال:

اللي بعدا (بعدها) فرشقته بنظرة عاتبة وخرجت تشتم هذا الزمن الحقير .

عندما تقرأ وصيّة الشاعر الأديب الأستاذ مصطفى التي نشرها على صفحته يعلن فيها:

"لا تزوروا قبري الذي لا يحوي سوى رميم عظامي، بل تذكّروا كتاباتي ومواقفي ... وهو ينعى نفسه بعد قصيدة كتبها أو قصة نشرها منتقداً المسؤولين الذين اوصلونا إلى هذه الحال التي لا يرثى لها

–وعندما تبصر سيف السلطان يكسر قلم هذا الأديب وذاك الشاعر، ويريق دم محابرهم وعندما وعندما...

–جدّي اتسمح لي بورقة وقلم ؟

– بالطبع، لك ما تريد يا حبيبي، ولكن ما حاجتك إلى الورقة والقلم؟

–أريد كتابة قصّة

–أأنت ترغب في ذلك!

–نعم

بعد وقت قصير غادر حفيدي المكتب، وهو يغطي عينيه الجميلتين بكفيّه الواعدتين.

أسرعت إلى الورقة، وقبل قراءة ما فيها أبصرت دموعاً نديّة لم تستطع الورقة امتصاصها، فأطلقت تنهيدةً طويلةً لم أشأ له أن يسمعها، وهمست:

"أتبكي الآن يا حبيبي، قد يهون العمر أمام دموع طفل يافع" قلت ذلك وشرعت أقرأ ما كتبه، ولكم كانت دهشتي كبيرة عندما وقعت على لغته الجميلة، وجمله المترابطة، وأفكاره الجديدة، كلّ هذا البهاء في هذه القصّة جعلني أبصر قطرات من دمع شفيف مرتسم على أهدابي.

لا شكّ في أنكم ترغبون في معرفة ما كتب حفيدي؟

لا لن أقرأ لكم كلّ ما خطّته أنامل طفل أبصر توّاً مشاهد يشيب لقساوتها الأطفال. حفيدي حبّر بدموع نديّة أوجاع جدّه الخائف ، نعم، أنا الآن خائف، فلا تندهشوا من صراحتي، لأنني أقتدي بقول الرسول الأكرم (ص): أولادكم "مجبنةٌ مبخلة" وهو، حماه الله، شجاع لأنّ دموعه حفرت على ورقة لن أعطيها لأيّ واحد منكم، بل سأحتفظ بها أيقونة نادرة. لقد سجّل أسماءً وكنى وألقاباً. لقد سمّى اللصوص بأسمائهم، وما لفتني أنّه يعرف اسم المتحكم بالمال والرقاب، وأسماء عصابة جمعية المصارف ورئيسها، وأسماء القائمين على كارتيلات النفط والغاز والدواء وحليب الأطفال والطحين.

يا إلهي من أين له كلّ هذه المعلومات ؟إنّه يخاطبهم بكلام مباشر:يا لصوص ألا تشبعون ؟

لا أخفي عليكم إنّني أخاف على حفيدي، أخاف عليه من جرأته، من سواطير الأزلام والمنتفعين والتابعين، أخاف عليه من الزعران .

توقّفت قليلاً وشرعت أفكّر في أمر هؤلاء المسؤولين الواردة أسماؤهم في هذه القصّة المغرقة في واقعيتها وقلت هامساً: "إن لم يسارع هؤلاء إلى معالجة هذه الأوضاع المتفاقمة، والتي أضحت لا تطاق قد يذهبون سحقاً تحت أقدام هذا الجيل الشجاع جيل حفيدي الذي حفر أسماءهم وألقابهم في صميم جيناته الوراثية ، لينقلها مشفوعة باللعنات التي صبّها عليهم وعلى أولادهم وأحفادهم والذراري كما صبّها على هذا الزمن وعلى الساكتين عن سرقات موصوفة ، وجرائم وصفقات مشبوهة يندى لها الجبين إلى أبنائه وأحفاده وأحفاد أحفاده .

"يا الله هو يجرؤ على قول ما لا أقدر على البوح به أنا الآن، ذا لأنني أخاف عليه، خوف جدّي على أبي وخوف أبي عليّ من بطش الأزلام المتحكمين آنذاك.

أغمضت عيني ورحت استعيد أيام الشباب الأوّل، حيث كنّا نكتب شعارات على الجدران، ونسمّي المسؤولين واللصوص بالأسماء. ما الذي جرى لنا نحن الآن؟ أيتوجب علينا أن نعود أطفالاً لنسمّيهم بأسمائهم ؟

يا الله ما أجمل الطفولة (همست)

بل ما أجمل توقيع حفيدي في خاتمة القصّة

(الأديب الشريف)

غادرت المكتب الذي وضع عليه قصَّتَه وتوجّهت إليه، احتضنته بشوق كبير، وزرعت قبلة في جبينه العالي وقلت له :

حبيبي، اللعن والشتم والسب حرام في الدين

نظر إليّ وقال:

–أحلال ما يفعله هؤلاء اللصوص الناهبون في حاضرنا ومستقبلنا؟

قبّلته ثانية وثالثة وقلت له:

لك ما تشاء فلا تبدّل في قصتك حرفا يا حبيبي الأديب الشريف والجريء، لك قبلاتي مع دعائي إلى الله أن يحميك ، ويكتب لك السلامة والنجاة والتوفيق والنجاح ، بإذن الله، بإذن الله يا حبيبي

الحاج حسيب عواضة

العلم والتجربة الشخصية

العِلم هو النبراس الذي تضاء به الظلمات ، وهو الراية التي ترشد إلى خير الإنسان . وقد قال الله في كتابه الكريم: " وقُلْ ربِّ زدني علماً". وقال الرسول (صلعم): "العلم فريضة على كل مسلمٍ ومسلمةٍ"، ومن يسلك في طريق يريد به العِلم يسير ويسهّل الله له ذلك. كما قال: "إنّما بُعُثتُ مُعَلِّما" لأنه كان حريصاً على تعليم أصحابه لإدراكه بمكانة العِلم وأهميته في نهضة الأمم وتطورها .

ومثال على تأكيد ذلك، بعد غزوة بدرٍ الكبرى ووقوع عدد من قريشٍ في الأَسِر، قرّر الرسول الكريم أن يكون فداء المتعلم منهم أنّ يعلم عشراً من أصحاب الرسول القراءة والكتابة بدلاً من أن يُفدى بالمال، وكان يحث أصحابه على تعلم لغاتٍ أخرى لأنّ من عرف لغة قومٍ أمِن شرّهم وأذاهم.

1- أهمية العلم

ساهم العلم في اكتشاف خاماتٍ وتقنياتٍ جديدة على مدى التاريخ، وتنوعت التقنيات التي أنتجتها ولا زالت تُنتجها العلوم المختلفة، والتي أدّت بدورها إلى تطوير اختراعاتٍ مختلفةٍ استُخْدِمَت في إنتاج البضائع التي تُسهِّل حياة البشر وترفع من رفاهيتها. وعليه فإنَّ العلم يُعدُّ أساس التكنولوجيا التي دخلت في تفاصيل حياة الإنسان، كالمُنبِّهات الإلكترونية، ونشرات الطقس، ووسائل النقل، والشوارع، وطرق الطهي المختلفة، ووسائل الاتصال، والمضادات الحيوية، والمياه الصالحة للشرب، ...

أ- أهمية العلم على مستوى الفرد

- تحسين مستوى معيشة الفرد إذ تَكمُن أهمية العلم في كونه حجر الأساس للكثير من التطبيقات العملية التي تساهم في توفير حاجات البشر الأساسية وفي تحسين مستوى معيشتهم.
- ساهمت العلوم المختلفة وما أنتجته من تكنولوجيا في جعل حياة الفرد أسهل؛ كالتقنيات المستخدمة في تبريد وتسخين الهواء والأغذية، كالمكيّفات الهوائية، والثلاجات، وأجهزة الميكروويف، وغيرها من المنتجات.
- يوفر العلم حياة صحية كونه أسهم في اكتشافاتٍ عديدةٍ في مجال الصحة والعلاج، وقد ساعد البشر على عيش حياةٍ بعيدةٍ عن الألم لكثيرٍ من الأمراض، وبالإضافة إلى أن الاكتشافاتُ العلمية قد وفَّرت الأدويةَ المختلفة للأمراض، فإن لها دورٌ مهم في توفير الماء والغذاء الصالِحَين لاحتياجات الأفراد الأساسية.
- يساعد العلم في التخلص من البطالة والفقر فيلعب المستوى التعليمي للأفراد دوراً أساسياً في حياتهم الوظيفية ، لأنه كلما ارتفع المستوى التعليمي للفرد زادت فرص العمل له، وقل الوقت اللازم للحصول على هذه الفرص. كما أنَّ الأجر الذي يكسبه من عمله يتفاوت حسب الدّرجة العلمية المكتسبة، وبالتّالي يمكن القول بأن العلم يساعد في رفع الإنفاق الاستهلاكي للأفراد في المجتمع.

ب-على مستوى المجتمع: تبرز أهمية العلم على مستوى المجتمع على الشكل التالي:

- العلم يبني المجتمعات القوية المتماسكة المكتفية ذاتياً ،المعتمدة على نفسها في تعليم أبنائها للحصول على جيلٍ متعلمٍ واعٍ مثقفٍ يستطيع التقدم بالمجتمع اقتصادياً وصناعياً وحضارياً.
- العلم جزء من حضارة المجتمع، وهو الوسيلة الوحيدة للتغلب على المشاكل التي تواجه المجتمع: على الصعيد الاجتماعي والبيئي والطبيعي. إذ أن ارتفاع عدد المتعلمين في المجتمع يخفف من معدّل الجريمة والمشاكل الناتجة عنها كما يخفض معدل التسول وعمالة الأطفال والمراهقات، والمشاكل الاجتماعية الأخرى، والظواهر السلبية في المجتمع...
- العلم يحمي المجتمع من سيطرة الأفكار والأكاذيب المضللة لأبناء المجتمع من فئات تريد الشر لأهداف مرجوّة.
- بالعلم يحقق المجتمع الريادة في العلوم والصدارة في مراكز القوة والمال والأعمال ويصبح من الدول الأكثر تقدماً في العالم.

يمكننا القول في اهمية العلم أنه منير الظلمة، وكاشف الغمة، وباعث النهضة، هو سلاح لكل فرد ولكل مجتمع يريد أن يتحصّن ويهابه العدو، وهو أساس سعادة الفرد، ورفاهية المجتمع ورخاء الشعوب... وقد حثّ الله سبحانه وتعالى على طلبه لما له من أثر فعّال، ونفع كبير وقد قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: (اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذي علّم بالقلم* علّم الانسان ما لم يعلم). وقد حض النبي صلى الله عليه وآله وسلم على طلب العلم، فقال صلى الله عليه واله وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)، وما نشاهده اليوم من المصنوعات والمخترعات الحديثة من سفن فضاء، وصواريخ عابرة للقارات، وطائرات

أسرع من الصوت، ومنها من دون قائد، وقمر صناعي، وعقل الكتروني، وغير ذلك من المخترعات الحديثة التي خدمت الإنسان المعاصر، كل ذلك دليل ظاهر، وبرهان ساطع، يشير إلى منزلة العلم وأثره على البشرية.

كذلك قال الشاعر: العلم يرفع بيوتا لا عماد لها

والجهل يهدم بيوت العز والكرم

2- فوائد العلم: للعلم فوائد كثيرة نذكر منها:

- يوسع مدارك الفرد وقدرته على الفهم والإدراك والاستيعاب والتحليل والنظر إلى الموضوع أو القضية من أكثر من زاويةٍ.
- يكسب الفرد الاحترام الذاتي والاحترام والتقدير والمهابة من قبل الآخرين
- يرفع درجة الانسان وقد جاء في القرآن الكريم: " يرفع الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات"(سورة المجادلة الآية 11)
- العلم ينير العقل ويهدي إلى الحق والصواب إذا استخدم في الخير وقُصِد به النفع للنفس وللناس.
- يساعد في كسب الرزق والحصول على الوظيفة الملائمة الثابتة في القطاعين العام والخاص.
- يسهل الحياة على الفرد ويُسيّر كل شيءٍ لخدمته من الطبيعة والتكنولوجيا فيصبح بمتناول يديه.

وأخيراً لارتباط العلم بالتجربة سأختم بما علمتني الحياة من خلال تجاربي الشخصية

1-التجارب الحياتية

- التجارب تنمّي المواهب، وتمحو العيوب.
- تزيد البصير بصراً، والحليم حلماً.
- تجعل العاقل حكيماً، والحكيم فيلسوفاً.
- تشجع الجبان، وتسخي البخيل.
- التجارب لا تقرأ في الكتب ولكن الكتب تساعد على الانتفاع من التجارب. وهنا أتذكر قول الشاعر:

لقد زدتُ بالأيامِ والناسِ خبرةً

وجربتُ حتى هذبتني التجاربُ.

- الناس متفاوتون في حكمتهم، ليس بقياس تجاربهم، ولكن بقياس استيعابهم لهذه التجارب(أخذ الدروس من هذه التجارب).
- لا علاقة للزمن بالنضج، نحن نكبر من خلال التجارب.
- لا نحب حين نختار ولا نختار حين نُحب.
- أننا مع القضاء والقدر حين نولد وحين نحب وحين نموت.
- علمتني التجارب أن جزءاً كبيراً من سعادتنا أو من بؤسنا يعتمد على خياراتنا وليس على ظروفنا.
- الحياة تعلمنا الحب، والتجارب تعلمنا من نحب، والمواقف تعلمنا من يحبنا (الصديق وقت الضيق).
- عندما نكون في أنقى حالاتنا الذهنية وأصفاها، نكون مبدعين لأفضل أشكال حياتنا.

- عندما نُفكر بأفكار جيدة، نشعر بأحاسيس جيدة، وعندما نشعر بأحاسيس جيدة، نقوم بخيارات جيدة ونستجلب المزيد من التجارب الجيدة إلى حياتنا.
- الحياة تجربة ومع التجارب يتطور الإنسان. لا شيء يمكن له أن يحدث صدفة، إنّه مزيج من التجارب والمعلومات.

2-عبارات عن التجربة والمعرفة

- ليست العظمة في أن لا تسقط أبداً، العظمة أن تنهض كلما سقطت.(ليس العار اذا فشلنا بل العار أن نبقى حيث فشلنا لأن في ذلك تجربة وعلينا ان نستفيد من هذه التجربة).
- إذا أردت أن تنجح في حياتك فاجعل المثابرة صديقك الحميم، والتجربة مستشارك الحكيم، والحذر أخاك الأكبر، والرجاء عبقريتك الحارسة.
- يولد العقل كصفحة بيضاء، ثمّ تأتي التجربة لتنقش عليه ما تشاء.
- المعرفة وحدها لا تكفي، لا بدّ أن يصاحبها التطبيق (الاختبار والتجربة).
- ليس مهم كم أن نظريتك جميلة وكم أنك ذكي، ما دامت النظرية لا تتفق مع التجربة فهي خاطئة.
- الاختبار هو معلم كل الأشياء، والحياة عبارة عن سلسلة من الدروس التي يجب أن تعاش لكي تُفهم.
- في المدرسة يعلمونك الدرس ثمّ يختبرونك أمّا الحياة فتختبرك ثمّ تعلمك الدرس.
- الشخص الذي لا يرتكب أيّ أخطاء لم يجرب أيّ شيء جديد (غير موجود).
- الاختبار معلم أخرس، ومن لم يجرب فلن يعرف مقدرته.
- أيّ شيء يمكنك القيام به، أو تحلم بالقيام به، ابدأ به، فالمعرفة ليست المعلومات، ومصدر المعرفة الوحيد هو التجربة والخبرة.

- **الحكم السليم هو نتيجة التجربة، والتجربة تكون ناتجة عن حكم خاطئ.**
- **لا يمكنك خلق التجربة، عليك اجتيازها، فالحلول الحقيقية لمشاكل الناس لا يمكن أن تكون بتكرار تجارب الآخرين.**
- **انظُر إلى العَالم مِن الداخل، تكُن فناناً، و انظر إليهِ من الخارج، تكُن عَالِماً، وانظر إليه من الباطِن، تكُن شاعِراً، و انظر إليهِ من الظاهِر تكُن من أهل التجربة والعِلم.**

د. عباس فتوني

تصويبات لغوية(الجزء الثالث)

1- الخَطأُ أَنْ نَقولَ: ياليتَنا كُنَّا مَعكمْ *فنَفوزُ* أَو *فنَفوزْ* فَوزًاعظيمًا .

(فنَفوز: بضَمِّ الزَّاي أَو تَسْكينِها)

الصَّوابُ: يا ليتَنا كُنَّا مَعكمْ *فنَفوزَ* فَوزًا عظيمًا .

(فنَفوزَ : بفَتحِ الزَّاي)

الفاءُ السَّبَبِيَّةُ تَنصُبُ الفِعلَ المُضارِعَ بأَنْ مُضمَرةٍ وُجوبًا بَعدَها .وهي تأْتي بَعدَ النَّفْي أَو الطَّلَبِ .

الطَّلَب: يُرادُ بهِ: الأَمر، النَّهي، الاستفهام، التَّمَنِّي، التَّرَجِّي، العَرض، والتَّحضيض .

نَحْو :

-ليس لِلغولِ حَقيقةٌ *فنَخافَ* مِنْهُ .

-لَعلَّكَ تُحْسِنُ اختيارَ الكلامِ *فتَحوزَ* إعجابَ السَّامِعينَ .

" -يا ليتَني كنتُ معَهمْ *فأَفوزَ* فوزًا عَظيمًا". (سورة النساء - الآية 73)

" - فلو أَنَّ لنا كَرَّةً *فنَكونَ* مِنَ المُؤْمِنينَ"(سورةالشُّعراء الآية 102)

2- الخَطأُ أَنْ نَقولَ: قالتِ السَّيِّدةُ زينبُ بِنتُ عليٍّ (عليهِما السَّلامُ) لِوالي الكوفةِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زيادٍ: "أُنظُرْ لِمَنِ *الفَلَجُ* يَومَئِذٍ ".

الفَلَجُ: بفَتحِ الفاءِ واللَّامِ

أَو: "أُنْظُرْ لِمَنِ *الفِلْجُ* يومَئِذٍ."الْفِلْجُ*: بكَسْرِ الفاءِ

الصَّوابُ: "أُنْظُرْ لِمَنِ *الفَلْجُ* يَومَئِذٍ ".

الفَلْجُ: بفَتحِ الفاءِ وتَسكينِ اللَّام

أَو: "أُنْظُرْ لِمَنِ *الفُلْجُ* يَومَئِذٍ .

الفُلْجُ: بضَمِّ الفاءِ وتَسكينِ اللَّام.

* الفَلْجُ* و *الفُلْجُ*: الفَوزُ والظَّفَرُ.

* -الفَلَجُ*: أَي:

-الإِصابةُ بالفالِجِ.

-الصُّبح .

-اِنقلابُ القَدمِ على الجانبِ الأَيمَنِ ، وزَوالُ الكَعب.

-النَّهرُ الصَّغير.

-القَمَر.

* -الفِلْج*: أَي:

-النِّصف .

-الصِّنفُ مِن النَّاسِ.

3-الخَطأُ أَنْ نَقولَ : قَدْ قَتَلْنا *القِرْمَ* مِنْ ساداتِهِمْ وعَدَلْناهُ ببَدرٍ فاعتَدَلْ.

القِرْم: بالقافِ المَكسورةِ أَو المَضمومةِ.

الصَّوابُ :

قَدْ قَتَلْنا *القَرْمَ* مِنْ ساداتِهِمْ وعَدَلْناهُ ببَدرٍ فاعتَدَلْ.

القَرْم: بالقافِ المَفتوحةِ.

* – القَرْم*: أَي:

–السَّيِّد .

–العَظيم.

* –القُرْم*: نَبتٌ كالدُّلبِ في غِلْظِ ساقِه وبَياضِ قِشْرِهِ، يَنبُتُ في جَوفِ البَحرِ.

* –القِرْم*: غيرُ موجودٍ في اللُّغةِ العَربيَّةِ.

4–الخَطأُ أَنْ نَقولَ: الحَقُّ يُؤْخَذُ *عُنْوَةً*

عُنْوَة: بالعَينِ المَضمومةِ، أَو: المَكسورةِ.

الصَّوابُ: الحَقُّ يُؤْخَذُ *عَنْوَةً*

عَنْوَة: بالعَينِ المَفتوحةِ.

–عَنا الشَّيْءَ *عَنْوَةً*: أَخَذَهُ قَهْرًا، قَسْرًا، كَرْهًا، بالقُوَّةِ .

نَحْو :

–أُخِذَ *عَنْوةً*

–أَخَذَ الطِّفلَ *عَنْوةً*

–أَخَذَ اللِّصُّ المَسروقاتِ *عَنْوةً*

–أَدْخَلَهُمْ *عَنْوَةً* في مَنظومةِ الفَسادِ.

–أَنزَلَ الرُّكَّابَ *عَنْوَةً*

–فَتَحَ البابَ *عَنْوَةً*

–دَخلَ المَكانَ *عَنْوةً*

–حَصَلَ على شَيْءٍ *عَنْوةً*

–قال الشَّاعرُ أَبو الحَسنِ عَليُّ بْنُ حَمَّادٍ العَبْدِيُّ البَصْرِيُّ :

بأَبي زَينبٌ وقدْ سُبِيَتْ مِنْ

خِدْرِها *عَنْوَةً* كسَبْيِ الإِماءِ .

–وقال آخَرُ :

ذَهَبَ الزَّمانُ بِأُنْسِ نَفْسِي *عَنْوةً*

وبَقِيتُ فَردًا ليس لي مِنْ مُؤْنِسِ.

5– الخَطأُ أَنْ نَقولَ: *سَواءً* أَوُقِّعَ الاتِّفاقُ أَمْ لَمْ يُوَقَّعْ.

سَواءً: بِتَنوينِ الفَتْحِ

الصَّوابُ: *سَواءٌ* أَوُقِّعَ الاتِّفاقُ أَمْ لَمْ يُوَقَّعْ.

سَواءٌ: بِتَنوينِ الضَّمِّ.

* –السَّواءُ*: المِثْلُ. لا اخْتِلافَ بَيْنَهُما .

* –سَواءٌ*: تُعرَبُ بحَسَبِ مَوقِعِها في الجُملةِ؛ فإذا جاء بَعدَها اسْمٌ أَو فِعلٌ مَسبوقٌ بهَمزةِ التَّسويةِ، فإِنَّها تُعربُ خَبرًا مُقدَّمًا، والجُملةُ بَعدَها في مَحلِّ رفعِ مبتدَأٍ مؤَخَّرٍ . ونَستطيعُ أَنْ نَحذِفَ هَمزةَ التَّسويةِ أَيضًا.

نَحْو :

* –سَواءٌ* علَيَّ قُمْتَ أَو قَعَدتَ.

–الماءُ حَياةٌ، *سَواءٌ* أَقَدَّمْتَهُ في أَكوابٍ مِنْ ذَهَبٍ أَمْ فَخَّارٍ.

–المُتَحَوِّرُ الجَديدُ قادرٌ على الانتِشارِ بَيْنَ النَّاسِ ، *سَواءٌ* أَكانوا مُحَصَّنينَ باللَّقاحاتِ أَمْ تَعافَوْا مِنْ مَرضِ "كورونا."

" –إِنَّ الَّذينَ كَفَروا *سَواءٌ* عليهِمْ أَأَنذَرتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنونَ". (سورة البقرة الآية 6).

" –سَواءٌ عليكُمْ أَدَعَوْتُموهُمْ أَمْ أَنتُمْ صامِتونَ". (سورة الأعراف الآية 193).

" –سَواءٌ علينا أَجَزِعنا أَمْ صَبَرنا". (سورة ابراهيم الآية 21).

" –سَواءٌ علينا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الواعِظينَ". (سورة الشعراء الآية 139).

" –فاصبِروا أَوْ لا تَصبِروا *سَواءٌ* عليكُمْ". (سورة الطور الآية 16).

*" -سَواءٌ * مِنكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَولَ ومَنْ جَهَرَ بهِ". (سورة الرعد الآية 10).

6- الخَطأُ أَنْ نَقولَ: كَرَّتِ *السُّبَّحَةُ*، أَو *المَسْبَحَةُ*
السُّبَّحَةُ: بالباءِ المُشَدَّدةِ المَفتوحةِ.

الصَّوابُ: كَرَّتِ *السُّبْحَةُ*
السُّبْحَةُ: بالباءِ السَّاكنةِ.
* - السُّبْحَةُ*: خَرَزاتٌ مَنظومةٌ في سِلْكٍ لِلتَّسبيحِ أَوِ السَّلْوى .وهيَ كَلِمةٌ مُوَلَّدةٌ.
جَمعُها: سُبَح وسُبُحات.
نَحْو :
* -سُبْحَةٌ* مِنَ العاجِ.
-لا يُفارِقُ *السُّبْحَةَ*
-أَهداهُ *سُبْحَةً*
-ما اسْمُ الأَميرِ الَّذي أَبْرَقَ مِنَ الجَوِّ يَطلُبُ *سُبْحَتَهُ* الَّتي نَسِيَها في موريتانيا؟
-دُعاءُ الافتِتاحِ *كالسُّبْحَةِ* يَنبغي أَنْ لا تَنقُصَ منه حَبَّةٌ.

7- الخَطأُ أَنْ نَقولَ: وَضَعوا *الغِلَّ* في يَدِهِ .
الغِلّ: بالغَينِ المَكسورةِ.
الصَّوابُ: وَضَعوا *الغُلَّ* في يَدِهِ .
الغُلّ: بالغَينِ المَضمومةِ.

* – الغُلُّ*: طَوْقٌ مِنْ حَديدٍ أَو جِلْدٍ يُجعَلُ في العُنُقِ أَو في اليَدِ في الأَسرِ والحَبْسِ.

الجَمع: أَغلال .

نَحْو :

قال الشَّاعرُ الشَّيخُ حَسنٌ البَهبهانيُّ :

القَيْدُ في رِجْلِهِ و *الغُلُّ* في يَدِهِ ولِلْعَباءَةِ شَأَنٌ أَعظَمُ الشَّانِ.

* –الغِلّ*: الحِقد؛ العَداوة؛ الغِشّ .

نَحْو :

" –ونَزَعنا ما في صُدورهِمْ مِنْ *غِلٍّ*

(سورةالحِجْرالآية 47) و (سورة الأعراف الآية 41).

–تَصافَحوا يَذْهَبِ *الغِلُّ.*

* –الغِلُّ* مَوجودٌ في قَلْبِهِ.

–أَكْرَهُ *الغِلَّ.*

8– الخَطأُ أَنْ نَقولَ: كانتْ *تَجْرُبَةً* ناجِحَةً.

تَجرُبة: بِضَمِّ الرَّاءِ.

الصَّوابُ: كانتْ *تَجْرِبَةً* ناجِحَةً .

تَجرِبة: بِكَسرِ الرَّاءِ.

* –التَّجرِبةُ*: الاختبار .

الجَمع: *تَجارِب*

نَحْو :

–شِعرُه تصويرٌ *لِتَجارِبَ* وِجدانيَّةٍ خاصَّةٍ.

* –تَجرِبَتي. *

9–الخَطأُ أَنْ نَقولَ: عَمِلَ *لَيْلًا نَهارًا*

لَيْلًا نَهارًا: مِنْ دونِ واو.

الصَّوابُ: عَمِلَ *لَيْلًا ونَهارًا*

لَيْلًا ونَهارًا: مَعَ واو.

أَو :

عَمِلَ *لَيْلَ نَهارَ. *

– تَكونُ الظُّروفُ المُرَكَّبةُ مَبْنِيَّةً على فَتحِ الجُزْأَيْنِ مِنْ دونِ اسْتِعمالِ حَرفِ العَطفِ (الواو)، وتكونُ مُعْرَبَةً منصوبةً بفتْحَتَيْنِ ظاهِرتَيْنِ باسْتِعمالِ حَرفِ العَطفِ .

نَحْو :

–يُعَلِّمُ *صَباحَ مَساءَ*

–يُعَلِّمُ *صَباحًا ومَساءً*

–فلَأَنْدُبَنَّكَ *صَباحًا ومَساءً*

–يَفْتَحُ *لَيْلَ نَهارَ*

–يَفْتَحُ *لَيْلًا ونَهارًا .*

10– الخَطأُ أَنْ نَقولَ: السَّلامُ على الأَرواحِ الَّتي حَلَّتْ بفَنائِك*

الفَناء: بالفاءِ المَفتوحةِ*

الصَّوابُ: السَّلامُ على الأَرواحِ الَّتي حَلَّتْ *بفِنائِك*

الفِناء: بالفاءِ المكسورةِ.

*الفَناء *: الزَّوال. الهَلاك. نَقيضُ البَقاءِ.

نَحْو :

-فَنِيَ يَفْنى *فَناءً *: عَدِمَ.

-الدُّنيا دارُ *الفَناءِ *

-العِلْمُ لا *فَناءَ * لَهُ.

* -فَناءُ * الإنسانِ: زَوالُه، هَلاكُهُ.

-اَللَّهُمَّ اجْعَلْ *فَنائي* قَتْلًا في سَبيلِكَ.

* -الفِناء *: السَّاحةُ أَمامَ البيتِ.

جَمع: أَفْنِيَة.

نَحْو :

-يَلعبُ الأَطفالُ في *الفِناءِ *

* -فِناءُ * المَشْفى.

* -فِناءُ * المَدرسةِ.

* -فِناءُ * المَنزِلِ.

-وَلَدَتْهُ في حَرَمِ الإِلَهِ وأَمْنِهِ

والبيتِ حَيثُ *فِناؤُهُ * والمَسْجِدُ.

د. محمد علي مروة

تطور الفلسفة

من المسلمّات المهمة في تاريخ الفلسفة، أن هذا الفكر لا يتجزأ، ودراسته تبدأ بالركائز القديمة ، الأولى، ليصل الى اللحظة التي نعيش فيها...

وأصل الإصطلاح الفلسفي ظهر في بلاد اليونان في القرن السادس ق.م.، وكبرت دائرته واتسعت حتى وصل الى " سقراط" وجاء بعده " افلاطون" و "أرسطو"... والمؤسف أن الفكر الفلسفي بعد هؤلاء العباقرة بدأ يتدهور.

ومن عظمة وأهمية الفكر الفلسفي اليوناني أنه أعطى الانسانية دفعاً نحو العلوم ، وجعل الانسان مفكراً... وانتشرت هذه الفلسفة مع انتشار الفتوحات بقيادة الإسكندر المقدوني، الذي حملها معه الى الشرق إبّان فترة الحروب بين بلاد اليونان وبلاد فارس. وأدرك الإسكندر ومفكرو اليونان أنّ البلاد المغلوبة أي بلاد فارس لديها حضارة تضاهي حضارة اليونان . وتفاعلوا مع فلاسفة الفرس وفكرهم ، وكان همهم صناعة حضارة واحدة . وأدرك فلاسفة اليونان أيضاً نبوغ المظلومين وأخذوا منهم أسباب الحضارة الفكرية المادية والعقلية.

وتأثر بهذه الفلسفة اليونانية – الفارسية المفكرون المسيحيون فيما بعد، أي في بداية النهضة الاوروبية ، وكذلك استفاد منها الفلاسفة المسلمون، وأدركوا أهميتها في توصيف الكون والحياة والمصير.

العالم الحديث يعترف بأهمية الفلسفة الإغريقية وتفاعلها مع الأدب والعنف. ومن هنا نشأت في أوروبا وقت نهضتها المدارس الأدبية والإتجاهات الفكرية التي تغنى بها الاوروبيون إبّان فترة نقدهم وخلعهم جلباب آبائهم و أجدادهم.

بهذه المفاهيم العلمية والفلسفية السامية، إعتقد الاوروبيون أن الإغريق هم معلمو العالم الحديث وهم بالفعل أساتذة الإلهام والعبقرية والتقدم...

ونحن العرب لم نكن أصحاب فلسفة في جاهليتنا، بل كان في شعرنا وهو " ديوان العرب " شذرات من الحكمة و وبعض الخواطر المتصلة بجانب بسيط بالفلسفة الكلية الشاملة. وبرز هذا في معلقة " زهير بن أبي سلمى" وفي معلقة " طرفة بن العبد".

إن الرؤى في الشعر العربي تشبه شيئاً من الفلسفة ، وكما قلنا أن الفلسفة لا تتجزأ ، لذلك أطلقنا على هذا الجزء " حكمة" أو " خاطرة"...

وفي عصور ما بعد الخلفاء الراشدين ، بدأت حالات النقل والترجمة . وعرفنا فلسفة الإغريق، والصين والهند وفارس من الأديرة التي حاصرت الجزيرة العربية حصاراً أطلق عليه "الحصار الجضاري" الذي جاد بكرمه علينا ثقافة وفكراً.

ورعى بعض الخلفاء الفلاسفة والأدباء، واقيمت المكتبات في العصر العباسي، وكانت مكتبات بغداد و القاهرة و... هذه المكتبات و على رأسها "دار الحكمة" التي أسسها " هارون الرشيد ، ورعاها من بعده " المأمون " ضجّت بالمجلدات و آثار العباقرة والفلاسفة من الشرق والغرب ، وأغنت الواقع بنظريات علمية ورياضية وطبيعية وأخلاقية ... وأسست لعلم النفس وعلم السياسة والمنطق... وتعترف أن فضل الاغريق على العقلية العربية – الاسلامية كبير جداً، ولا يمكن أن ننكر أو نتنكر لهذا الفضل الانساني العظيم أو الإبتعاد عنه.

ويمكن القول وبهدوء أن حالتنا الفكرية والفلسفية تأسست على علوم اليونان وأفكارهم الرائدة في الحياة وما بعد الحياة . فجميع علماء المسلمين الذين برعوا في علومهم تتلمذوا على ما وصل اليهم من فلاسفة اليونان ، وغاصوا بآرائهم المعرفية بشكل عميق، واستلوا منه الضوء وأنوار المعرفة.

لم يكن فضل اليونان ، وما أنتجوه على البلاد العربية – الاسلامية. فأوروبا استفادت حتى أشعلت نهضتها. ونحن نعترف بأن الفكر اليوناني، وبعد ظلمة العصور الوسطى وأثناءها، خطونا الخطوة الاولى في النهضة من خلال مفاهيم الفلسفة من أجدادنا ، ودفع بالواقع الى الخلاص من ظلمة وارتقاء الفكر والفن والتمثيل والنحت والتصوير وترتيب قوانين الحياة...

في عصرنا نقول أول العلوم: الفلسفة ، ونسماتها خطر على الحياة فهي التي تحمل النزاعات الانسانية من دزنية وصوفية وسياسية وفكر اصلاحي وهي مدرسة علمية تعنى بالرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الفلك والنجوم، وتعني أيضاً بالموسيقى والطب. وهي بالنهاية نظرية الحياة وما بعد الحياة.

د. رفاه معين دياب

"عروس الفرات": الخطاب الروائي يحتفي بإشهار القهر تشكيلاً ودلالةً

سنعالج في هذه الدراسة، صورة القهر في رواية "عروس الفرات" لكاتبها المفكر العراقي علي المؤمن، وسنعمد إلى تتبّع المواقف التي ظهرت فيها الشخصيات مقموعة. وهذا التوجّه له دوافعه الظاهرة والباطنة، وتصبح هنا وظيفة الكشف عن هذه التوجهات كامنةً في معرفة المحركات والمسوغات لظهور أشكال القمع وتقصّي تأثيراتها في الأفراد والجماعات وإظهار الموقف المعادي الذي أبدته الشخصيات تجاه السلطة القمعية.

القهر يعني في التعريف القاموسي الغلبة والأخذ من فوق، ومن دون رضى الشخص الآخر، وتالياً؛ فالإنسان المقهور هو ذاك المغلوب على أمره الذي تعرّض لفرض السطوة من لدن المتسلِّط عنوة، وأما في تعريف التخلف الاجتماعي فيتمثل القهر في فقدان السيطرة على المصير إزاء قوى الطبيعة واعتباطها وإزاء قوى التسلط في آنٍ معاً. ففي رحلة القهر تولد الأجناس الأدبية ومنها الروايات التي هي أيضاً وليدة المجتمع ونتاجه وصورته التي تعكس معاناته؛ لأنّ الأدب بشكل عام هو نشاط إنساني يعبّر عن صاحبه وعن المجتمع الذي نما وترعرع فيه، وللأدب وظائف شاملة ذاتية واجتماعية وسياسية ينتقد من خلالها أفعال البشر، ويعبّر عن مشاعرهم وعواطفهم ويعالج قضاياهم، كما أنه يتناول القضايا الوجودية ويبحث عن أجوبة تتعلق بالكون والمصير وقوانين الطبيعة ونواميسها[1].

---

[1] –حمزة، مريم، الأدب بين الشّرق والغرب، مفاهيم وأنواع، دار المواسم، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص:36.

وفي هذا السياق، تنقل رواية "عروس الفرات" في خطابها ذكريات الماضي في سرد واقعي ممزوج بالألم المستمد من أرض الرافدين، حيث يقدّم كاتبها الدكتور علي المؤمن مادّته السردية في مشاهد تطغى عليها الذاتية المنطلقة من الأنا مصدر الإلهام ومنبع التجربة، مروراً بالشخصيات وصولاً إلى ميناء المجتمع المقهور، حيث يحطّ الكاتب الرحال في نهر الفرات، ويرتبط اسم الفرات هنا بالعروس (عروس الفرات). والاسمان يوحيان بالفرح والابتهاج والسرور، إلّا أنّ حقيقة التسمية تحمل كل معاني التعثّر والخيبة والألم والتيه. والرواية هي حكاية شخصية يستخدم فيها الكاتب تقنية الاسترجاع، ويرسم بقلمه الصورة السوداوية القاتمة من أحداثٍ جرت على أرض العراق.

نقرأ رواية علي المؤمن، فنجد صوت الأنين يصدح من عمقها، ويُسمَعُ ذاك الأنين في أنحاء وطنٍ معذبٍ مقهورٍ عانى من ويلاتٍ وحروبٍ وتنكيلٍ بالفئات الضعيفة؛ وهذه الفئات هي وليدة أرحامٍ مجبولةٍ بالدمع والمشقّة؛ وهي تضم شخصيات قوية حتى في قهرها؛ لأنها ليست خاضعة، بل مجبَرة مسلوبة الرأي والقرار تؤمن بالحرية، ولكن طريقها طويل وصعب يحتاج إلى مغامرة موسومة بالتمرد، ولكن ما النفع من حياةٍ نسعى في رحلتها الشاقة إلى التحرر من الظلم والقهر ونفقد في مساراتها المتشعّبة أرواحنا التي خُلِقت لتكون حاضرة لا تائهة؟! فهل أضحى هنا البحث عن التحرر هو الحرب الوجودية ذاتها للبقاء؟

تحاكي الرواية الواقع وتنقل تنوّع الرؤى، والأصوات والأفكار فيه، وتصطبغ بمواصفات الشخصيات، وتفتح أُفق التخيل، والنقد، والتحليل، وتأسر القارئ، وتجذب الباحث، وتحتوي أيضاً طاقةً شعريةً مدهشةً. فانطلاقاً من الواقع المرير، كُتِبَت رواية "عروس الفرات" لتنقل المأساة الحقيقية التي عانتها عائلة الموسوي وغيرها من العائلات العراقية في حقبةٍ زمنيةٍ محدّدةٍ بزمانٍ ومكانٍ، ولكنها مفتوحة الأفق متعاقبة متتالية تتكرر في كل الضواحي والأرجاء.

تصوّر رواية "عروس الفرات" الصراعات الحادة، وتختصر الواقع في سردٍ متخيّلٍ يحاكي الإشكاليات المتعددة برمزيةٍ تضاف إليها الواقعية المعبّر عنها بأسلوبٍ ينطوي على أشكالٍ شتى من المتناقضات مثل الحب والكره والوجود والعدم والموت والحياة، وفي هذا المجتمع العراقي هويات ضائعة ومصاير مضطربة.

تسلك الشخصيات في بنائها السردي منحىً أيديولوجياً، يختزن في تشعّباته حواراتٍ تكشف عن حالة القهر، فتظهر الشخصيات مُحاصرةً تبحث عن أجزائها في مجتمعٍ ممزقٍ مسلوب الحرية والقرار. ولهذا تتفرّع جملة تساؤلاتٍ يثيرها هذا الموضوع، نسعى إلى طرحها هادفين من ورائها إلى إيجاد الحلول الّتي تبحث عنها الدراسة بعد اعتمادنا على منهج يتناسب مع الموضوع المطروح:

- **كيف تجلّت صورة القهر في هذه الرواية؟**
- **ما الأسباب الكامنة وراء تخبّط الشخصيات ومعاناتها؟**
- **هل تمردت الشخصيات على قهرها النابع من أعماق الذات؟**
- **ما الأسباب الخفية وراء الممارسات القمعية التي تُمارس بحق الأبرياء؟**

إنها تساؤلات تحتاج إلى التعمق في التحليل، وهذا بدوره يقتضي منّا اعتماد منهج نقدي، وذلك بغية الوصول إلى الخصوصية التشكيلية والدلالية التي يتميز بها النص. وعندما نعتمد هذه الطريقة، نترك جانباً المشاعر، والعواطف وتأثيرات الأهواء. ولأنّ النص ((جهاز نقلٍ يُعيد توزيع اللغة، واضعاً الحديث التواصلي في علاقةٍ مع ملفوظاتٍ مختلِفةٍ، سابقةٍ أو متزامنةٍ))[2]، تصبح الرواية غاية الكتّاب الذين يُوصِلون من خلالها قضاياهم، ويكون المنهج

---

[2] – أيّوب، نبيل، البنية الجماليّة في القصيدة العربيّة الحديثة، المكتبة البولسيّة، جونية، ط1، 1991، ص: 23.

الاجتماعي هو الوسيلة التي تكشف عن خبايا المجتمع الذي يُعَدُّ المنتِج الفعلي لهذه الرواية الإبداعية، وقراءتها وتحليلها من منظور ((مدى تعبيرها عن الوسط الاجتماعي الذي أَنتجَها، وهو بذلك، يتعامل مع الظاهرة الأدبية ليس بوصفها ظاهرة مستقلة بذاتها، وبخصوصيتها، وبفرادتها الإبداعية، وإنما يعدّ النصوص الأدبية وسائر الفنون غير مستقلة عن شروط إنتاجها الاجتماعي))[3]. وعندما تكون البنية ((ترجمة لمجموعةٍ من العلاقات بين عناصر مختلفة، أو عمليات أولية))[4]، فمن الضروري أن ننظر في علاقة الأجزاء بعضها ببعض؛ لأنّ النص ليس تجميعاً لهذه الأجزاء، وإنما هو نتيجة تفاعُلها، والعلاقات التي تربط بينها. ولأنّ المشكلة الأولية التي ((يتوجّب على سوسيولوجيا الرواية تناولها هي مشكلة العلاقة بين الشكل الروائي نفسِه، وبنية الوسط الاجتماعي الذي تطوّر هذا الشكل داخله))[5]؛ ينبغي أن نعتمد المنهج البنيوي السردي، كونه ينطلق من داخل النص، ويكشف عن مكونات الرواية، ووظائف كل مكوِّن تركيبي؛ لأنه يبحث عن البناء الداخلي، وعن البنية الشكلية التي أنتجت نصاً روائياً مُستنِداً إلى عناصر السرد الروائي.

والسردية تدرس وظائف كلٍّ من المنظور، والزمان والمكان؛ لذلك ينبغي لنا أن نتناول الرواية بمكوناتها الأساسية كافةً؛ لأن السردية تبحث عن أنظمة التشكُّل الداخلي في الرواية، وتهدف من خلال ذلك إلى دراسة الأشكال والقوانين التي تحيلنا بالضرورة إلى استيعاب

3- الموسى، أنور، عِلم الاجتماع الأدبيّ، (منهج سوسيولوجيّ في القراءة والنّقد)، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، ط2011، ص: 46.

4- فضل، صلاح، نظريّة البنائيّة في النّقد الأدبيّ، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط3، 1985، ص: 177.

5 -Lucien Goldman: pour une sociologie du roman, idée/ Gallimard, 1973, p: 22.

الخصائص الداخلية، وتدرس الشخصيات وعلاقتها، ونوع الرؤية ودلالاتها، وترصد شبكة البناء الزمني ومفارقاته، وتشكُّل البناء المكاني. وهذا المنهج يدفعنا إلى ((دراسة المتن الحكائي الذي يُعنى بالأحداث، ومن ثَمّ المعطى الدلالي الذي يتجلى في عالَم الرواية، من خلال الأحداث، والشخصيات، والفضاء))[6].

تظهر صورة القهر بداية في العنوان؛ لأنّ "عروس الفرات" لم تكن عروساً اعتيادية، بل فتاة أسطورية تحمل اسماً مقدّساً "زهراء"، يوحي بدلالته الدينية التي تحيلنا إلى تحديد هوية هذه الشخصية الروائية التي تنطق بمواصفات سردية واضحة المعالم والملامح والسمات؛ فلا تحتاج إلى استنباط وتأويل من القارئ. فهذه العروس مشت على درب الجلجلة، ورأت مشهد الصلب واقعاً مأساوياً؛ فهي شاهدة على صورة إعدام خطيبها "صلاح". وفي هذا الواقع تتجلّى صورة القهر والقدر المفروض في تحديد الموت والخلاص.

و"زهراء" هي نموذج عن فتياتٍ أخرياتٍ عانين فقداناً للالتحام الجسدي الروحي الذي نما في مخيلتهن؛ فصورة الحبيب والزوج والسند أُبعدت قسراً، وخلقت انعداماً بالتكافؤ لدى الذات الإنسانية الأنثوية، وأظهرت صراعاً نفسياً بين الأنا والآخر (الشريك)، وبرزت صورة المرأة المقهورة التي سُلِبَ حقها في خلق مصيرها وبناء جيلها التي رسمته في اللاوعي لديها. وهذا ما يسمى ((الرغبةَ اللاواعية))[7]؛ فحينما تلاقي الأفكارُ مقاومةً تمنعها من الظهور في الوعي، تلجأ الطاقة النفسية المتصلة بها إلى النقل، أي الاتصال بمعانٍ أخرى بديلةٍ تكون

6- بحراوي، حسن، بنية الشّكل الرّوائيّ، (الفضاء- الزّمن- الشّخصيّة)، بيروت المركز الثّقافيّ العربيّ، ط1، 1996، ص: 34.

7-أيّوب نبيل، نصّ القارئ المختلف وسيميائيّة الخطاب النّقديّ (2)، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2011، ص:13.

عادة رموزاً للمعاني الأصلية. ولأنّ هذه الرموز مبهمة وغير صريحة لا تلاقي أيّ مقاومة، ما يعني أنّ المكبوت يُستبدَل به فكرةٌ بديلةٌ تكون بمنزلة مندوبٍ أو وكيلٍ، وهو محميّ من هجمات الأنا بسبب عذابات طويلة.

المرأة هي أفصح الأمثلة على وضعية القهر بكل أوجهها ودينامياتها في المجتمع المتسلط[8]؛ فهي رائدة الانكفاء على الذات والتمسك بالتقاليد، وضعيّتها تمثّل أقصى درجات التماهي بالمتسلِّط من خلال ما تعانيه من استلابٍ وجودي تتحكم فيه وسائل السيطرة على المصير. وشخصية "زهراء" بيّنت هذا التجاذب والتعرّض للتبخيس المفرط.

اعتمد علي المؤمن في روايته على سلسلةٍ مترابطةٍ متماسكةٍ من السرد المنطقي المتدرّج من بداية الرواية إلى نهايتها، وهنا تبرز جدلية القهر في العناوين الهادفة: "فرحتان"، "الجريمة"، "عروس الفرات"؛ ففي هذه العناوين الثلاثة، على سبيل المثال لا الحصر، تظهر الازدواجية في نقل صورة الفرح (العرس) والحزن (المأتم)، فتتعارض الحالات الشعورية وتتخبط الذات، وتعيش هيكلية المتناقضات في شكلها القمعي لا في ضروراتها الوجودية التي بنيت عليها في حقيقة نشأتها. فيستنبط الباحث من المشاهد الروائية ومن الوصف الدقيق الذي أتى على لسان راوٍ حذقٍ عارفٍ بكل شيء؛ الصورةَ المتبدّلةَ التي تغيّرت بفعل العدوانية والقمع الممارَسين بحق الأبرياء.

ففي مشاهد الوصف؛ تكاد تصل إلينا رائحة الأزهار في البيت القديم الذي تقطنه عائلة "عبد الرازق" في محلّة "الحويش" النجفية، ذلك البيت الذي ((عشّشت في شقوق حجارته العتيقة طيور اليمام البني... قائم وسط حديقة، تناثرت في حوضها الأزاهير؛ فتناغمت فيها

---

8 –حجازي مصطفى، التخلّف الاجتماعيّ، مدخل إلى سيكولوجيّة الإنسان المقهور، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، ط13، 2018، ص:199.

الألوان، وانصهرت الروائح لتنتشر في كل ناحية))[9]؛ إذ أتت وظيفة الوصف هنا دالّةً رمزيةً، الغرض منها هو تفسير ((موقف معيّن في سياق الحكي))[10] لا يقتصر على أداء وظيفة جمالية تزيينية مجرّدة من المعنى))[11].

يُمثّل المكان مكوّناً محورياً في بنية السرد، فالبيت النجفي هو مكان واقعي يتحدّد بعلاقاته ومفاهيمه المكانية، ويُبرز الإحداثيات الأساسية التي تحدّد الأشياء الفيزيقية. وفي هذا السياق يؤدي الراوي دوراً رئيساً في نقل الصورة بدقةٍ ووضوحٍ، فتظهر قدسية المكان من خلال ذكر مدينة "النجف الأشرف" وأسماء الشخصيات التي تنتمي إلى سلالة الأنبياء؛ لأنّ العلاقة ما بين وصف المكان والدلالة أو (المعنى) ليست دائماً علاقة تبعيّة وخضوع؛ فالمكان ليس مسطّحاً أملس، أو بمعنى آخر ليس محايداً أو عارياً من أي دلالة محددة، وهذا ما حاول الروائي إظهاره في مشاهده السردية الأولى، حيث رسم معالم المكان المفعم بالإيجابية والقدسية والتبجيل والفرح والاحترام؛ فشخصياته وجدت بالضرورة كي تتبادل الملفوظات ومحكي الأقوال وتكشف عن اندفاعها العفوي، وانحازت لتتشكّل بعداً دينياً وسياسياً يحويه الوعاء السردي.

وفي هذا الإطار؛ نعثر في الرواية على سجل مشوّق يعكس التقاليد والعادات النجفيّة في أوقات الفرح والحزن. والمتتبّع لحركة السرد في الرواية يُدرك أنّ الانتقال من مشهدية الفرح

---

[9] –المؤمن، علي، عروس الفرات، مؤسّسة الرّسول الأعظم العلميّة، دار روافد النّجف الأشرف، العراق، ط2، 2017، ص:7.

[10] – بوعزّة، محمّد، تحليل النّصّ السّرديّ، تقنيّات ومفاهيم، الدّار العربيّة للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2020، ص:121.

[11] – جنيت، جرار، حدود السّرد، ترجمة بنعبسي بو حمالة، ضمن كتاب طرائق تحليل السّرد الأدبيّ، ص: 75.

إلى مشهدية الحزن لم يكن انتقالاً اعتباطياً، بل كان انتقالاً مقصوداً يصوّر الأيادي التي عبثت بالكيان الآمن للأفراد، وشوّهت معالم المكان المليء بالحب والطمأنينة والسكينة والحماية، وحوّلت هذا المكان حسب ((قيمه الأنطولوجية))[12] من مكانٍ أليفٍ إلى مكانٍ معادٍ يتّسم بالضيق والظلمة والأذية والشقاء والتهديد: ((الثالث عشر من رجب، يوم ربيعي مشرق... اليوم هو عقد قران أخيكم!! (صلاح خطيب زهراء الذي أعدم) هيّا قوموا... نهض الجميع مستبشرين لكنّهم متهالكون؛ لأنّ حديث الفرح لم يترك لهم ليلة أمس سوى سويعاتٍ للنوم.. لبسوا أفخر الثياب... أكثر من لفت الأنظار "أبو عادل" وعصاه الخشبية الجديدة المرصّعة بالفيروز... بين الحين والآخر كانت تعلو زغاريد النساء وتوزّع الحلوى والفاكهة والعصير))[13].

الصور التذكارية، المدائح النبوية، لباس العروس، خواتم القران والعقد النفيس والأقراط والأساور الذهب، الزغاريد التي تطرق الآذان، صوت الضحكات، وغيرها من مظاهر الفرح في عائلة "عبد الرازق"؛ تبدّلت جميعها في صفحاتٍ معدودةٍ إلى مظاهر حزن، وعلا فيها صوت البكاء والأنين على استشهاد ابنها "صلاح". والتحوّل في مجرى الأحداث برز جلياً، فانتقل هذا العرس النجفي الذي يجمع التراث الشعبي والالتزام بالتقاليد الدينية، إلى مأتمٍ محزنٍ، مفارقتُهُ الوحيدة هي ارتباطه بعناصر الفرح التي سبقت مشهد الإعدام: ((في الطريق إلى البيت سرح أحمد بخياله، ودموعه تنهمر ويقضم شفتيه، كان يفكّر في الطريقة التي يخبر بها الأهل باستشهاد صلاح... حلّت الكارثة "أم عادل" مغشيّ عليها، أبو عادل يذرف الدموع،

---

[12]- باشلار، غاستون، جماليّات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط2، 1984، ص: 31.

[13]- المؤمن، علي، عروس الفرات، ص:26.

ويندب حظّه، ويدندن باكياً: ليتك متّ قبل هذه المصيبة... ضجّت شيماء وياسمين بالبكاء، وهما تندبان صلاحاً، وترثيانه بتفجّع... كانت شيماء تولول، وقد اختنق صوتها، وبحّت نبراته الحزينة، وقد مَزقت ثيابها، وعثت شعرها، وازرّق خدّاها من شدة اللطم... أم عادل تولول وتتفوّه بكلماتٍ مبهمةٍ لا يفهم منها سوى... حبيبي صلاح... عرسك يا ولدي... قتلوك قبل زفافك))[14].

هذا الوصف الخلّاق سيطر على مجموع الحكي، ونقل حالاتٍ شعوريةً مأزقيةً مبنيةً على ثنائياتٍ ضدّيةٍ (فرح/ حزن)، وذلك على حساب السرد، فهو يشيّد المعنى وحده، أو على الأصح ((يُشيّد معاني متعددةً ذات طبيعة رمزية))[15]، غير أنّ الوصف بكونه استراحة (pause) و((توقّفاً زمنياً قد لا يوقف سيرورة الحدث))[16] مثل الوصف هنا؛ لأنّ التوقف لم يكن من فعل الراوي وحده، ولكنه من فعل طبيعة القصة نفسها وحالات شخصياتها. فالراوي العالم بكل شيء أوقف السرد من دون أن يحدث فجوة في مسار الأحداث، بل جعل القارئ يتماهى مع عاطفة الشخصيات تجاه الأحداث المتعاقبة التي خلقتها يد النظام المتسلط، وعمّقت في ذهنه آثار الظلم الواقع على عائلة "الموسوي". وهنا يتّضح لنا تبلور حالةٍ قهريةٍ ناتجةٍ من العلاقة ما بين المتسلِّط والإنسان المقهور، والعلاقة تظهر نتيجة وجود طرفٍ قاسٍ مستبدٍ، يُنزل الأذى والعذاب بضحيته؛ ومن ثَمّ فهذا الطرف المتسلط لا يستقر له توازن إلّا حين يدفع بذلك المقهور إلى موقع الرضوخ والعجز والاستسلام. وهذا التسلط الأعمى ليس

14- المؤمن، علي، عروس الفرات، ص: 50-51.

15- غرييه، آلان روب، نحو رواية جديدة، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف بمصر، (دون سنة الطّبع)، ص: 160.

16- لحمداني، حميد، بنية النّصّ السّرديّ، من منظور النّقد الأدبيّ، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص: 77.

وليد اللحظة، بل هو صورة انعكاسية عن تراكماتٍ ذهنيةٍ متخلفةٍ أرادت التنكيل بالفئات الضعيفة، فعائلة "الموسوي" هي نموذج مصغّر عن عائلاتٍ عراقيةٍ كثيرةٍ عانت الاضطهاد والظلم.

وهنا نستنتج أنّ طبيعة العلاقة تتلخص بانعدام القيمة وبهدر الإنسانية؛ لأنّ الأشكال الدموية بكل جبروتها وسيطرتها فرضت واقعاً ومصيراً مجهولاً حافلاً بكل احتمالات القلق وانعدام الشعور بالطمأنينة، وهذا يعود إلى ((بنية اجتماعية تنتج عدوانية متفجرة ومدمرة ناتجة عن سيطرة سلطةٍ فردية تحكميةٍ تفرض القمع والإرهاب والذعر في نفوس المواطنين))[17]، لأنّ الشخصية تشكل عنصراً مهماً من عناصر العمل الروائي، والبطل ما هو إلّا واحد من هذه الشخصيات، وأهمها. لذا؛ كان لا بد من التوقف عند شخصية "أحمد" الشخصية المحورية النامية في الرواية، واقترابنا من مفهوم البطولة لا يعني فقط ((البطل الشجاع الذي يبطل العظائم بسيفه فيبهرجها، وتَبطلُ جراحه فلا يكترث لها))[18]، ولا يعني البطل الخارق الذي يمتلك صفاتٍ وملامح غير بشريةٍ، بل على العكس تماماً؛ ففي هذه الرواية وغيرها من الروايات العربية التي تنقل الاستبداد السلطوي الذي يُمارس بحق المواطنين؛ نجد بطلاً عانى، وقاوم، وقُهِر، وعُذِّبَ.. ولأنّ فكرة البطولة لا تلغي الملامح الإنسانية، بل على العكس؛ قد يكون البطل هو الشخصية المحورية التي تلقّت العذابات الكثيرة ومختلف صنوف الاضطهاد.

---

17 -M. Klein et Joan rivere, l'amour et la Heine, paris, P. B. Payot,1972,p:51.

18- ابن منظور، جمال الدّين مُحَّد بن مكرم: معجم لسان العرب، المجلّد الحادي عشر، بيروت، لبنان، دار صادر، بيروت، ط1، 2008، ص56.

نستطيع أن نسمي "أحمد" بطلاً نتيجة تعرضّه للعنف، وتبنّيه رؤيةً وقضيةً ذاتيةً ومجتمعيةً؛ فـ"أحمد" حمل لواء تعطيل حكم إعدام شقيقه "صلاح"، ولواء منع جريمة قتل السيد محمد باقر الصدر، من خلال مشاركته في المسيرات المنددة بالنظام الفاسد والمطالِبة بإسقاطه، ودعوته إلى القيام بمظاهراتٍ علنيةٍ جريئةٍ في وجه القوات القمعية للنظام. وفي هذا الصدد، نجد أنّ الروائي أوكل إلى أحمد مهمة نقل الصورة القهرية والقمعية التي سيطر فعلها في المسار السردي، وهذا ما يسمّى التقديم غير المباشر أو تقديم الشخصية أحداثاً محوريةً؛ تقديماً يأتي على خلاف تقديم السارد الغائب العالم بكل شيء. ونقل الأحداث المفصلية على لسان الشخصية وليس على لسان السارد أو الرواي؛ يعكس منظوراً ذاتياً يتحدّد ويتأثّر بشكل العلاقة التي تجمع بين الشخصية الرئيسة والشخصيّات الأخرى، ومن شواهد ذلك على سبيل المثال: ((ذات يومٍ دلف أحمد إلى البيت قبيل الظهر على غير عادته، وكان في حالة سيئة جداً؛ شاحب الوجه، دامع العينين، وجسده يرتعد ارتعاد المقرور بدوار الحمّى الشديدة، إذ راح يجر قدميه بصعوبة، وقد بدا على ملامح وجهه الحزن الشديد... وبصوتٍ ضعيفٍ ومتقطّعٍ كأنّه الهمس))[19]، أخبر أسرته بمقتل السيد محمد باقر الصدر على يد البعثيين... حلّ الحزن على العائلة يرافقه اعتراض وسخط وغضب، اعترت الأب رعشة هائلة... وقعت الكلمات كالصاعقة على أبي عادل...إنّها القيامة... في حين هتفت أمّ عادل: يا لهول المصيبة... أما شيماء فقد عصر الخبر قلبها[20].

وفي أثناء نقل الخبرين (استشهاد صلاح واستشهاد السيد الصدر)، نلاحظ أنّ "أحمد" كان يترجّح بين عاطفته البارزة والجياشة تجاه أخيه وعاطفته الملتهبة تجاه قائده؛ إذ برزت هذه

---

[19]- المؤمن، علي، عروس الفرات، ص:55-59.

[20]- المصدر نفسه، ص: 57-58.

العاطفة واضحةً في سطور الرواية. وفي خضم هذا الواقع المتخبط الذي لا يحتمل اللطم والبكاء فحسب، بل يحتاج إلى سواعد تدحر العدو الداخلي الذي يعبث بالأمن والأمان، كان "أحمد" ينتصر دائماً على الظلم بالمقاومة والدفاع عن الذات؛ فقد كان يأبى الخضوع للمستبدّين، وقرارته كانت دائماً حاسمةً صارمةً جازمةً، على الرغم من حزنه الخفي الذي حُفر في أعماقه: ((ما لبث أن اعتدل في جلسته، وضبط نبرات صوته، وبلع ريقه منفعلاً، وأتبع بالقول: أيام... ويبدأ الوفاء لدمائك يا سيد... ولدماء آلاف الشهداء))[21].

في السرد الواقعي يأتي الروائي عادةً بشخصياته من الواقع المرئي المادي، وينقل ما سُجّل في ذاكرته من أحداثٍ مؤثرةٍ، إيجابية كانت أم سلبية، كما ينقل تعدّد الرؤى والأفكار والمواقف. فشخصية أحمد في هذه الرواية هي من الشخصيات الهادفة المتمردة على الظلم والقهر؛ لأنها تحاكي تطلعات المجتمع العراقي وآماله في مجابهة السلطة الحاكمة في تلك الحقبة التاريخية. وهذه الشخصية إنما تمثّل فئةً عراقيةً جابهت وقاومت ولم ترضخ على الرغم من توالي المصائب الأليمة التي عصفت بكيانها ونفوسها الآمنة. فـ "أحمد" لم يأخذ حيّزاً واسعاً من صفحات الرواية وحسب، بل أخذ مساحةً واسعةً في أذهاننا، ووجدنا من خلاله بصيص أملٍ في ظل اسوداد الواقع وعتمته وانعكاسه على النتاج السردي الروائي. وتصبح هنا الشخصية في الرواية تركيباً جديداً يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص[22]. نستطيع في هذا الإطار إطلاق صفة "التفريد" على شخصية أحمد؛ فالكاتب يخص هذه الشخصية بمجموعة من الصفات لا تملكها الشخصيات الأخرى؛ إذ إنّ شخصية أحمد

21– المؤمن، علي، عروس الفرات، ص:60.

22 –J. LDumortieret F.plasanet: Pour lire le récit.Ed.Duepot,1980.p:12.

تتمتع بالعمق الذي يجعلها مثار اهتمام الشخصيات الأخرى، كما أنها شخصية معقّدة تجذب القارئ إلى تتبّع هذا التعقيد الهادف. فالباحث يكتشف رؤية النص السردي من خلال سيطرة الصفات الشخصية، ومن خلال الحوار الداخلي والخارجي الذي تجريه هذه الشخصية مع محيطها.

يُعدّ "أحمد" من الشخصيات التي يتوقّف عليها فهم العمل الروائي كلّه؛ لأنّه يتمتع بكثافة سيكولوجية، ويقوم بأدوارٍ رئيسةٍ في المسار الحكائي، وهو من أكثر الشخصيات التي تعرّضت للظلم والتعنيف، فقد طُرد من عمله بعد إعدام أخيه "صلاح"، وتعرّض للتعذيب الجسدي في المركز الأمني التابع للسلطة، بسبب عدم التحاقه بالجيش الذي يحارب الجارة ايران. وعلى الرغم من ذلك، لم تهدأ روحه ولم تخضع، فبقي يقاوم حتى الانتصار، وكان لديه قدرة كبيرة على إقناع المحققين الأمنيّين بأنّه بريء، ولا علاقة له بالمعارضين والثوار، وهذا ما جعله ينتصر بتمرّده الخفي المدروس، الذي اعتمده ليس بدافع الخوف، بل بكونه سبيلاً للنيل من جبروت الحكم الظالم. إذ إنّ ثمة نوعاً من التوازن يحتاج إليه الإنسان في علاقاته المجتمعية، خصوصاً في أثناء سعيه إلى تغيير الواقع المتأزم. وهذا ما فعله أحمد في الرواية للوصول إلى طريقٍ متوازنٍ يؤمّن الانسجام، والتآلف مع محيطه الاجتماعي بأقل الخسائر الممكنة. ويتجلى هذا التوازن من خلال لعبة التخفي التي مارسها، فأوهم من خلالها المحققين الأمنيّين بأنّه من الموالين للنظام.

لقد أراد الروائي – من خلال خلق شخصية "أحمد" التي تتماهى في دورها مع الراوي – القول إنّ التمرد لا بدّ من أن يُخلَق من صميم السطوة والتنكيل والوجع، وإنّ المحاولة التي وجدت في الرواية إنّما هي محاولة تمرّدٍ فردي لتغيير الواقع. وعلى الرغم من ارتباط اسم "أحمد" بعددٍ كبيرٍ من المعارضين، فإنّ محاولته التغييرية، بسبب فرديّتها، محكومٌ عليها

بالإخفاق؛ ذلك أنّ تغيير الواقع يحتاج إلى ثورةٍ اجتماعيةٍ أو إلى مدى تاريخي، وفي هذه الحالة نرى أن لا خيار أمام الإنسان إلّا التمرد؛ لأنّ فعل التحدي ((الذي يمارسه الفرد ضد قوى عاتيةٍ لا يستطيع إلحاق الهزيمة بها، لذلك عليه متابعة الصراع على الرغم من تكرار الفشل للوصول إلى ثورةٍ مجتمعيةٍ لا ترضى برؤية الظلم والسكوت عنه))[23].

وفي الإطار نفسه، تحضر في الرواية صورة أخرى من صور القهر ولكنها الأقسى والأقبح، وهي صورة القهر الجنسي، وذلك في مشهد اغتصاب الشابة الجميلة العفيفة "شيماء" التي كابدت كل أنواع القهر والاستلاب الفكري والجسدي، واللافت أنّ الروائي نأى عن طرح قضية الاغتصاب بأسلوبها الميكانيكي، وعالجها بكونها ظاهرةً اجتماعيةً مُظهِرًا أسبابَها وأبعادَها خلال السرد الروائي من دون أن يشوّه ذائقة القارئ، فكان تصويره هادفاً. وفي المقابل؛ لقد أشعل الروائي في القارئ من خلال مشاهد تعذيب "شيماء" واغتصابها؛ بركاناً من الغضب لم يهدأ حتى مع انطفاء الشهوة الشيطانية للضابط السفاح "فلاح"؛ فهذا الضابط ظهر غارقاً في عقده النفسية التي فرّغها في عائلة "السيد عبد الرزاق الموسوي"؛ ولذلك فشخصيته تمثّل وحشية النظام المتسلط المشحون بكل أنواع القمع. لقد اغتُصِبت "شيماء" أمام عيني والدها "أبي عادل"، الذي مات قهراً وحرقةً على فلذة كبده ابنته الشابة الجامعية المثقفة، بعدما شاهد العبث بجسدها، ولم يقوَ على تحمُّل أقسى أنواع الوجع الذي قد يفجع به المرء في حياته: ((مات السيد الموسوي... أسلم الروح المتعبة. أغمض عينيه

23- أبو نضال، نزيه، تمرّد الأنثى في رواية المرأة العربيّة وبيبلوغرافيا الرّواية النّسويّة العربيّة (2000-1885)، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط1، 2004، ص: 25.

على صورة ابنته البائسة... العارية.. ينهش بها بواسل الحزب والثورة. رجعت روحه إلى ربّها.. وهي تنوء مثله... تحت عبء الشكوى))[24].

ولكن؛ على الرغم من قساوة مشهد الاستلاب الروحي، إلّا أنّ الروائي صوّر "شيماء" بمشهد القوّة، وكأنّه تمرّد على قلمه وصوره المرئية في أثناء الكتابة، فحاول أن يخلق مشهداً آخر ونهاية أخرى، ولكنّ الواقع الذي عكسه في سرده كان أقوى من نصرة المظلوم وأقسى من النهايات السعيدة التي نشهدها في الروايات الرومانسية الخيالية؛ فالتمنيات غلبتها شدّة القهر الناتج من مجتمعٍ يئنّ ويصرخ وجعاً وألماً. فبقيت "شيماء" تُصارع انتهاك حرمتها وسترها وجسدها النحيل حتى آخر رمقٍ، وفارقت الحياة بشموخٍ ممزوجٍ بتسليمٍ رباني لقدرها، وبإيمان أبدي بأنّ دماءها ستروي أرض العراق، وتصبح هي الأسطورة المخلّدة في عمق الذاكرة: ((بعد قليل ستتنعش هذه البقع بدمي الجديد... ابتسمت، وقالت هامسةً بلهفةٍ وارتجافٍ عظيمين بعدما قرأت الشّهادتين))[25]. ولذا، فإنّ مشهد الاغتصاب ومشاهد تعذيب العائلة تُشبه مشهديةً ملحميةً تراجيديةً نهايتها كانت كارثية: ((مقبرة جماعية تضم رفات مئات المعدومين... قذفوا بالجثث بما بقي عليها من ملابس مصبوغة بالدم... في حفرة أعدّت سلفاً.. كأنّهم يقذفون بأجساد حيوانات ماتت بوباء معدٍ...))[26].

ويُشكّل المكان الروائي أبعاداً ومفاهيم فكرية تعبيرية قبل تشكيل الكاتب معالمه الهندسية ورسمها؛ إذ يتميّز المكان الروائي باختلافه ((عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح، أي كل الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع، إنّه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات

24- المؤمن، علي، عروس الفرات، ص: 211-212.

25- المصدر نفسه، ص:215

26-م. ن، ص: 217.

المطبوعة في الكتاب، فهو يتشكّل كموضوعٍ للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه))[27]. والمكان الأبرز في الرواية الذي أفرغت فيه كل صور القهر هو مركز التحقيق؛ إنّه مكان منغلق، مظلم، مهجور، يشبه القبر ((لا مناظر في ذلك المكان، لا نبتة ولا زهرة، ولا طائر، لا مناظر سوى الوجوه الشاحبة ومناظر الأجساد الناحلة الضعيفة القوى، الزنزانة أشبه بالقبر، لا لون لها، ولا نافذة... توزّع على الجموع أكواب العدس المالح، لكلٍّ رغيفٌ مرَّ عليه الزمن مصبوغ ببقع من زرقة العفن... الحمامات قذرة، ضيقة يسمح بارتيادها... يستحمّون بماءٍ عفنٍ بلا صابون، ويعيدون ارتداء ثيابهم ذاتها، الثياب التي ارتدوها منذ أول دخولهم إلى ذلك العالم))[28]. فالوصف هنا يمثّل مفاهيم أساسية في وصف الواقع الاجتماعي، وفي الأحكام الثقافية والأخلاقية، وفي التصنيفات الأيديولوجية؛ ففي هذا الوصف تكون الاستعارات المكانية حاضرةً بتقاطباتها في المجال السياسي، فنجد التقاطب ما بين اليمين واليسار، وفي المجال الاجتماعي نجد التقاطب ما بين الرفيع والوضيع. فهذا المكان بكل قذارته وضيقه وظلامه يشبه قاطنيه من مخابرات النظام، على عكس البيت النجفي الجميل برائحته العطرة واتساعه وعراقته. فالمكان يأخذ تارة شكل تدرّج هرمي سياسي ـ اجتماعي يؤكّد تضاد السمات بين تلك التي تقع في قمة الهرم (الرفيع)، وتلك التي تقع في أسفله (الوضيع)، ((وقد تتخذ هذه السمات شكل تضاد أخلاقي يقابل بين "اليمين واليسار"، وتنتظم في شكل

---

[27]– بحراوي، حسن، بنية الشّكل الرّوائيّ ص: 27.

[28]– المؤمن، علي، عروس الفرات، ص:197-198.

نماذج للعالم تتسم بسماتٍ مكانيةٍ واضحةٍ.. [من قبيل] المهن أو الأنشطة "الدّنيئة" و"الرّفيعة"))[29].

أُقفل ملف مقتل العائلة وتعذيبها الوحشي بكل برودةٍ في مركز التحقيق في ذاك النهار الأسود، إلّا أنّ هذا الملف أصبح وثيقةً دهريةً سجّلت بدماء الشهداء الأبرار الإجرام والهمجية والشّراسة عند مؤسسات النظام الأمنية، ولكنّ هذه الوثيقة ستُفتح مع كل بزوغٍ جديدٍ لشمسٍ غيّرت وجهة شروقها في البيت النجفي.

إذاً؛ برزت صورة القهر في هذه الرواية وتعددت أوجهها؛ فعكست وحشية رجال النظام البعثي تجاه هذه العائلة النجفية التي كابدت كل أنواع العذاب وهتك الحرمات، فعالجها الكاتب علي المؤمن بأسلوب روائي هادف، وقدّم طروحاته وانتقاها من الأحداث التي تنتاب المجتمع العراقي. وقد تتبّع في عرضه المآزم الإنسانية كلّها، لتصبح هذه الرواية جسر عبورٍ نحو عملٍ مكتملٍ يُصوّر الجراحات العراقية وتشظياتها المؤلمة، ويحمل في طياته دراما روائية نادرة تستحق الغوص في أغوارها الغنية بالدلالات، بالإضافة إلى تميّزها باللغة الشعرية الممتدة على مساحة السرد؛ وهي لغة لا تتكئ على الصور التقليدية الجامدة، بل لغة مبتكرة قادرة على الإيماء بعيداً من المباشرة والتكرار والابتذال؛ فلغة "عروس الفرات" راقية منمّقة، تأخذنا باتجاه الحيّز الزمكاني الذي يخدم الأحداث، وتنمو في ظله الشخصيات. لقد اجتمعت عناصر السرد جميعها وتآلفت منسجمةً لتأتي بهذا العمل المميّز الذي يأسر القارئ، ويأخذ به إلى مصافٍ من الدهشة والإعجاب.

---

[29]- لوتمان، يوري، مشكلة المكان الفنيّ، تقديم وترجمة سيزا قاسم، مجلّة عيون المقالات، العدد 8، 1987، ص:69.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1-المؤمن، علي، عروس الفرات، مؤسسة الرسول الأعظم العلمية، النجف الأشرف، العراق، دار روافد، بيروت، لبنان، ط2، 2017.

ثانياً: المراجع العربيّة

1-أبو نضال، نزيه، تمرّد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيبلوغرافيا الرواية النسوية العربية (1885-2000)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.

2- أيوب، نبيل، البنية الجمالية في القصيدة العربية الحديثة، المكتبة البولسية، جونية، ط1، 1991.

3- أيوب نبيل، نص القارئ المختلف وسيميائية الخطاب النقدي (2)، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2011.

4- بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (الفضاء- الزمن- الشخصية)، بيروت المركز الثقافي العربي، ط1، 1996.

5-بو عزّة، محمد، تحليل النص السردي، تقنيّات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2020.

6-حجازي مصطفى، التخلّف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجيّة الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط13، 2018.

7-حمزة، مريم، الأدب بين الشرق والغرب، مفاهيم وأنواع، دار المواسم، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

8- فضل، صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط3، 1985.

9- الحمداني، حميد، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 2000.

10- الموسى، أنور، عِلم الاجتماع الأدبي: منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2011.

ثالثًا: المراجع المعرّبة:

1-باشلار، غاستون، جماليّات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984.

2- جنيت، جرار، حدود السرد، ترجمة: بنعبسي بو حمالة، ضمن كتاب طرائق تحليل السرد الأدبي.

3-غربيه، آلان روب، نحو رواية جديدة، ترجمة: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف بمصر، (دون سنة الطبع).

رابعاً: المراجع الأجنبية:

1-J. LDumortieret F.plasanet: Pour lire le récit.Ed.Duepot,1980.

2-Lucien Goldman: pour une sociologie du roman, idée/ Gallimard, 1973

3-M. Klein et Joan rivere, l'amour et la Heine, paris, P. B. Payot,1972.

خامساً :المعاجم اللغوية:

1-ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: معجم لسان العرب، المجلد الحادي عشر، بيروت، لبنان، دار صادر، بيروت، ط1، 2008.

سادساً: الدوريات:

1- لوتمان، يوري، مشكلة المكان الفني، تقديم وترجمة سيزا قاسم، مجلة عيون المقالات، العدد 8، 1987

الأستاذة نغم حسيب عواضة

الاشغال والحرف اليدوية وآثارها الاجتماعية والاقتصادية

الأشغال اليدوية: هي "مجموعة من الأعمال اليدوية التي يقوم بها الإنسان، و تتميز بأنها ذات طابع فني مميّز ومبتكر ، يستخدم فيعا مواد أولية بسيطة وغير مكلفة".

كانت لأعمال اليدوية عبر التاريخ سبباً للتطور الحضاري الذي شهدته بعض المجتمعات وشكل لها أهمية تاريخية وثقافية كبيرة. فشكلت الوسيلة الأكثر فاعلية التي أعتمد عليها الإنسان القديم، إذ ساعدته على العيش، والتغلب على الصعوبات التي كانت تواجهه بشكل يومي. فأسهمت في صناعة حضارة الشعوب في مختلف بقاع العالم.كما شكلت موروثًا ثَقَافِيًّا، انتقل من جيل الى جيل، مع الاشارة الى التطوير الذي كان يلحق بها لتتلائم مع واقع الحياة المعاصرة.

أسهمت الأعمال اليدوية في إثراء تراث المجتمع والعمل على تطويره وفقًا لمقتضيات العصر ، وفي تعزيز التبادل الثقافي والاقتصادي بين شعوب العالم. كذلك في رفع مستوى القدرات الذهنية والعقلية للكثير من العاملين فيها، وذلك بسبب كونها تتطلب الكثير من الجهد والعمل لإنجاز عمل متقن .

هذه الاعمال الفنية اليدوية المتميزة بالاتقان

ساهمت في تغير الكثير من المظاهر الاجتماعية في المجتمع، فعملت على تطوير بعض المفاهيم والعادات السائدة:

- **حدت من البطالة التي تعاني منها المجتمعات، فساعدت في تأمين فرص عمل لتشغيل عدد كبير من الأيدي العاملة، خاصة النساء وتحديدًا ربات البيوت، وكذلك الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة ممن يمتلكون المهارات اليدوية.**
- **ساعدت تطوير الذات، والتخفيف من القيود والضغوطات النفسية، التي يعاني منها الكثير من الناس.**
- **مثلت مصدر رزقٍ للعاملين فيها.**
- **علمت الإنسان الكثير من المهارات والخبرات والمعلومات.**
- **رفعت مستوى الذوق الذي بالحرفية والمهارة وبما تحويه من جوانب فنية وإبداعية.**
- **رفع مستوى القدرة الإبتكارية والإبداعية لدى الإنسان، فهي فمنحته مساحة كبيرة للتفكير والتأمل أوصلته الى إيجاد كل ما هو جديد ومميز.**
- **حافظت على الإرث الخاص بكل مدينة أو بكل مجموعة من الناس، كما عملت على ديمومته.**
- **علاوة على ما تقدم يمكن اعتبارها وسيلة للترفيه والتسلية وملء أوقات الفراغ الذي يعاني منه الكثيرون.**

وعلى الصعيد الاقتصادي تؤدي الاشغال اليدوية التي يمارسها الكثيرون مجموعة من الآثار نذكر أهمها:

- **تساهم في رفع المستوى الاقتصادي للفرد والمجتمع.**
- **تشكل مصدر رزق لا بأس به سواء للفرد، أو للمجتمع بأكمله.**
- **تساعد كوسيلة عمل في استغلال كافة الموارد البشرية.**
- **تشكل مصدرًا من مصادر الدخل القومي للبلد، خاصة تلك الأعمال اليدوية التي يتم تصديرها لخارج البلاد، كونها توفر الكثير من العملات الأجنبية.**
- **تساعد في خلق فرص عمل كما ذكرنا أعلاه خاصة للذين لم يحالفهم الحظ في الحصول على وظائف وبالأخص للأشخاص الذين لم ينالوا الفرصة الكاملة من التعليم.**
- **تساهم في استغلال الكثير من المواد الأولية المحلية والإستفادة منها، وتساعد في تشغيل الكثير من الناس وفي جميع المناطق، حتى في المناطق التي لا تتوافر فيها الخدمات الأولية أو البنية الأساسية.**
- **تساهم في تنمية حركة الاقتصاد في الكثير من المجتمعات، وتعمل على تنشيط الحركة الإنتاجية والتسويقية.**
- **تحدث مرونة في الإنتاج، والسبب في ذلك يعود إلى أن المنتجات اليدوية تحدد بحسب الطلب عليها.**
- **تسهم الأعمال اليدوية التراثية ، في تنشيط عجلة الاقتصاد من خلال جذب السياح الذين يزورون البلد، فهؤلاء يحرصون على اقتناء مثل هذه المنتجات.**

- تساعد في دعم اقتصاد الاسر عن طريق عمل ربات البيوت اللاتي لا تستطعن مغادرة المنزل بسبب مسؤولياتهن المنزلية، فأصبحن ينتجن من البيوت.

تطورت الاشغال اليدوية الى أن أطلق عليها اسم الحرف اليدوية أو الصناعات اليدوية هي سبيل المثال المنسوجات والاكسسوارات الحرف البسيطة التي لا تحتاج إلى آلات وأشخاص كثر وإنما تحتاج إلى مهارة وخبرة. كالتطريز و الحفر على الزجاج وغيرها. تتميز الحرف اليدوية بأنها مجال خصب للإبداع والابتكار ونافذة للميراث الثقافي المحلي.

هذا وقد تنوع قطاع الحرف اليدوية الذي تساهم فيه عوامل مثل الجغرافيا والتاريخ، إذ لكل منطقة جغرافية الصناعات اليدوية التي هي وليدة ثقافتها، ولكل عصر اتجاهاته الفنية التي تدفع بعض الحرف إلى الصعود على حساب أخرى، نذكر من بين أكثر أنواع الحرف اليدوية انتشارا ما يلي:

- الكروشيه والمنسوجات والخرز والتطريز والحياكة.
- النقش على المعادن مثل الفضة والألومنيوم، والأدوات المعدنية.
- الصناعات الخشبية مثل الموبيليا والخشب المطعم والحفر على الخشب والمشغولات الخشبية.
- الدمى والألعاب والهدايا والتذكارات.
- الكولاج والفسيفساء ولوحات الزهور المجففة.
- صناعة الخزف والفخار والسيراميك.
- صناعة الزجاج.
- المنتجات الجلدية مثل حقائب اليد وأحذية الجلد الطبيعي.
- المشغولات الفضية والذهبية والمجوهرات المقلدة.

وعلى الصعيد اللبناني من الملاحظ أن الحرف اليدوية باتت مهددة بالزوال، وباتت محصورة في الجيل القديم، وفي القرى و العائلات، وترتبط فيها. وسأذكر بعض هذه الحرف:

- السلال المقششة: عمشيت – زعرتا...

- **الخزف : راشيا – بيت شباب – الشوف...**
- **نفخ الكؤوس والأكواب: الصرفند...**
- **صباغة الجلود: طرابلس – القلمون – الدورة...**
- **الحياكة: ذوق مكايل – الشوف – كوسبا...**
- **تطريز العباءات: كل المناطق اللبنانية .**

لكي نحافظ على هذا التراث المميّز، المنتج ... وفي هذا المجال، ومساهمة في نشر ثقافة هذا النوع من النشاط، أنشأت محترفاً (معرض ومحترف شبابيك نغم الفني) في منطقة تول قضاء النبطية ، ومنذ أكثر من خمس سنوات، نفذت دورات تدريب على أنواع متعددة من الحرف اليدوية، بهدف تأهيل الشابات والسيدات على امتلاك خبرة في حرفة ما، يستطيعون ممارستها بجدارة ، تساهم في دعم اقتصاد اسرهم...

هذا وقد نفذ محترف شبابيك بالتعاون مع اختصاصين في العمل اليدوي المتنوع مجموعة من الدورات التدريبية شارك في كل منها عدد من المتدربين. ومن هذه الدورات :

- **كروشيه وصنارة.**
- **تطريز.**
- **خرز وأكسسوارات.**
- **صناعة الصابون.**
- **صناعة الشمع.**
- **تركيب عطورات.**
- **تعليم الرسم ومزج الألوان.**
- **صناعة مجسمات من عجينة السيراميك.**

- **مكرمة**

- **رسم على الفخار.**
- **رسم على الزجاج و السيراميك.**
- **رسم على القماش.**
- **صناعة الريزين.**
- **تزيين بالونات.**
- **صناعة الدمى من القماش.**

المراجع

1- محمد حسن، دور الصناعات اليدوية والحرفية في التنمية الاقتصادية والمحلية لجمهورية مصر العربية، بتصرّف.

2- شريف محمد عوض (2011)، الصناعات الحرفية طريق للتنمية المستدامة، بتصرّف.

3- عبد العزيز علي ضيف الله خزعلي (2019)، الصناعات اليدوية والتمكين الاجتماعي بتصرّف.

4- د. بن زعرور شكري و مخناش عصام، الصناعة التقليدية في الجزائر تقييم الملائمة الاقتصادية و البيئية في ظل النموذج الاقتصادي الاجتماعي الأخلاقي. بتصرّف.

الدكتورة دلال عباس

حول أمّيّة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم

بسم الله الرحمن الرحيم

ما معنى كلمة "الأمّيّ" التي وصفَ القرآن النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بها ، وكلمةَ الأمّيّين التي وصفَ بها العرب؟
معظم التفاسير – وكذلك المعاجم اللغوية– تفسّر كلمة "الأمّيّ" بأنّه الذي "لا يقرأ ولا يكتب"، ويعقّب بعضُها بأنّه "الذي لا يقرأ الكتاب". وفي بعض التفاسير الحديثة، إشارةٌ إلى نسبتها إلى "الأمم". وقد ذكرت التفاسير، نقلاً عن الرواة السابقين أو عن الشروح السالفة، أنّ المقصود بـالأمّيّين هو العرب الذين "لا يقرأون الكتاب ..المقدّس".

يهدف هذا البحث . بعد دحضِ رأيِ الذين يذهبون إلى أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يُحسِنُ القراءةَ والكتابةَ قبل نزول الوحي . إلى الإجابة عن هذا السؤال : ما المقصود بـالأمّيّ في القرآن الكريم وهل اللفظة منسوبة إلى الأمّ أم إلى الأمّة ، أم إلى الأمَة؟ وهل لذلك عَلاقة بأمّيّة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعدمِ معرفتِه ومعرفةِ قومِه القراءةَ والكتابةَ؟ والإجابة كذلك عن الأسئلة المتفرّعة عن هذا السؤال المحوريّ ؛ وذلك من خلال استقراء النصّ القرآنيّ ، لا سيّما الآيات التي وردت فيها لفظة الأمّيّ صفةً للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، أو لفظة الأمّيّين التي جاءت على لسان اليهود صفةً للعرب , والأحاديث النبويّة ، وآراء المفسّرين والباحثين، لتوضيح المقصود من اللفظتين؛ لا سيّما وأنّ المنطق والواقع التاريخي يُبيّنان أنّ العربَ لم يكونوا جميعَهم يجهلون القراءة والكتابة، ولا كان اليهودُ كلّهم يحسنونَهما.

الكلمات المفتاحيّة: القرآن؛ النبيّ الأمّيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؛ الأمّيّون؛ العرب؛ اليهود.

مقدّمة عامة

ما معنى لفظة الأمّيّ الواردة في النص القرآنيّ بالمفرد صفةً للنبيّ، وبالجمع صفةً للعرب؟

لغويًّا: قال ابن منظور: الأمّيّ الذي لا يكتب، ونقل عن الزجّاج قوله: الأمّيُّ الذي على خِلْقَةِ الأُمّةِ لم يتعلَّم الكتاب فهو على جبلَّتِه... ونَقل عن ابن إسحَاق قولَه: معنى الأمّيّ المنسوب إلى ما عليه جَبَلَتْه أُمُّه أي لا يكتبُ، فهو في أنَّه لا يكتبُ أمّيّ لأنّ الكتابةَ هي مكتسبةٌ، فكأنّه نُسِب إلى ما يولدُ عليه، أي على ما ولدَتْه أمُّه عليه، وكانتِ الكُتّابُ في العربِ من أهلِ الطائفِ تعلَّموها من رجلٍ من أهلِ الحِيرَةِ، وأخذها أهلُ الحيرةِ عن أهلِ الأنبار؛ وأوردَ ابن منظور أيضًا الحديث: " إنّا أمّةٌ أميّة لا نكتُبُ ولا نحسُبُ"؛ أرادَ أنّهم على أصلِ ولادة أمّهم، لم يتعلَّموا الكتابةَ والحساب، فهم على جبلَّتِهم الأولى؛ والحديث: " بُعثتُ إلى أمَّةٍ أمّيّةٍ"؛ وقال ابن منظور: قيل للعرب الأمّيّون لأنّ الكتابةَ كانت فيهم عزيزةً أو عديمة... وقيل لسيّدنا محمّدٍ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمّيّ لأنّ أمَّةَ العربِ لم تكن تكتبُ ولا تقرأ المكتوبَ، وبعثَه الله رسولًا وهو لا يكتبُ، ولا يقرأ من كتاب، وكانت هذه الخَلَّةُ إحدى آياته المُعجزةَ لأنّه، صلّى الله عليه و آله وسلم، تلا عليهم كتابَ الله منظومًا، تارةً بعد أخرى بالنظم الذي أُنزِلَ عليه، فلم يُغيّرهُ، ولم يبدّل ألفاظَه، وكان الخطيبُ من العربِ إذا ارتجلَ خطبةً ثمَّ أعادها زاد فيها ونقصَ، فحفظه الله على نبيّه كما أنزله وأبانه من سائرِ من بعثَه إليهم بهذه الآيةِ التي بايَنَ بينه وبينهم بها، ففي ذلك أنزل الله تعالى : " وما كنت تتلو قبلَه من كتابٍ ولا تخطّه بيمينِك، إذًا لارتابَ المُبطِلونَ الذين كفروا، ولقالوا إنّه وجدَ هذه الأقاصيصَ مكتوبةً فحفظها من الكتُب".[30]

وتفاسير القرآن – كالمعاجم اللغويّة– تفسّر كلمة "الأمّيّ" أولًا بأنّه الذي "لا يقرأ ولا يكتب" كما ولدته أمّه نسبةً إلى الأمّ[31]، وثانيًا أنّ صفة الأمّيّ نسبة إلى مكّة لأنّها أمّ القرى، وثالثًا بعضُ

---

[30] ابن منظور، لسان العرب، ط. صادر، ج ١٢، مادة أمم، ص٣٤

[31] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ١، ص ٣٨١، وج ٣، ص ١٣٧٨-١٣٧٩ وج ٦، ص ٣٥٦٤؛ مغنية، التفسير الكاشف، ج ١، ص ١٣٣، وج ٢، ص ٣٠؛ الطباطبائي، الميزان، ج ١٠، ص ٢٦٤؛ فضل الله، من وحي القرآن، ج ٢٢، ص ٢٠٥.

التفاسير الحديثةِ مثل " في ظلال القرآن" و"الميزان" على سبيل المثال، تُشير فضلًا عن النسبتين السابقتين إلى نسبةِ اللفظةِ إلى "الأمم"[32] ، وأحد المؤرخين يقول: إنّ العربَ وُصِفوابصفةِ " الأمّيّين" نسبةً إلى الأمَةِ [الجارية] هاجر أمّ إسماعيل عليه السلام جدّ العرب.

إذًا هنالك من سمّى العربَ «الأمّيّين» قبل البعثةِ وقبلَ نزولِ القرآن؛ من أطلق عليهم هذا الإسم؟

في تفسيرهِ للآية الثانية من سورة الجمعة قال سيّد قطب: " قيل إنّ العرب سمّوا أمّيّين لأنّهم كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون في الأعمّ الأغلب، ورُوِيَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: إنّا نحن أمَّةٌ أمّيّةٌ لا نحسبُ ولا نكتب[33]، وتابع سيّد قطب القول: قيل إنّما سُمّيَ من لا يكتب أمّيًّا لأنّه نُسب إلى حال ولادته من الأمّ، لأنّ الكتابةَ، إنما تكون بالاستفادةِ والتعلّم؛ وربّما سمّوا كذلك كما كان اليهود يقولون عن غيرهم من الأمم إنهم جوييم باللغة العِبريّة أي أمّيّون، نسبة إلى الأمم – بوصفهم هم شعبُ الله المختار وغيرهم هم الأمم– والنسبة بالعربيّة إلى المفرد، أمّة أمّيّون، ويرى سيّد قطب أن هذا ربّما كان أقرب إلى موضوع السورة.[34]

وفي تفسيره للآية الثانية من سورة الجمعة قال العلامة الطباطبائي: " الأمّيّون جمع أمّيّ وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب والمراد بهم -كما قيل- العرب لقلّة من كان منهم يقرأ ويكتب، وقد كان الرسولُ منهم أي من جنسهم، وهو غير كونه مرسلًا إليهم، فقد كان منهم وكان مُرسلاً إلى الناسِ كافةً، واحتُملَ أن يكونَ المراد بالأميّين غير أهل الكتاب كما قال اليهود – على ما حكى الله عنهم :{ ليس علينا في الأمّيين سبيل} [35]

---

[32] سيد قطب ج ٦،ص ٣٥٦٤؛ الطباطبائي، م. ن، ج ١٠، ص ٢٦٤؛ فضل الله، من وحي القرآن، ج٢٢، ص٢٠٥؛ لواساني، نظرات جديدة في تاريخ الأدب، ط ٢، ص ٣٣٢.

[33] سيّد قطب، ج ٦، ص ٣٥٦٤، ذكر سيّد قطب هذا الحديث نقلًا عن الجصّاص صاحب أحكام القرآن، وقال عنه إنّه غير مسند.

[34] م.ن، ص.ن.

[35] آل عمران /٧٥

ومع أن الطباطبائي يتبنى الرأي القائل إنّ اليهود يسمّون غيرهم الأمّيّين، لكنَّه يستبعد المعنى في الآية الثانية من سورة الجمعة، " لأن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، لم يخصّ في أوّل الدعوة غير العرب وغير أهل الكتاب بشيء من الدعوة لم يُلقِه إليهم، ولا منافاة بين كونه من الأميّين [العرب] مبعوثًا فيهم، وبين كونه مبعوثًا إليهم وإلى غيرهم وهو ظاهر، وتلاوته عليهم آياته وتزكيته وتعليمه لهم الكتابَ والحكمة لنزوله بلغتهم وهو أوّل مراحل دعوته، ولمّا استقرّت الدعوةُ بعضَ الاستقرار، أخذَ يدعو اليهودَ والنصارى والمجوسَ وكاتبَ العظماءَ والملوك.[36]

إذًا هنالك ثلاثة آراء حول معنى لفظة الأمّيّ، التي لا تناسبُ الرسول إلّا لكونه واحدًا من العربِ الأمّيّين، أمّا الأمّيّ بمعنى الجهل فلا تنطبق عليه وهو المعصوم؛ الأقرب إلى العقل والمنطق من هذه الآراء الثلاثة، هو أنَّ اليهود هم الذين سمّوا العرب "الأمّيّين"، أمّا الرأي الأوّل الغالب، القائل إنَّ الأمّيّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب كما ولدته أمّه نسبةً إلى الأمّ، إنّما هو تفسير ضعيف ومحدود لا ينسجم مع المنطق ولا مع الواقع التاريخيّ، لأنّ العربَ لم يكونوا جميعًا يجهلون القراءة والكتابة، ولا كان اليهود كلهم يحسنونهما، حتى تجوزَ صفة الأمّيّين بذلك المعنى على العرب و"القارئين" أو "المتعلّمين" على أهل الكتاب، وبالخصوص على اليهود، بل الأرجح أنّ الأكثريّة الغالبة من اليهود في الجزيرة كانت أيضًا تجهل القراءة كبقيّة العرب في المجتمع البدويّ.

يقول إبن خلدون: " إنّ العربَ لم يكونوا أهلَ كتاب ولا علم؛ وإنّما غلبت عليهم البداوةُ والأمّيّة، وإذا تشوّفوا إلى معرفة شيءٍ ممّا تتشوّف إليه النفوس البشريّة في أسباب المكوّنات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهلُ التوراةِ من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراةِ الذين بين العرب يومئذ

---

[36] الطباطبائي، الميزان، ج 10، ص 264.

باديةٌ مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامّة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حِمْيَر الذين أخذوا بدين اليهوديّة".[37]

ووصفهم القرآن بقوله: { ومنهم أميّون لا يعلمون الكتابَ إلا أمانيّ، وإن هم إلّا يظنّون }.[38]

إذًا أهل الكتاب فريقان: فريقٌ أمّيّ جاهل لا يدري شيئًا من كتابهم الذي نزل على نبيّهم، ولا يعرف منه إلا أوهامًا وظنونًا، وإلّا أمانيّ في النجاة من العذاب، بما أنهم شعبُ الله المختار، المغفورُ له كلّ ما يعمل وكلّ ما يرتكب من آثام، وفريقٌ يستغلّ هذا الجهل وهذه الأمّيّة فيزوّر على كتاب الله، ويُحرّف الكلم عن مواضعه بالتأويلات المغرِضة، ويكتم منه ما يشاء ويُبدي منه ما يشاء، ويكتب كلامًا من عند نفسه يذيعه في الناس باسم أنّه من كتاب الله؛ لتظلّ لهم السلطة المعنويّة على الآخرين؛ وعلى الرّغم من أنّ أهلَ الكتاب في الجزيرة العربيّة لم يكونوا أوسع ثقافة من العرب، كانوا المرجع الذي يعود إليه العرب المشركون يستفتونهم في شأن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، وكانوا ينظرون إليهم نظرة التلميذ إلى معلمهم، واليهود ينظرون إليهم نظرةَ استعلاء، لأنّهم من نسلِ الأمةِ هاجر.

هل كان العرب وحدهم هم الذين يجهلون القراءة والكتابة ليوصفوا لهذا السبب بأنّهم أمّيّون؟ وهل كانت الشعوب المجاورة والبعيدة، ذاتُ الحضارات العريقة كمصر وبلاد ما بين النهرين وإيران على سبيل المثال أممًا قارئةً كاتبة؟

المؤكّد والثابت تاريخيًّا أن لا.

الناس في تلك الحضارات كانوا طبقتين: الأحرار المتعلّمون والعبيد الأمّيّون. الطبقة الأولى الممتازة تضمّ الحكّامَ أنصافَ الآلهة وكتّابَهم وأطبّاءهم وكهنتَهم، وهؤلاء هم الذين كانوا يتعلمون. أمّا الطبقة الدنيا فتضم العبيد وعامّة الناس من عمّال وجنود ومزارعين يعملون في خدمة المعابد والقصور، وهؤلاء لم يكن يُسمح لهم أن يتعلّموا. كان الاعتقاد السائد في

---

[37] ابن خلدون ، المقدّمة، ج١، ص٤٣٩.

[38] البقرة/ 78.

مصر الفرعونيّة أنّ الآلهةَ هي التي علّمت أنصاف الآلهة والكهنةَ الكتابةَ الهيروغليفيّة المقدّسة، وكان محرّمًا على العامّةِ والعبيدِ تعلُّمُها ، والأمرُ نفسه ينطبق علي اللغة المسماريّة في بلاد ما بين النهرين، ومشهورةٌ في المصادر الزرادشتيّة والإيرانيّة المختلفة، وفي شاهنامة الفردوسي قصّة الحذّاء الذي قدّم مبلغًا من المال مساهمةً منه في تجهيز الجيش، وطالب أن يُسمح لابنه أن يتعلّم القراءة والكتابة، فسُجن لمجرّد أنّه طلب ذلك .[39]

وكانت صفة العبد تُطلق على أيّ واحدٍ أبواه من عامّة الشعب أو من العبيد حتى وإن كان أبوه حرًّا، وهذا التشريع الذي كان عُرفًا في مصرَ وإيران موجودٌ في المادّة ٢٤٠ من قانون حمورابي.

وفي الجاهليّة كان العرب يتبعون عاداتٍ وأعرافًا غير محدّدةِ المصدر، منها احتقارهم أبناءَ الإماء، ومعروفةٌ قِصّةُ عنترة...

النتيجة أنّ كلّ حرٍّ في هذه المجتمعات هو متعلم، وكل متعلّم حرّ، وكلّ عبدٍ أمّيّ وكلّ أمّيٍّ عبد.

ولمّا نزلت الدعوة كان الناس في الجزيرة العربية طبقتين: أهلُ الكتاب المتعلمون، والذين لا كتاب لهم الأميّون. ومن الطبيعي أن تكون صفة الأمّيين، هي الصفة التي أطلقها أهلُ الكتاب على العرب الذين ليس لهم كتاب، حتى وإن كان بعضُهم يعرفُ القراءة والكتابة.

قال المفسّرون كذلك، إنّ صفة الأمّيّ والأمّيين نسبةً إلى مكّة: أمّ القرى اعتمادًا على قوله تعالى : { وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } .[40]

---

[39] مطهري، مرتضى، الإسلام وإيران، ص ٢٤٤_ ٢٤٦.

[40] الأنعام/٩٢.

قيل:" سُمّيت مكّة بهذا الإسم، لأنّها قِبلةُ أهل القرى وحجُّهم، وهم يتجمّعون عندها تجمُّعَ الأولاد عند الأمِّ المشفقة، ويعظّمونها أيضًا تعظيمَ الأمّ، ولأنّها أعظمُ القرى شأنًا، فغيرُها تبَعٌ لها كما يتبعُ الفرعُ الأصلَ. وقيل: لأنّ الأرضَ دُحِيَتْ من تحتِها فكأنّها خرجت من تحتها كما يخرج الأولاد من تحت الأمّ، أو لأنّها مكانُ أوّلِ بيتٍ وُضِع للناس".[41]

وجاء في معجم البلدان: " أم القرى: من أسماء مكّة؛ قال نفطَوَيه: سُمِّيت بذلك لأنّها أصل الأرض، منها دُحيَت، وفَسّر قوله تعالى : { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}[42]، على وجهين: أحدها أنّه أراد أعظمَها وأكثرها أهلًا والآخر أنّه أراد مكّة؛ وقيل سُمّيت مكّة أمّ القرى لأنّها أقدمُ القرى التي في جزيرةِ العرب وأعظمُها خطرًا، إمّا لاجتماع أهلِ تلك القرى فيها كلّ سنة، أو انكفائهم إليها وتعويلهم على الاعتصام بها لما يرجونه من رحمة الله تعالى؛ وقال ابن دُرَيْد: " سُمّيت مكّة أمّ القرى لأنّها توسّطت الأرض، والله أعلم؛ وقال غيرُه: لأنّ مجمع القرى إليها؛ وقيل بل لأنّها وسط الدنيا، فكأنّ القرى مجتمعة عليها؛ وقال الليث: كلّ مدينة هي أمّ ما حولها من القرى؛ وقيل سُمّيَت أم القرى لأنّها تُقصدُ من كلّ أرضٍ وقرية" .[43]

إنّ نسبة "الأمّيّ" إلى أمّ القرى غير صحيحة لغويًّا، لأنّ النسبة لا تعود إلى الجزءِ الأوّل من الاسم المركّب وحده، فضلاً عن أنّ تفسير عبارةِ أمّ القرى أنها «مكّة» حصرًا يدحضه قولُه عزّ وجلّ: { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ}[44]، فالمقصود بأمّ القرى هنا المعنى العام أي البلد الكبير أو العاصمة، وكلّ مدينةٍ أو قريةٍ كبيرة. هي أمّ ما حولها من القرى[45]. ومكّة إسلاميًّا لم تكن أرفع من يثرب التي احتضنتِ الدعوة، ولا أهمّ وأرفع قيمةً من جُلّق أو الحِيرَة، والنبيّ لم يُبعث

---

[41] داود، المعجم الموسوعي للتعبير الاصطلاحي في اللغة العربيّة، القاهرة، ط ١، ١٤٣٥/ ٢٠١٤، ج ا؛، ص ٢٥١.
[42] القصص/٥٩
[43] الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لا تا، ج١، ص ٢٥٤.
[44] القصص/٥٩
[45] ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٢٢.

إلى قريش فقط، ولا إلى أهل مكّة وحدهم. وورد في القرآن في دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[46]، وقوله عزّ وجلّ (فيهم) أي في آل إسماعيل من عرب مضر أعم من أهل مكّة وغيرهم؛ فضلاً عن كون النبي محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم مبعوثًا إليهم وإلى الناس جميعًا كما تُقرّر الآيات كلُّها" .[47]

نعود إلى أهل الكتاب الذين ميّزوا أنفسَهم من غيرهم { ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[48]. من من أهل الكتاب كان يقول ذلك؟

إنّ فكرة وجود شعب متميّز يفضُل غيره، فكرة نجدها في اليهوديّة دون الديانات الأخرى. لعلّ أتباع كلّ دينٍ أو ديانةٍ يرون أنّ دينهم _كدين_ هو الحقّ، وهو الأصوب، ولكنّ فكرة أنّ الله يميّز جنسًا بشريًّا _كجنسٍ_ ويفضّل شعبًا من الشعوب، فيقفه على نفسه ويجعله شعبه المختار، فلا نجد مثلها إلّا عند اليهود وحدهم: "إنهم يؤمنون أنّ الفرق بين الإنسان والحيوان، هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب"[49]. وهذا التفسير ناتج عن تكرار عبارة "الشعب المختار" في العهد القديم، التي فسّرها اليهود بأنّ الله اختارهم كجنس _ لا كأتباع دين _ شعبًا خاصًّا به وحده[50]، فالناس في نظر اليهود درجتان: الدرجة الأرفع اليهود، والدرجة الأدنى باقي الناس، أو "الأمم" [الشعوب الأخرى] وغير اليهود حيوانات خلقها الله على صورة الإنسان لتخدم شعب الله المختار، والخارجون عن دين اليهود سرقتُهم جائزة وغشّهم والكذب عليهم مسموح به ، والربا من أموالهم جائز بل مفروض، وعدم وفاء

---

[46] البقرة/ ١٢٩

[47] الطباطبائي، الميزان، ج ١٠، ص ٢٦٤

[48] آل عمران/٧٥

[49] نصرالله، يوسف حنا، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ط ٢، ص ٦٧.

[50] لواساني، نظرات في تاريخ الأدب، ص ٣١٠، نقلاً عن سفر الخروج (٥:١٩)، سفر أشعيا (٤٣:٢٠)، تحقيق اليازجي.

ديونهم لا مسؤوليّة فيه، إلى أمثال هذه التعاليم التي تنضح بالحقدِ وكرهِ البشر والقسوةِ عليهم .[51]

أمّا في العهد القديم فإننا نجد مثالاً لجواز سرقة اليهود للأمم الأخرى، وعدم إرجاع أماناتهم في سِفر الخروج .[52]

في القرآن الكريم آيات عديدةٌ تناقش معتقدات اليهود العنصريّة وتسفّهها، ممّا يدل بصورةٍ لا تدعُ مجالاً للشك على أنّ اليهود كانوا يقولون بهذه المعتقدات في عهدِ الرسول. فادعاؤهم الأفضليّة من حيث العنصر واضحٌ في الآية الكريمة: { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[53]. وأمّا غشّ الآخرين والتظاهر أنّهم منهم لإفسادهم فبيّنٌ في الآية الكريمة: {وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.[54]

وأمّا تجويزهم لأنفسهم عدم ردّ أمانات أبناء الأمم والشعوب لأنّهم في اعتقادهم لا ذمّةَ لهم ولا حقّ وفاء على اليهوديّ فواضحٌ في الآية الكريمة: { مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}[55]. وعبارة " ليس علينا في الأميّين من سبيل" توضّح بجلاء أنّ سبب هذا الموقف إنّما هو المبدأ التلموديّ الذي يحصر الوفاء بالديون لليهود، أمّا الأميّون، أي غير اليهود، فليس على اليهود سبيلٌ فيهم، أي لا حقّ على اليهود تجاههم، ولا مسؤوليّة عليهم نحوهم.

---

[51] الكنز المرصود، ص ٦٦_ ٨٣.

[52] سِفر الخروج، (2:11) و (12- 35- 37).

[53] الجمعة/٦

[54] آل عمران/ ٧٢

[55] آل عمران/ ٧٥

نجد في العهد القديم مثالاً لجواز أن يسرق اليهود "الأمم" [جوييم: مفردها جوي التي تعني شعب أو قوم] وأن لا يُرجِعوا إليهم آماناتهم في سِفر الخروج، حيث يأمر موسى اليهود قبل مغادرتهم مصرَ سرًّا بأن "يطلب الرجل من صاحبه والمرأةُ من صاحبتها أمتعةَ فضَّةٍ وأمتعةَ ذهبٍ"[56] ليأخذوها معهم في مغادرتهم البلادَ سلبًا وسرقة[57]. لذلك نرجّح أن تكون لفظة "الأمّيين" الواردة في "ليس علينا في الأمّيين سبيل" وفي خمسة مواقع أخرى غيرها في القرآن الكريم تارةً بالجمع وتارةً بالمفرد، هي تعريب لفظة جوييم العبريّة بمعنى غير اليهود، ويهود الحجاز هم الذين أطلقوها قبل نزول الوحي على العرب، أمّا شرح "الأمّيين" في التفاسير بأنهم العرب، مع أن المفروض أن يكون جميع الذين ليسوا يهودًا "أمّيين"، لا العرب وحدهم، فلأنّ المجتمع الحجازيّ آنئذٍ، لا سيّما مكّة ويثرب، لم يكن يضمّ إلّا يهودًا وعربًا، أو كثرة ساحقة من العرب بإزائهم، فانحصرت الصفة في ذلك المجتمع بالعرب، وغلبت صفة الكثرة، فصارت صفة المجموع، تمامًا كما غلبت مع الزمن في أذهان العامّة صفةُ "العجم" للفرس، مع أنّ الفرس في المجتمع الإسلاميّ كانوا يشكّلون الكثرة الكاثرة الساحقة من العجم إزاء العرب، فغلبت صفتُهم على المقصود من الاسم .[58]

ويُظهر القرآن عقيدة أخرى كان اليهود يعتنقونها أو يبشّرون بها عند ظهور الإسلام، هي أنّ الأنبياء والرسل يجب أن يكونوا من بني إسرائيل وحدهم. أمّا الأغيار الأميّون غير اليهود فلا يظهر فيهم رسلٌ أو أنبياء، وبذا يُكذّبون نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم، لأنّه ليس من بني إسرائيل، لذلك قال تعالى في سورة الجمعة: { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[59]. والظاهر أنّ هذه العقيدة قد تأثّر بها العرب "الأمّيون" أنفسُهم، ورأوا أنّ هذه الكرامة خاصّة باليهود وحدهم، لذا نراهم يعجبون من ظهور رسولٍ فيهم وهو ما يبدو واضحًا في

---

[56] سفر الخروج (٢:١١).
[57] م.ن، (١٢: ٣٥-٣٧).
[58] لواساني، م.س، ص ٣٣٣.
[59] الجمعة/٢

قوله تعالى: { بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ }[60] {وعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}[61]. و { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ..}.[62]

هنالك رأيٌ قد تفرّد به المؤرخ علي غندور ليس بعيدًا من المنطق، في محاضرةٍ له مطبوعةٍ مع محاضرات أخرى، تناول فيها موضوع أمّيّة النبيّ، قال فيها بعد أن تحدّث عن النظام الطبقيّ الذي يميّز بين الأحرار والعبيد ما مفاده أنّ اليهود هم الذين وصفوا العرب بهذه الصفة، لأنّهم من نسل يعقوب بن إسحاق، ابن الحرّة سارة، في حين أنّ العرب هم من نسل إسماعيل ابن الأمّة ،أو الأَمَة هاجر. ونسل يعقوب هم الذين عُرفوا بأنّهم "أهل الكتاب" . فالنبوّة قد حُصِرت فيهم، حتى المسيح ابن مريم يعود من جهةِ أمّه إلى إسحق؛ والنسب عند اليهود يعود إلى الأمّ لا إلى الأب؛ لقد احتقر اليهود البشر جميعًا من غير اليهود، لكنّ حقدهم على أبناء الأمَة العرب كان أكبر، حتى أنّ العهد القديم يخلو من أيّ ذكر لِنسل إسماعيل، في حين إنّه حافلٌ بأخبار إسرائيل أي يعقوب بن إسحاق ابن سارة. ويصل في النهاية إلى هذه النتيجة: " بعد ما ذكرته، أحصرُ لقب الأميّ والأمّيّين كصفة لنسل إسماعيل ابن الأمّة ولفظةَ أمّيّ مشتقة من لفظة "أمّة" أي جارية، ويلفظها العرب أَمَة [أَمَةُ الله]، وبحسب العرف القديم الذي كان يحرم أبناء العبيد والإماء من التعلّم، يصبح العبد أمّيًّا نسبة إلى أمّه الأمَة، والصفة امتداد للتمييز الطبقي والعنصري الذي تميّز به أبناء الستّ من أبناء الجارية؛ وقد ألغى الله عزّ وجلّ هذا التمييز الطبقي، فبعث من نسل إسماعيل رسولاً ودعا أهل الكتاب [نسل الحرّة] والأمّيّين [نسل الأمّة] ليؤمنوا به .[63]

هل كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أميًّا بمعنى جهل القراءة والكتابة؟

---

60 ق/ 2.
61 ص/ ٤.
62 يونس/ 2.
63 غندور، علي زين، كنوز الذاكرة، ط ٢٠١٤، ص ٢٨- ٤٠. ط. طرطوس، ص ٥٨- ٦١.

المفسّرون متّفقون أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان قبل البعثة لا يعرف القراءة والكتابة كالعرب قومه الذين كانوا كما تذكر المصادر أمّيين لا يعرفون القراءة والكتابة، إلّا من شذَّ منهم، حتى ليُذكر أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أرسل رسالةً إلى قبيلة بكر بن وائل، فلم يجدوا قارئًا لها في القبيلة كلّها، وقرأها لهم رجلٌ من بني ضبيعة، فهم يسمّون: بني الكاتب[64]. وعن ابن عبد ربّه أنه قال : " وجاء الإسلام وليس أحدٌ يكتبُ بالعربيّة غير سبعةَ عشرَ إنسانًا، ثمّ عدّهم فذكر عليًّا عليه السلام أوّلاً، ويُلاحظ من أسمائهم أنّ أكثرهم قد تعلّمها بعد ظهور الإسلام، وذِكْرُ اسم عليٍّ عليه السلام يدلّ على ذلك[65]. ويؤكّد هذا الأمر قولُه عزّ وجلّ {مَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ } .[66]

معجزة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قرأ وكتب بعد البعثة. لكنّ عددًا من العلماء الغربيين قالوا إنّ النبيّ كان يقرأ ويكتب قبل البعثة وإنّ ما في القرآن من قصص الأنبياء الأوّلين وأخبار الماضين دليلٌ على أنّ محمّدًا كان يقرأ الكتب القديمة[67]. وهدفُهم المباشر وغيرُ المباشر إنكارُ الوحي؛ وقد قلّدهم في ما قالوه بعضُ العرب والمسلمين، ومنهم معروف الرصافي الشاعر المعروف في كتابه

" الحقيقة المحمّديّة"

يقول الرصافي في مقطع بعنوان: العرب أمّيّون ومحمّدٌ منهم:

"كلّ ما في القرآن من قصص الأنبياء الأوّلين وأخبار الماضين ممّا هو مسطورٌ في التوراة وغيرها من الكتب القديمة يدلُّ على أنّ محمّدًا كان على علمٍ بأخبار الأمم الماضيَة، ومعنى

---

64 مرتضى، السيرة،النبويّة مج ٣، ص ٢٥ نقلاً عن مجمع الزوائد، ج ٥، ص ٣٥، وكشف الأستار عن مسند البزّار، ج ٢، ص ٢٦٦، و المعجم الصغير، ج1، ص ١١١.

65 مرتضى، م.ن، ص.ن، نقلاً عن فتوح البلدان، ط أوروبا ص ٤٧١ وما بعدها وص ٨٠ في القسم الثالث من الطبعة التي حقّقها صلاح الدين المنجّد.

66 العنكبوت/ ٤٨

67 ياسين، الشيخ خليل، محمد عند علماء الغرب، ص ٧١_ ٧٤.

ذلك أنّه كان يقرأ الكتب القديمة، فيصحّ أن نستدلّ بما جاء في القرآن من القصص والأخبار على أنّ محمّدًا كان يُحسن القراءة والكتابة، ولكنْ للمؤمن المتديّن أن يعترض علينا فيقول إنّ محمّدًا لم يسبق له علمٌ بأحوال الأمم الماضية، وإنّما جاء بهذه القصص وهذه الأخبار عنهم بوحيٍ أوحاه الله إليه بواسطة جبريل، فاستدلالكم بها على أنّه كان يُحسن القراءة والكتابة غير صحيح"، وفي ردّه على اعتراض المؤمنين بالوحي يقول الرصافي إنّ لمحمد (ص) كلامًا خارجًا عن دائرة الوحي النازل به جبريل، و ليس كلّ كلامه من الوحي النازل به جبريل"[68] ؛ وفي تعليله لمصطلح الأمّيين وصفًا للعرب، قال الرصافي منطلقًا من تخرّصاته التي ينتقص فيها من قيمة الوحي، .." فمحمّدٌ لمّا قام بالدعوة إلى الإسلام أراد أن يميّز في كلامه بين الأمّة التي لها كتاب والأمّة التي ليس لها كتاب، فسمّى العرب بالأمّيين، وأراد بذلك أنّهم أمّةٌ ليس لها كتابٌ منزّلٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ ليذكرهم في مقابلة الكتابيّين، ولم يُرِد في هذه التسمية أنهم لا يقرأون ولا يكتبون، لأنّ فيهم من يُحسن القراءة والكتابة، وإنْ كان أكثرهم لا يُحسِنُها.

ويقول: لقد استعمل [قصده النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم] الأمّيين بهذا المعنى في آية جاءت في سورة آل عمران وهي: { قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ }[69]، وأراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى، وبالأمّيين العرب لأنّهم لا كتاب لهم، لا لأنّهم لا يحسنون القراءة والكتابة... وجميع الأمم في ذلك الزمان كانوا كالعرب لا يعرفون القراءة والكتابة، لأنّ القراءة والكتابة في ذلك الزمان كانت محصورة في طبقة خاصّة من الناس، والذين يقرأون ويكتبون كانوا يُعَدون بالأصابع في كلّ أمّةٍ من أمم ذلك العهد. فالصحيح هو أنّه سمّى العرب أمّيين لأنّهم ليسوا أهل كتابٍ، أي ليس لهم نبيٌّ مرسل ولا كتابٌ منزل. وبهذا المعنى محمّدٌ أمّيٌ أي منسوبٌ إلى أمّةٍ ليس لها كتاب، لا بمعنى أنّه لا يقرأ ولا يكتب كما جاء في سورة الجمعة { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

[68] الرصافي، الحقيقة المحمدية ،ص ١٦٦ وص ١٤٥_ ١٦١.
[69] آل عمران/ ٢٠

وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[70]، أي رسولاً أمّيًّا منسوبًا إلى أمّة العرب التي هي أمّة ليس لها نبيٌّ مرسل ولا كتابٌ منزّل .[71]

المأخذ على كلام الرصافيّ نسبته الكلام إلى النبيّ لا إلى الوحي، ثم يقول: " أمّا الأمّي في اللغة فهو الذي لا يعرف الكتابة والقراءة، وهو منسوبٌ إلى الأمّ لأنّ الكتابة مكتسبة، فكأنّه على ما وُلِدَ عليه من الجهل بالكتابة، ولكنّ العرب لمّا كانوا ليسوا أهل كتاب يرجعون إليه في ديانتهم، اصطلح محمّد[هكذا] على تسميتهم بالأمّيين لأنّهم بمنزلة الأمّيّ بالمعنى اللغويّ باقون على ما ولدوا عليه من الجهل بالكتاب والدين، فالأميّ بالمعنى اللغويّ نسبة إلى الأمّ، والأمّي بالمعني الاصطلاحيّ نسبة إلى الأمّة أي إلى العرب. وقد استعمل محمّد [هذه عبارة الرصافيّ حرفيًّا] الأمّي بالمعنى اللغويّ في القرآن أيضًا، حيث قال عن اليهود: { مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ } .[72]

ونقل الرصافي من "السيرة الحلبيّة"] لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد ابن سيد الناس الشافعي (671 – 734 هـ) [روايات تصرّح أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يقرأ ويكتب أيضًا، قبل الدعوة لكنّ الردّ على هذه الادّعاءات بسيط جدًّا، لأنّ الأمر بالقراءة قد جاء إلى النبيّ منذ بداية نزول الوحيّ، ذلك أنّه قرأ وكتب حين وبعد نزول الدعوة، وتلك معجزة.

أمّا الرواية التي اعتمد عليها الرصافيّ، فقد تكرّرت من قبل في ما كتبه الغربيون [73]، وقد أورد خليل ياسين أقوالهم تلك مفصّلةً .

---

[70] الجمعة/٢

[71] الرصافي، الحقيقة المحمّدية، ص ١٦٧.

[72] البقرة/٧٨

[73] ياسين خليل، محمد عند علماء الغرب، ص ٧١_٧٤.

وليؤكّد الرصافيّ ما قاله عن أنّ النبيّ (ص) كان يُحسن القراءة والكتابة، اعتمد على الروايات نقلاً عن السيرة الحلبيّة التي تروي ما وقع يوم صلح الحديبيّة، وأنّ محمّدًا (ص) لمّا أمر عليًّا بن أبي طالب عليه السلام أن يكتب كتاب الصلح بينه وبين سهيل بن عمرو الذي فوّضَت إليه قريش أمرها حين أرسلته إلى النبي (ص)، جعل يُملي عليه وهو يكتب، فقال له: اكتب هذا ما صالح عليه محمدٌ رسولُ الله سهيلاً بن عمرو، فقال سهيل لو شهِدتُ أنّك رسول الله ما خالفتك، أفترغبُ عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبدالله، فقال رسول الله: إمحُ "رسول الله"، فقال عليّ: والله لا أمحوك أبدًا، فقال: أرنيه، فأراه إيّاه فمحا عبارة "رسول الله" بيده، وقال لعليّ: اكتب هذا ما صالح عليه محمّدٌ بين عبدالله سهيل بن عمرو، فجعل عليّ يتلكأ ويأبى أن يكتب إلّا "محمّد رسول الله"، فأخذ رسول الله الكتاب بيده، فكتب هذا ما قاضى عليه محمدٌ بن عبدالله .[74]

هذه الرواية التي اعتمد عليها الرصافيّ لا تؤكّد زعمه أنّ النبيّ (ص) كان يعرف القراءة والكتابة قبل الدعوة، لأنّ الحدث المرويّ قد وقع بعد نزول الدعوة، وبعد أن حدثت معجزة القراءة والكتابة حين أمر الله عزّ وجلّ النبيّ بالقراءة.. وعلى هذه الرواية اعتمد ابن خلدون حين تكلّم على صلح الحديبيّة، وعدّ ما جرى معجزة للنبيّ، حيث كتب وهو لا يعرف الكتابة[75]. وروى الرصافيّ أيضًا، نقلاً عن السيرة الحلبيّة، أنّ أبا الوليد الباجي المالكي تمسّك بظاهر قوله: "فكتب"، فذهب إلى أنّ رسول الله كتب بيده فشنّع عليه علماء الأندلس في زمانه بأنّ هذا مخالفٌ للقرآن، فناظرهم واستظهر عليهم بأنّ هذا لا ينافي القرآن وهو قوله: { مَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ }.[76]

لأنّ هذا النفيّ مقيّدٌ بما قبل ورود القرآن، وأمّا بعد أن تحقّقت أمّيته وتقرّرت بذلك معجزته، فلا مانع من أن يعرف الكتابة من غير معلّم، فتكون معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه

---

[74] الرصافي، ص ١٩٨ نقلاً عن السيرة الحلبيّة، ج٣، ص ١٩_٣١.

[75] المقدّمة، ص ٤٣٩و ٢٣٢.

[76] العنكبوت/٤٨

أمّيًا[77]، ويعلّق الرصافي على هذا الكلام بقوله: " لا حاجة إلى هذا التكلّف من أبي الوليد ولا إلى ذلك التأويل من غيره، إنّ محمّدًا كان قبل ورود القرآن أي قبل النبوّة يقرأ ويكتب، ولكنّه كان يكتم ذلك، ولا يتظاهر به ولا يدّعيه ولا يتعاطاه، ولم يكن أحدٌ يعرف ذلك منه سوى عمّه العبّاس... وإذا كان محمّد لا يتظاهر بالكتابة ولا يتعاطاها قبل النبوّة، وإن كان يُحسنها فكتابتُه الكتابَ بيده يوم الحديبية لا يُنافي ما جاء في القرآن من قوله: { وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك..} لأنّ النفيَ الوارد في هذه الآية إنما هو بالنظر إلى الواقع، والواقع هو أنّه لم يتفق له أن كتب شيئًا قبل النبوّة وإن كان يعرف الكتابة، ولا يلزم من معرفة الكتابة وقوعها .[78]

ونقل من السيرة الحلبية أيضًا، أحاديث أخرى تشير إلى معرفة النبيّ بسيرة الأنبياء السابقين، علمًا أنّ الأحاديث نفسها تؤكّد أنّ هذه المعرفة، كانت بعد الدعوة وليس قبلها: منها حديثٌ يقول: لمّا وُلد الحسن بن عليّ بن أبي طالب جاء النبيّ (ص) وقال: أروني ابني ما سمّيتموه؟ فقال علي (ع) سمّيته حربًا، قال: هو حسن، ولمّا وُلد الحسين جاء أيضًا، وقال ما سمّيتموه؟ قالوا: حربًا، قال: بل اسمه حسين، فلما وُلد الثالث، جاء أيضًا، فقال أروني ابني ما سمّيتموه؟ قال عليّ: سمّيته حربًا، قال:بل هو محسن، ثم قال: إنّي سمّيتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر. يقول الرصافي تعليقًا على الرواية: وبهذا كانت منزلة أبناء عليّ كمنزلة أبناء هارون في اليهود، فمن أين عرف محمد أسماء ولد هارون لو لم يكن يقرأ الكتب القديمة؟"[79] وهذا القول تشكيك بقضيّة الوحي من أساسها، وإن كانت الرواية نفسها غير دقيقة لورود اسم محسن فيها، والمعروف المسلّم به أنّ المحسن لم يولد بل أسقطته السيدة الزهراء عليها السلام قبل اكتمال نموّه.

---

[77] الرصافي، ص ١٦٨، نقلاً عن السيرة الحلبيّة ج٣، ص ٢١.

[78] م.ن، ص ١٦٩.

[79] م.ن، ص 170- 171- 172.

وأورد الرصافيّ كذلك روايات أخرى ليُثبت فيها معرفة النبيّ بتاريخ اليهود قبل نزول الدعوة، وأنّ القصص القرآنيّ ليس وحيًا، بل هو خلاصة معرفة النبيّ (ص) بتاريخ اليهود من خلال الكتب التي قرأها قبل نزول الوحي.

ردًّا على الذين قالوا إنّ النبيّ (ص) كان يحسن القراءة والكتابة قبل البعثة: يقول القرآن: { وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ} .[80]

وهذه الآية الشريفة تزيل أيّ ريب أو شبهة يمكن أن تُثار حول نبوّة نبيّه الأكرم (ص) وتتأثّر بها نفوس الضعفاء، لا سيّما أولئك الذين قالوا في عصره وبعد عصره إنّه قد قرأ كتب السابقين على يد بعض أهل الكتاب، وتعلّم منهم وأخذ عنهم. فإذا تحقّق لدى الناس أنه لم يقرأ قبل بعثته عن أحد، فإذا جاء بهذا الدين وصار يعرف القراءة والكتابة بصورة إعجازيّة، من دون معلّم، فإن ذلك يضطّرهم إلى الإيمان والتصديق به حين يبعثه الله رسولاً نبيًّا، ويرونه قد أصبح عارفًا بالقراءة والكتابة، وبكلّ هذه العلوم والتشريعات والمعارف، التي يعجز البشر عن نيلها، وأساسًا، لم ترِد في كتب الأوّلين [المقصود كتب اليهود والنصارى].

"ومن الواضح بالنسبة إلى الآية أن القراءة والكتابة لا تقصد لذاتها، وإنّما هي من العلوم الآليّة التي يكون القصد إليها للتوصل إلى غيرها، وهو نيل المعارف من طريقها؛ فإذا كانت المعارف والعلوم حاضرة لدى الرسول (ص) ويراها رأيَ العين، وهو يخبرهم بها، ويرون صدقه بصدقها فإنّ البحث عن وسيلة أخرى عاجزة عن إحضارها لديه، وعن إراءتها له. بل هي توجِد له حالة تخيّل وتصوّر لا أكثر"[81]

ومعاصرو النبيّ كانوا يعرفون أنّه لم يتعلّم القراءة والكتابة عند أحد قبل أن يُبعث، وأنه لم يكن يقرأ كتبًا، ولا كتب شيئًا منها أو عنها؛ ثم بعثه الله نبيًّا فيُفاجئهم بعلوم الأوّلين والآخرين، وهو لم يطّلع على كتب أحد؛ ويفاجئهم بأنّه في اللحظة نفسها قد أصبح يعرف

[80] العنكبوت/ 48.

[81] مرتضى، السيد جعفر، مختصر مفيد، ج1، ص12- 13.

القراءة والكتابة.. فطريق حصوله على المعارف والعلوم منحصر بالطريق الغيبيّ والوحي، وكان هذا الأمر من أظهر الشواهد على نبوّته واتصاله بالغيب.

وكما أنّ هنالك من استدلّ بالروايات ليقول إنّ النبيّ كان يعرف القراءة والكتابة، وإنّه قد قرأ التوراة والإنجيل، وأخذ منهما، هنالك من ادّعى أيضًا، استنادًا إلى الروايات أنّه صلّى الله عليه وآله وسلم قد ظلّ أمّيًّا حتى بعد البعثة، وبعد أن أمره جبريل بالقراءة، والواقعة نفسها أي قصّة ما جرى في الحديبيّة، عدّها بعضهم دليلاً على استمرار أميّة الرسول (ص) على أساس أنّه طلب إلى عليّ أن يمحوَ وصف "رسول الله" من الكتاب فلم يرضَ بذلك، فقال الرسول (ص) ضع يدي عليها فوضعها، فمحاها (ص) بيده[82]. وهذا الرأي متهافتٌ ينقضه قول الله عزّ وجلّ إنّه بعث إلى الأمّيّين رسولًا منهم ليعلّمهم ويزكّيهم.وعن الشيخ الطوسي أنّه قال: " والنبيّ عليه وآله السلام ـ عندنا ـ كان يحسن الكتابة بعد النبوّة، وإنّما لم يُحسنها قبل البعثة " .[83]

من المؤكّد أنّ النبيّ بات يُحسن القراءة والكتابة بعد البعثة، وقد قال الله في محكم كتابه: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }[84]. فكيف يعلّمهم ما لا يُحسن؟

النتيجة:

لقد كان النبيّ قبل البعثة لا يحسن القراءة والكتابة، كأبناء جِلدته، وإن كان جدلاً قد عرف شيئًا منها، ما كان هذا القليل المتاح يمكّنه من قراءة كتب السابقين، هذا إن كانت تلك الكتب متوافرةً في أيدي الناس. لقد قرأ النبيّ وكَتبَ بعد الدعوة وهذه هي معجزته، لقد تعلّم

---

[82] مرتضى جعفر، مختصر مفيد، ص ١٧ نقلاً عن كشف الغمّة للأربلي، ج١، ص ٢١٠، والإرشاد للمفيد، ج١، ص ١٢٠، وأعلام الورى، ص ٩٧، وبحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٣٥٧ و٣٥٩ و٣٦٣.

[83] م.ن، نقلاً عن المبسوط، ج٨، ص ١٢٠، وتفسير البيان، ج٨، ص ٢١٦.

[84] الجمعة/2.

القراءة والكتابة من دون معلّم، ومعاصرو الرسول كانوا يعرفون أنّه لم يتعلم القراءة والكتابة عند أحدٍ قبل أن يُبعث، وأنّه لم يكن يقرأ كتبًا ولا كتب شيئًا منها أو عنها، ثمّ بُعث نبيًّا ففاجأهم بعلوم الأوّلين والآخِرين، وطريق حصوله على المعارف والعلوم منحصرٌ بالطريق الغيبيّ والوحي، وهذا الأمر من أظهر الشواهد على نبوّته واتصاله بالغيب. فضلًا عن أنّ ما أتى به من معارف وأحكام وتشريعات في القرآن، لا نظير أو عديل أو مثيل لها في معتقدات السابقين واللاحقين.

وأمّا لفظة الأميّ فمفرد الأمّيين التي أطلقها أهل الكتاب وبالتحديد اليهود على العرب بوصفهم من غير اليهود، فضلاً عن أنّهم من أبناء الأمَة ولا كتاب لهم.

المصادر والمراجع

فضلاً عن القرآن الكريم.

1. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدّمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، لا تا.
2. ابن منظور، لسان العرب، ط دار صادر، بيروت ، لا ت
3. ابن هشام، أبو محمّد عبد الملك، السيرة النبويّة، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.
4. داود، محمد محمد، المعجم الموسوعي للتعبير الاصطلاحي في اللغة العربيّة، ط١، القاهرة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

5. الرصافي، معروف، كتاب الشخصيّة المحمّديّة أو حل اللغز المقدّس، منشورات الجمل، ط١، ألمانيا، ٢٠٠٢.

6. الزرقا، الشيخ مصطفى، مقدمة كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود، ط٢، بيروت، ١٣٨٨هـ/ ١٩٧٨م.

7. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدّرسين في الحوزة العلميّة، قم المقدّسة، لا تا.

8. علي، جواد، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام،

9. غندور، علي، كنوز الذاكرة، ط١، ، لبنان، بيروت، ٢٠١٤؛ ط٢، دار أعراف للطباعة والنشر ،سوريا، طرطوس٢٠٢١.

10. فضل الله، السيد محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت،١٤١٩هـ١٩٩٨م

11. قطب، سيّد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٣٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

12. الكتاب المقدس بعهديه، ترجمة الآباء اليسوعيّين، وتنقيح الشيخ إبراهيم اليازجي، لا تا.

13. لواساني، أحمد، نظرات جديدة في تاريخ الأدب، ط1، ١٩٧١. ط2، ١٩٨٨م، منشورات لواسان، بيروت ـ لبنان .

14. مرتضى، جعفر، مختصر مفيد، المركز الإسلامي للدراسات، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

15. مرتضى ، جعفر،الصحيح في سيرة النبيّ الأعظم، دار الحديث للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م.

16. مغنية، الشيخ محمد جواد، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٩٨١م.
17. مطهري، الشهيد مرتضى، خدمات متقابل إسلام وإيران (الإسلام وإيران الخدمات المتبادلة) ط٨، ١٩٩٦م .
18. الصحيح في سيرةِ النبيّ الأعظم، دار الحديث للطباعة والنشر، ط٢، بيروت، ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م.
19. ياسين، خليل، محمد عند علماء الغرب، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠٧.
20. ياقوت الحموي، الشيخ شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لا

الأستاذ رشيد سكافي

خواطر من الماضي الجميل

إن إهتمامات آبائنا وأجدادنا بشؤونهم القروية لم يبدأ منذ إنتخاب مجالسهم البلدية التي تنظم شؤون بلداتهم ولا منذ إنتخاب أول مجلس بلدي بتاريخ ٨-٦-١٩٦٣ كما حصل لأول مرة في بلدتي كفرصير ولا بتاريخ ٨-٦-١٩٩٨ حيث ولادة المجلس البلدي الثاني بل هو عمل متواصل كما أذكر ويذكرنا الآباء والأجداد يعود لعشرات السنين حيث لم يكن القانون أو التشريعات المتداخلة مرجعا لنخبة كريمة من أبناء البلدة تعود إليها لتستلهم منها مرجعا لتنظيم أمورها بل كانت البساطة والإلفة والتفاهم هي النظام المتبع في القرية الوادعة ، لم يكن هنالك مصادر لتمويل العديد من المشاريع فلم يكن للإغتراب ولا لمخصصات الدولة ولا لحسنات الحاكمين دور في تعزيز طموحات المؤسسين الأوائل لتاريخ البلدة وأذكر منذ ٧٠ عاما تقريبا أول مشاهدتي لمصدر المياه الأول في البلدة (للنبعة الأم) حيث بضعة درجات من الأحجار المرصوفة التي تؤدي نزولا الى مصدر المياه ، قام بإحضارها بعض الرجال الأشداء من مقالع الصخور الصلبة المحيطة بالبلدة محملة على ظهور الجمال ، والطين جُبل بدلا من الترابة من منطقة تربتها لزجة فإذا أنت أمام مشروع متكامل كلف إنجازه همة من رجال وإشراف من أصحاب رأي ومشورة وخلافا لما يتطلبه اليوم من إصدار قرار وإستدراج لعروض وإعداد لإتفاقية يقتضي دراستها مليا من كامل أعضاء المجلس البلدي ، وكم سيكلف إنجاز هكذا مشروع اليوم إذا ما أخدنا بعين الإعتبار هدر الأموال والسمسرات ،ولم يكن مشروع النبعة الأم هو الأول : وفي كل ناحية من خراج القرية كنت تجد مصادرا للمياه من ينابيع متعددة ترشح ببركة الله ماءً طهوراً ، ينابيع متفرقة تروي غليل الفلاحين وتسقي مواشيهم وكافة العاملين في الأرض الملتحمين في تربتها أوفياء لها

يبادلونها وفاء بوفاء وعطاء بعطاء فتمتد بركة الأرض وغلالها إلى كل شريان في أجسادهم الطاهرة نجيعا صافيا ليس فيه مكان من إنسداد شريان أو جلطة دماغ.

ويحدثنا تاريخ البلدة عن رجال مضوا وبقيت آثارهم تنبئ عن عظيم عطائهم في بناء المساجد والنوادي الحسينية والمدارس المتواضعة وشرف عظيم لبلدتي كفرصير أن يتحدث التاريخ عن أول مدرسة للغة العربية فيها أسست منذ ١٣٠ عاما تقريبا وما لذلك من أثر ثقافي وكفاءة علمية كان لها الفضل في بروز عدد من الشعراء والأدباء والمفكرين الذين زهت بأقلامهم منابر المناسبات وساهموا في إعلاء شأن البلدة ، وفي بداية الخمسينيات من القرن الماضي فقد دعت الحاجة إلى تعميق الوحدة وتنظيم العمل الإجتماعي بعد فترة شهد خلالها الجنوب إنقساما حادا بفعل الإنتماءات الساسية المتعددة لزعامات وتيارات نشأت بعد تلاشي الحكم التركي وجلاء المستعمر الفرنسي وكادت تلك الرياح أن تؤثر على مجتمع البلدة فتداعت العائلات لتنظيم شأنها الداخلي في لقاءات وتجمعات عائلية وتجمع عائلات وكان للرابطة الخيرية لشباب كفرصير كمؤسسة إجتماعية الدور الأبرز في التصدي لشؤون البلدة وشجونها ، حيث تأسست بموجب علم وخبر رقم ٢٣٦٦ بتاريخ ٧-٧-١٩٥٣ قرار صادر عن وزير الداخلية آنذاك المرحوم صائب سلام ، وإذا بهذه المؤسسة الجديدة تتداعى للقيام بعمل هام فتخرج من دائرة القرية ومحدودية إهتمامها لتنطلق شاقة طرقا وسبلا رابطة كفرصير بالقرى المحيطة ولتصل البلدة بالطريق الرئيسي الذي يؤدي الى العاصمة بيروت ، وإذا بالبيان رقم واحد يصدر عن إجتماع لأبناء البلدة يدعو الفلاحين الى التوقف غدا عن أعمالهم والتجمع باكرا في ساحة البلدة حاملين المعاول والرفوش والمخول والمهدات ، كان ذلك في أيلول من العام ١٩٥٢ وتساءل البعض ماذا يجري وسمعنا ونحن أطفالاً أطراف حديث لرجال كانوا يجلسون على مصطبة البلدة عن شق طريق بإتجاه قرية قاقعية الجسر ...

وأي جاهل يقترح هذه الفكرة....

هذا مشروع دولة ...هكذا قال أحدهم ، وفي صباح اليوم الموعود لبى الجميع الدعوة حاملين أدواتهم المتواضعة. ودفع الحدث الجديد بالأولاد لأن يتجمهروا أيضا وكنت واحدا منهم ، وإذا

بثلاثة رجال كما أذكر يعتلون تلة مرتفعة ويبلغون الحاضرين بالبدء بمشروع شق الطريق معتمدين على الله وعلى إرادة أبناء البلدة .....واحد من الثلاثة يطلب من الأولاد العودة إلى بيوتهم.. فيهمس آخر في أذنه : فيستدرك المتحدث : مهلا أيها الأولاد أنتم عماد مستقبلنا هيا أمامنا نظفوا الشوك والقندول والبلان وأحرقوها وهاكم بعضا من علب الكبريت ، كانت فرحة لا توصف أن نشترك مع رجال البلدة في مشروع فتح أول طريق بإتجاه العاصمة وأول ثغرة في فك دائرة الحصار حول الذات نحو الأفق الجديد إلى بيروت حيث هنالك من هاجر إليها في عشرينيات القرن الماضي هربا من الفاقة وبحثا عن الرزق الحلال وبعد أقل من شهر إذا بأول سيارة تصل البلدة من نوع فورد كما أذكر قيل أنها من موديل ١٩٣٧ وبدأ مجتمع البلدة يتنفس بعبق المدينة وحضارتها وإذا ببعض أبناء البلدة يقتني سيارات صغيرة للتواصل مع العاصمة.

هذه المقدمة المتواضعة أردت من خلالها أن أتوج بها كلمتي عن العمل البلدي ماضيا والذي كان قائما دون تشريع أو قرارات..

إنه تاريخ البلدة الزاهر بالعطاء ويعذرني القارئ إن تعمدت عدم الربط بين هذه المشاريع وأسماء الأجداد والآباء الذين كانت لهم إطلالة دائمة وثابتة في كل مشاريعها ، وبالرغم من المقولة الثابتة لدى المتابعين لسير العمل الإجتماعي في البلدة من الشخصيات المستقلة والنافذة من أن أية تركيبة لمؤسسة أو جمعية لا تتمثل فيها كل القوى غير قادرة على العطاء بنسبة عالية وهذا ما إختبرناه في الهيئات الإدارية المتعاقبة على إدارة الرابطة الخيرية لشباب كفرصير لكن نتائج الإنتخابات في الرابطة كانت وليدة الديمقراطية والنزاهة وقد شهد بها كبار المسؤولين في الدوائر الرسمية المدنية والعسكرية وبرز دور الرابطة أكثر عندما تحدت الإحتلال الإسرائيلي ببناء مركزها المؤلف من ٣ طبقات والذي يحوي المركز الطبي ومركز الخدمات الإنمائية ودار الحضانة والمستوصف الرسمي والمكتبة الثقافية وقاعة الإجتماعات وأكثر ما أثار دهشة المحتل الإسرائيلي وهو يراقبنا ونحن نحضّر لإحتفال كبير في العشرين من شهر آذار من العام ١٩٨٤ لدار الحضانة ،كان هو الأول الذي شهده الجنوب بشهادة الصحف اللبنانية والتي صدر معظمها في اليوم التالي معنونة الصفحة

الأولى بأخبار نجاح الإحتفال الأول في الجنوب وبتحدي العدو الإسرائيلي وأذكر عنوان إحدى الصحف التي نشرت تقريرا عن الإحتفال بعنوان بالخط العريض : *رغم إتشاح الجنوب بالسواد كفرصير تلون واقع الطفولة* ،وهنا لا بد من التأكيد على إيجابية التنوع داخل البلدة وما لذلك من دور كبير في إغناء المجتمع وصقل المواهب والتي تحصل نتيجة إبتكار الأساليب لإكتساب ود وثقة أبناء البلدة وإذا كان لبلدتي كفرصير من ميزة فريدة فهي في هذا التنوع والتناقض والذي يبقى محكوما بسقف المصلحة العامة للبلدة ، فبلدتي كفرصير ليست هي المشاريع والمؤسسات الإجتماعية والمساجد والنوادي الحسينية ،ليست النهر وما يحيط به من مشاريع سياحية ومنتزهات خلابة ،إنها دمعة الفرح ودمعة الحزن التي توحد بين أبناء البلدة ، إنهم المقاومون والشهداء الذين قاوموا كل غاز ومحتل منذ الإحتلال التركي ولتاريخه والذين رفعوا اسم البلدة والوطن عاليا.

وبعد: هل أتاك حديث البيت العاملي (البيت العربي) والذي يتمثل غالبا عندنا بكل صفاته في بيت شيخ القرية وقد لا يكون هذا الشيخ مختارا ولا رئيس بلدية وإنما له صفة المشيخة لأن مقومات الوجاهة والزعامة مجتمعة فيه ، إنه رجل رزين وقور كريم مضياف عصامي متواضع أدركته وأنا في الصغر وقد كان في الستين أو أكثر لكنه كان محتفظا بقوة الشباب البدنية ، كان أنيقا في لبسه العربي الغمباز الحريري الطويل أما بيته فقد كان عتيقا في شكله ترى فيه صينية القش المستديرة وترى فيه الطاولة الخشبية وحصيرة البواري مع كراسي الخيزران الجميلة فباب بيت شيخ البلدة كالبوابة بفرعة واحدة وكانت سهرة معظم رجال القرية تتم في منزله بمثابة الجريدة في المدن والحواضر فيها الأنباء المحلية وفيها شؤون البيت والحقل وأمور الرياسة والسياسة ولك أن تقول إن السهرة في بيت الشيخ هي الدنيا مصغرة بل هي الكون كله وفيها تدور مختلف الأحاديث ، فما أن يمسي المساء على الفلاح وغير الفلاح حتى يصلي ويتعشى ويضيء قنديله الكاز ويتوجه الى بيت الشيخ وكان الشيخ يسهر على راحة الساهرين ويكرم مثواهم بكل ما أوتي من سعة وذوق ..ففي الشتاء يضرم النار في الموقد الكبير المستدير والمصنوع من التراب اللزج مجبولا بالتبن الناعم والنار هي فاكهة

الشتاء ويصف المساند والطراريح ويقوم بين الفينة والأخرى بملاحظة النار فينكشها بالملقط ويطعمها بسخاء فلا يفارقها حتى تتلظى اشتعالا ويسمع لها سعير وزفير..

وفي زوايا الذاكرة لتلك الأيام القديمة كانت تدور في بعض السهرات مباريات شعرية وأذكر أن جوائز قد خصصت للفائز الأول حيث ربح أحدهم جائزة قيمة عبارة عن ٣ أمداد عدس ومدين حمص وديكين ونعارة عسل ..ما أرخص هذه الجائزة ماديا وما أغلاها معنويا عند من يعرفون أوضاع جبل عامل الإجتماعية زمنئذٍ....

كانت هذه المقطوعة عصارة لعصر كان يمضيه القدماء من آبائنا وأجدادنا في زراعة الأرض وفي الحديث والسهر والسمر والتندر قد ولى ...وإن الجيل الجديد قد إنصرف أسوأ إنصراف عن كل ما يغذي الروح ويشغل الأريحيات الفنية والأدبية إلا ما ندر وإن أنبل ظاهرة في هذا العصر هي في الرموز والشخصيات الأدبية والعلمية التي تتشكل منها هيئة تكريم العطاء المميز والتي هي محل إعتزازي وتقديري.

من هو الشيخ ناصيف النصار ؟

هو ناصيف بن نصار الثاني المنتهي نسبه إلى علي الصغير الوائلي. ابتدأ التاريخ يحدثنا عن ناصيف منذ 1755م 1136هـ إلى1781 1195هـ، وهي السنة التي استشهد فيها. وقد اتّخذ من قلعة تبنين مقراً لحكومته، وكانت عامرة بأبراجها الشامخة وحصونها المنيعة. وفي1750م جدّد بناء الحصون، في أنحاء البلاد وشحنها بالمقاتلين والسلاح وأوعز للزعماء والحكّام بالإنتقال إليها واتخاذها مراكز حكوميّة، وبسط العدل وأمّن السُّبل فدوّى اسمه في الآفاق وكانت له هيبة تحنى لها الرقاب.

صفاته التي كان يتمتع بها:

كان ناصيف بطلاً شجاعاً وأميراً مطاعاً، وكان يهزم جيوش اعدائه باسمه قبل بطشته، فإذا علم الجيش المحارب أنه سيصطدم بناصيف وعسكره، كانت الخطة الوحيدة التي يستعملها للنجاة، هي الهرب والهزيمة أوالإستسلام.

كان الشيخ ناصيف كما وصفه الشيخ محمد تقي الفقيه في كتابه: جبل عامل في التاريخ ص 398:

كان قائداًمطاعاً، وجندياً باسلاً فاتحاً، والمصلح المفكر، والأمير الحكيم الحليم. وأنّه لم يهزم في حرب قط. ولم يشترك في حرب من الحروب إلا وكان النصر حليفه، إلى ان انزلق به جواده على الصخرة المعروفة باسمه قرب مقبرة يارون، وجاءته رصاصة طائشة ووقع شهيداً في سبيل حرية بلاده وكرامة قومه.

المزايا العسكرية التي كان يتمتع بها الشيخ ناصيف: إضافة الى إقدامه وشجاعته وحنكته في الحرب كان قائداً فذاً حكيماً. وقد قيل عنه أنه أخفى موت أخيه أبي حمد الفارس البطل وهو قائد عسكره وابن اخيه قاسم المراد وأقام أفراحاً وأعراساً في تبنين لأقاربه ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عمق التخطيط العسكري وعلى تقوية الروح العسكرية في نفوس ذويه وأتباعه والإصرار على بقاء الرعب يعيش في قلوب أعدائه، إلى أن ذاع صيته في كل بلاد الشام ومصر، وصارت أواخر أيامه إنتصارات متتابعة بدون قتال يذكر بل الخوف منه والطمع فيه لأنه إذا انتصر لا يستأصل ولاينهب ولا يدمر. ويعرف عنه كما يقول الشيخ الفقيه: أنّه كان يُحتذى بمولاه الإمام علي (ع) يباشر الحرب بنفسه، ينغمس في كل الأوساط، يخترق الصفوف، يخرج من المعارك ولواء النصر يرف على رأسه، كان جهوري الصوت يهدد ويحمس، يجرف الجموع بسيفه، وأنّه كان يقصد الزعماء والأبطال ، وكان يترفع عن منازلة السّوَقة والوضيعين.

علاقة الشيخ ناصيف بجيرانه:

كان زعماء عاملة مع جيرانهم أشد ما يكون من الخلاف والنزاع ، وكان حميع زعماء هذه الأقطار يناوىء بعضهم بعضا. وكان الولاة العثمانيون يغذون هذا الخلاف ويستعينون بسببه على أحدهم بالآّخر. وعندما توحدت كلمة العامليين واقتسموا البلاد فيما بينهم شرعوا بترميم القلاع وتشييد الحصون، كل في المنطقة التي تخصه.

تحالفات الشيخ ناصيف مع حكام المناطق المجاورة:

حاول الشيخ ناصيف جاهداً توحيد كلمة العامليين والفلسطينيين والدروز والبعلبكيين، وأن يكوّن من الجميع وحدة واسعة الأطراف، وأن يجعل من هذه الوحدة سوراً منيعاً لايجد الأتراك فيه منفذاً يدخلون منه لتفرقتهم ثم الإستعانة ببعضهم على الآخر. ففي كتاب جبل عامل للركيني، يقول: صارت الجمعية بين الشيخ ناصيف والشيخ عباس الوائلي والشيخ علي الفارس والأمير اسماعيل شهاب من زعماء الدروز، والشيخ علي جنبلاط في حاصبيا، وانضمّ إلى هذه الجمعية الشيخ عثمان بن ظاهر العمر. وإذا ما استعرضنا تاريخ الركيني نجد الحديث فيه عن عشرات الإجتماعات الهادفة الى الوحدة.

وقوفه في وجه ظلم الولاة الأتراك:

تحالفات الشيخ ناصيف أوجبت عليه أن يمتطي صهوة جواده متنقلاً من قطر الى قطر ومن بلد الى بلد، يجمع زعماء هذه الأقطار محاولاً تكوين وحدة واسعة النطاق، ولاحظنا أنّه هو المعني الأوحد بهذه المهمة دون من عداه من هؤلاء الزعماء. هذه الظاهرة في حياة ناصيف وحدها تكفي دليلاً على أنه كان الزعيم الإجتماعي المتفوق في عصره، المحيط بقضيته وقضية المنطقة بأسرها، المهتم في تحضير العلاج الكافي لسلامة الجميع والذين يتحصنون به من فتن العثمانيين وأساليبهم المجرمة.

كيف توصل الشيخ ناصيف أن يجمع كلمة الزعماء ويتحالف معهم؟

إستطاع الشيخ ناصيف أن يعقد تحالفاً دفاعياً مع ظاهر العمر وأولاده حكام فلسطين، لكن بعد حروب دامية بين الفريقين...وكان النصر فيها حليف الشيخ ناصيف، وكان قد اشترك مع محمد أبو الذهب والي مصر في حرب ضد باشا الشام. وأعان الأمير يوسف الشهابي للعودة إلى مركز الإمارة، لكن هذا تنكر فيما بعد وشنّ حرباً ضد العامليين، وكذلك أعان حليفه ظاهر العمر حاكم فلسطين على إنتزاع بيروت من يد الجزار، وهدّد درويش باشا والي صيدا ، وصادر الخزينة السلطانية (العرفان م 27 ص 194).

...ناهيك عن شهرته التي طبّقت الأرجاء بعد الإنتصارات التي حققها في معركة البحرة في الحولة (فلسطين) ومعركة كفررمان – النبطية ومعركة سهل الغازية.

وإذا ما استعرضنا هذه الحوادث لوجدنا الشيخ ناصيف حركة دائمة، وطاقة متفجرة تفيض بالخير . فإنك تجده مدافعاً لا مهاجماً، يعفو ولا ينتقم و ملبياً لمن يستعين به . ومن صفاته: الظفر والعفو..

ومن صفات العفو التي تحلى بها الشيخ ناصيف أنه عندما تمكن من قتال الأمير يوسف الشهابي في معركة كفررمان ووقع بين يديه أسيراً قرب جرجوع ، ألبسه فروة الإمارة مقلوبة وعفا عنه، وقال له: لولا شبابك لقتلتك وكأنه يقول له: مازلت صغيراً قاصر النظر. وتمكن من قتال ظاهر العمر في معركة طربيخا ثم عفا عنه وأركبه بنفسه على فرسه. وتمكن من

الإنتقام من آل فريد الذين اغتالوا أخاه الشيخ محمود النصار الذي كان يعد بألف فارس في المعركة (كما تورد المصادر التاريخية).

علاقة الشيخ ناصيف بالدين والعلماء:

مع هذه الشجاعة والبسالة كان الشيخ ناصيف يحمل ايماناً عظيماً بالله سبحانه ويتوكل عليه، وعلى سبيل المثال: عندما غزا عثمان باشا والي الشام بلاد بشارة زحف ناصيف لمقابلته في ثلاثماية من فرسانه المجربين في الحرب فزار مقام النبي يوشع (ع)، و ترجل عن فرسه ودخل حرمه وكنّسه بعمامته وقال: إن رجعنا منصورين لا بد من تجديد هذا المقام الشريف، وأقام طوال الليل في المقام مع العلماء والعسكر يصلي و يتهجد ويدعو أن ينصره الله على اعدائه ، وذلك (بمثابة نذر) ولما حقق النصر وفى بعهده.

ويروي محمد جابر آل صفا في كتابه: تاريخ جبل عامل ص 96: ...أن الشيخ ناصيف قصد بموكب حافل قرية عيناثا لزيارة السيد محمد الأمين، وكان مفتي الديار العاملية، وهو جد السادة آل الأمين، وكان رئيس العلماء، فلقيه يناول أحجاراً وطيناً لبنّاء يبني جدار منزل السيد. فنزل الزعيم عن ظهر جواده وقبّل يد السيد وأخذ يساعده على نقل الأحجار والطين، ولم يقبل أن ينوب عنه بعض رجاله. ويروي محمد جابر عنه أيضاً:أنّ رجلاً من أهل البصّة الواقعة على الحدود بين فلسطين وجبل عامل من جهة الناقورة شتم دين ومذهب بائع عنب عاملي في سوق البصّة فأشتكى الرجل إلى الشيخ ناصيف، فحضر الشيخ إلى البصّة ومعه مئة فارس وقبض على المفتري وحاكمه مع خصمه محاكمة علنية. ولمّا أقرّ بافترائه أمر بشنقه في ساحة السوق قصاصاً وعبرة لأمثاله وتوجّه إلى عكّا وقابله الشيخ ظاهر العمر وبسط له القضيّة وما أجراه. فشكره الشيخ ظاهر وأصدر منشوراً أعلنه في كل ولايته في فلسطين يعلن فيه إتحاد الطائفتين: السنّة والشيعة وينذر من يخالف يالعقاب الشديد.

نهاية القائد الشجاع:

عندما تسلّم الجزار عكّا وقضى على ظاهر العمر وأولاده، ساق جنده على جبل عامل، الكرّة بعد الكرّة، فلم يتسنّ له الفوز. وكان في كل مرّة يرجع خائباً. وذات مرّة هاجمه بجيشٍ كثيف يربو على خمسة عشر ألف مقاتل وكان ذلك في عام1781م من جهة مارون الراس

متظاهراً بأنه يقصد وادي التيم لتأديب العصاة فأدرك الشيخ ناصيف قصده، ثم أسرع ليصدّه بشرذمةٍ من فرسانه لا تزيد على سبعماية فارس، كانت ترابط معه بشكلٍ دائم في قلعة تبنين. وكان الشيخ ناصيف كما ذكرنا، بطلاً مقداماً تعوّد غوص المعارك وممارسة الحروب، يهزأ بالمنايا ولا يبالي بالموت، فحملته الجرأة على منازلة ذلك الجيش اللجب بخيله القليلة ولم ينتظر وصول بقية الجنود والأعوان المرابطة في القلاع، وكان شيوخ تبنين المسنين يروون عن آبائهم وأجدادهم: أنّ ناصيفاً أراد أن يستعمل ضرباً من ضروب الفروسية فأشار إلى جواده إشارة يفهمها الجواد، فأرتفع عن الأرض ووقف على رجلٍ واحدة، وأراد أن يهوي بسيفه على رأس عدوه عند هَوْي الجواد، فتكون قوة الضربة مضاعفة فانزلق به الجواد على بلاطة واسعة تُعرف إلى اليوم باسمه، ووقع على الأرض فهجم عليه ثلاثة أو أكثر وتعاونوا على قتله بإطلاق الرصاص واستشهد الشيخ ناصيف وكان ذلك يوم الإثنين في 5 شوال 1195هـ 24أيلول1781، وقيل كان عمره إذ ذاك فوق الستين، فتشتّت جنوده وقُتل أكثرهم في المعركة ودُفن هناك في يارون. وقد أرّخ الشيخ إبراهيم يحيى من الطيبة وكان معاصراً للشيخ ناصيف، ويلقب بشاعر الشيخ ناصيف. أرّخ إستشهاده حيث قال:

قُتل إبن نصّار فياله من ... مولى شهيد بالدماء مضرّج
وتداولتنا بعده أيدي العدا ... من فاجر أو غادر أو أهوج
هي دولة عمّ البلاد الظلم في ... تاريخها والله خير مفرّج

ماذا حدث بعد استشهاده؟:

اكتسح الجزّار البلاد فقتل وشرّد ونهب وخرّب وسبى الذراري وإليك ما اختصره الشيخ إبراهيم يحيى ،الشاعر لتلك الحالة شعراً وبعض من قصيدته الرثائيّة:

يقولون بُعدُ الإلف أعظمُ شدّةً ... وقرب العدا عندي أشدّ وأعظمُ
منازل أهل العدل منهاخليّةٌ ... وفيها لأهل الجور جيش عرمرمُ
وكان لها من آل نصّارصارمٌ ... صقيلٌ وسهمٌ لا يطيش ولهذم

قضى في ظلال المرهفات مطهّراً　　وأيّ شهيدٍ لا يطهره الدمُ
فجعنا به والشمس في رونق الضحى　　فلم نمسِ إلا والبلاء مخيّمُ
ولست ترى إلا قتيلاًوهارباً　　سليباومكبولاً يُغلّ ويُرغَمُ
وكم عالم في عاملٍ طوّحتْ به　　طوائح خطبٍ جرحها ليس يلأَمُ
وأصبح في قيد الهوان مكبلاً　　وأعظم شيئٍ عالمٌ لا يعظّمُ

الأستاذة لطيفة الحاج قديح

فاطمة (ع) لؤلؤة الإنسانية

المحور: أثر الزهراء في البعدين: التربوي والأسري

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

من أين أبدأ يا شعري ويا قلمي	بذكـــــــر خير الخلق والأمـم
فنورُها قبسٌ من نورِ والدهــا	يهدي إلى الحقِ في دنيا من الظلمِ[1]

مقدمة

-

لبيان الأثر القيم الذي تركته الزهراء (ص) على الإنسان في البعدين التربوي والأسري، لا بدّ لنا أولاً من التعريف بمصطلحي: التربية والأسرة.

تعريف التربية: عرف هذا المصطلح تعريفات عديدة كل منها يستند إلى خلفية قائله أو كاتبه. وفي أدبيات الاختصاص عشرات التعاريف، ومن بينها: أن التربية هي الرعاية الشاملة والمتكاملة لشخصية الإنسان من جوانبها الأربعة: الجسدي والنفسي والعقلي والاجتماعي بهدف إيجاد فرد متوازن يستطيع تأمين قوته واستمرار حياته والتكيف مع بيئتيه الطبيعية والاجتماعية. وهي تشتمل (أي التربية) على تعليم وتعلّم مهارات معينة، التي تكون ــ أحيانًا ــ مهارات غير مادية (وغير ملموسة)، ولكنها جوهرية، مثل: القدرة على نقل المعرفة،

والقدرة الصحيحة على الحكم على الأمور، والحكمة الجيدة في المواقف المختلفة. ومن السمات الواضحة للتربية هو المقدرة على نقل الثقافة من جيل إلى آخر.

أما تعريف الأسرة (أو العائلة) فهو حسب علم الاجتماع: الأسرة هي الخليّة الأساسية للمجتمع وأهم جماعاته الأولية، وهي تتكون من أفراد تربط بينهم صلة القرابة والرحم. وتساهم الأسرة في النشاطات الاجتماعية في كل جوانبها المادية والروحية والعقائدية والاقتصادية، ولها حقوق مثل: حق الصحّة، وحق التعلّم، وحق السكن.. كما عليها واجبات مثل: نقل العلم والتراث واللغة عبر الأجيال. وتنقسم الأسرة إلى قسمين: الأسرة النووية، وتتكون من الزوج والزوجة والأولاد. والأسرة الممتدة: وتتكون من الأب والأم، الجد والجدّة، والأولاد والأحفاد.

**

ومن المعروف أن أحكام الإسلام هي حلقات متصلة ومتواصلة، لكل حلقة منها أهمية في دائرة الحياة الفردية، والعبادية، والأسرية، والتربوية والثقافية والاجتماعية، الخ... وكل هذه الحلقات متساوية في الأهمية. وقد كانت السيدة فاطمة الزهراء (ع) تؤدي مسؤولياتها في الدائرة الصغيرة للمجتمع (الأسرة النوويّة)، كما في الدائرة الكبيرة (المجتمع الإنساني)، ولا تضحي بأي منها، بل تتحمل أعباء هذه المسؤوليات بشكل متوازن دون ترجيح دائرة على أخرى. وهذه المسؤوليات متداخلة ومتشابكة في حياة الإنسان ويصعب الفصل بينها، ومع ذلك فسوف نحاول التركيز على المسؤوليات التي أضطلعت بها فاطمة (ع) في الدائرتين الأسرية والتربوية.

ولا يخفى على أحد ما للسيدة الزهراء من التأثير الكبير على الأجيال، من جميع النواحي، بدليل المحبّة العظيمة التي يكنّها المسلمون بجميع مذاهبهم وطوائفهم، لهذه القديسة، وعلى مدار العصور والأزمنة. وسوف نحاول من خلال هذه الدراسة بيان هذا التأثير.

ولبيان ذلك، علينا أولاً: التعرّف على تلك السيدة الفائقة القداسة، وعلى ظروف تكوينها، وطفولتها ونشأتها، وعلى القيم التي تربّت عليها، والمحيط الأسري والشخصيات التي أحاطت بها، وشكّلت اللبنة الأساسية التي طبعتها بطابعها، وكذلك التعرّف على شخصيتها الفذّة ونشاطاتها المتعدّدة وسلوكها المثالي ومواقفها المشرّفة التي أدت إلى التأثير في الأجيال على مرّ العصور.

أولاً: من هي الزهراء (ع)؟

هي فاطمة (ع) ابنة أعظم شخصية عرفها التاريخ على مرّ العصور والأجيال، رسول الإسلام محمد بن عبد الله (ص). والدتها السيدة خديجة (رضي) الذي قال عنها الرسول (ص): "ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب"[[2]]. وهي زوجة علي بن أبي طالب (ع) أعظم إمام وأشجع بطل، وأم أينع بزغتين في تاريخ الإسلام: الإمامين الشهيدين الحسن والحسين، ووالدة السقط الشهيد المحسن (ع). وهي أيضاً والدة "الحوراء زينب" العالمة الطاهرة الذكية التقيّة، ووالدة "أم كلثوم" (عليهما السلام).

تسميتها وألقابها: إن الروايات كثيرة في هذا المقام، ولكن معظمها يشير إلى: أن الله تعالى سمّاها فاطمة لأنه فطمها ومحبيها عن النار"[[3]]. ولما ولدت أوحى الله تعالى إلى ملك فانطلق لسان والدها النبي (ص) فسمّاها فاطمة، قائلاً: "لقد فطمها الله بالعلم عن الجهل، وعن الطمث بالميثاق"[[4]]. وفاطمة (ع) ألقاباً عديدة منها: الزهراء والبتول والصديقة والمباركة والزكية والمرضية والمحدثة والحانية وأم الإئمة (ع) والطاهرة والمنصورة والريحانة والبضعة وغيرها...وأهم هذه الألقاب: سيدة نساء العالمين[[5]].

ظروف تكوينها، وولادتها ونشأتها (ع): أختلف في تاريخ ولادة فاطمة الزهراء فهو: إما يوم الجمعة في العشرين من شهر جمادى الآخرة في السنة الخامسة بعد البعثة النبوية الشريفة بعد حادثة الإسراء والمعراج (حسب الروايات الشيعية)، وكان عمر النبي إحدى وأربعين عاماً أو قبل البعثة النبوية في مكة المكرمة والنبي له من العمر خمسة وثلاثون عاماً (حسب روايات أهل السنة)[[6]]. وفي الحديث الشريف عند المسلمين، أن النبي عرج

إلى السماء، وفي عروجه كان طعامه من العالم العلوي، وبعد العروج تمّ الحمل بفاطمة (ع)[7]. والعلم الحديث يشير إلى تأثير الغذاء في بنية الجنين النفسية والجسدية للمرأة كما للرجل على حد سواء. ومن الطبيعي أن فاطمة (ع) قد تأثّرت في تكوينها بنمط الغذاء الذي تناوله الرسول (ص)، وهي تحمل في تركيبتها الطهارة من غذاء الجنة، وهذه ليست مسألة بسيطة، فعندما يكون نسيج البدن من أرقى ثمار الجنة وأنقاها وأصفاها، ويكون الأب خير الخلق، فأي بدن طاهر سيكون؟ وفوق ذلك فالروح التي سترتبط بهذا البدن، أي روح ستكون؟ إنها روح السيدة الزهراء (ع)، وهي لهذا ليست امرأة عادية من النساء كما يتصور الإنسان السطحي، بل هي جوهر وناموس، ومسار وجود، وقضية يحتاج فهمها لعقول واعية لديها قدرة على الاستيعاب. وقد ورثت الزهراء (ع) الكثير من صفات والديها ولا سيما صفات والدها (ص).

وقد قيّض لفاطمة (ع) أن تولد في بيت الوحي ومهبط الرسالة، وأن تتربى أحسن تربية، وتتدرّج في صعود مراتب الكمال حتى بلغت أعلى رتبة، فحملت من العلوم والبلاغة والفصاحة والأحكام الشرعية، والسنّة النبوية الشريفة ما جعلها في مقدمة النساء معرفة بالدين؛ وما ذلك إلا لأنها صحبت أباها الرسول (ص) منذ نعومة أظفارها إلى أن فارقها ملتحقاً بالرفيق الأعلى. فهي لم تكد تفتح عينيها على الدنيا إلا وقد ملأ سمعها أحداث تبليغ دعوة الإسلام ونشرها، وبثّها بين جموع قريش. فشهدت على كل شيء في حياته، وشاركته في كل شيء، لذلك قال عنها علماء السيرة: "إنها كانت أشد عزماً من أخواتها،(رقّية وأم كلثوم (ع)) وأكثر وعياً لما جرى، ويجري من أحداث واكبت دعوة التوحيد والإيمان"، مع أنها أصغر بنات الرسول سناً". هذا وقد انقطع نسل الرسول (ص) إلا من نسل فاطمة الزهراء (ع).

***

طفولتها: ومنذ طفولتها المبكرة شهدت فاطمة (ع) أحداثاً متعدّدة قاسية وصعبة، حيث النبي يعاني من الاضطهاد ومن أذى عمه "أبي لهب" المعروف بكفره وعناده، وغلّوه في عداوته للرسول وللرسالة، تسانده زوجته، حيث كانا هما واتباعهما يرمون الأشواك

والقاذورات أمام منزل الرسول (ص)، وكان آخرون يتهمونه ظلماً بممارسة السحر، وهو الصادق الأمين، فكانت فاطمة (ع) تصاب بالغضب والحزن وتأخذ بالبكاء، ولكن والدتها السيدة خديجة (رضي) كانت تقوّيها وتخفّف عنها، وتشجّعها، وتدفعها للصبر والتحمّل، ومؤازرة والدها والذود عن حياضه، فيخفت غضبها وتندفع إلى مواساة والدها (ص) كما إلى أعمال التنظيف والتطهير.

ومنذ الطفولة تجلّى حبّ فاطمة (ع) لوالدها وتعاطفها معه في أحداث كثيرة، ولا سيما بعد وفاة والدتها وهي في سن مبكرة. ومن هذه الأحداث على سبيل المثال لا الحصر: حادثة جرت للرسول في بداية الدعوة عندما كان يصلي، وبينما هو يسجد للصلاة عند الكعبة، جاء بعض المشركين فرموا فوق رأسه بقايا أمعاء لحيوان نافق، كريه الرائحة لدرجة جعلت بعض الناس المحيطين به يستهزئون ويسخرون، وبعضهم يهرب من المكان، والرسول (ص) ما زال في سجوده لا يتزحزح، إلى أن خرجت من بين الجموع طفلة صغيرة راحت وهي تبكي، تزيل عن رأس والدها ما علق عليه من القاذورات بينما هو ساجد؛ وكذلك حصل أنها في وقت آخر، كانت تختبىء في حجر "النبي اسماعيل" والمشركون يتآمرون على والدها (ص)، فتنبهت إلى ما يقولونه وأفصحت عما سمعت من التآمر، وبما يخططون له.

وقد حملت الزهراء (ع) أعباء بنوتها للنبي وشهدت محاولة الكفار خنقه في الكعبة، ما جعلها تصاب بالوجوم لولا مجيء صديقه أبو بكر الصديق (رضي) وتصدّيه لهم[8]. وها هي تخبر والدها (ص) وهي تبكي بأن سادة قريش يريدون ضربه لمنعه من دخول الكعبة، فيأخذ (ص) قبضة من تراب تعميهم عن رؤيته[9].

وبناء لهذا الواقع الأليم، جاء أمر الله لرسوله بالهجرة وترك الديار إلى الحبشة، ولكنّه لم يستثن نفسه عن هذه الهجرة، فها هي حبيبة قلبه ابنته السيدة رقية (ع) تهاجر مع زوجها "عثمان بن عفان" (رضي)، فيعتري فاطمة الحزن والخوف على فراق أختها الحبيبة[10]. ولا شك أن لهذا_الأمر أبعاداً عظيمة تؤكد أن أنجع وسيلة من وسائل التربية هي التربية بالقدوة. ليس هذا فحسب، فها هو والدها الرسول (ص) يتخذها هي

نفسها قدوة من دون سائر أخواتها، فتصبح مضرب مثل في الإيمان، فعندما تسرق المرأة المخزومية يأتي من يشفع لها، فيقول الرسول (ص): "*لو كانت فاطمة بنت النبي محمد سارقة لقطعت يدها*"[[11]]. هذا غيض من فيض الدروس والعبر التي تعلّتمها فاطمة من والدها الرسول (ص) وطبّقتها في حياتها الشخصية مع أولادها !.

وتتسارع الأحداث ويشتدّ هولها، ما جعل طفولة فاطمة (ع) مختلفة عن طفولة غيرها من الأطفال العاديين، فيما يمثل البراءة، وحبّ اللعب واللهو والعبث، وجعلها (ع) تنضج قبل الآوان، فنشأت الزهراء رسالية في مشاعرها وعواطفها ومواقفها وكل حركاتها، ما دفعها إلى تقمص شخصية الأم والقيام بدورها في احتضان أبيها والتخفيف عنه، ورعايته والاهتمام به، ومعاملته بكل عطف وحنان وتفهّم، فقد أصبحت أنثى راشدة وهي بعد في سن الطفولة.

حياتها مع والدها (ص): وتمرّ الأيام، ويزداد أذى المشركين على الرسول (ص)، فتدرك فاطمة أن عليها أن تتقبل واقع حال أبيها (ص)، وتسانده، وكذلك عليها أن تتقبّل موضوع زواجه (ص) بعد وفاة والدتها عن طيب خاطر، فكانت مواقفها من زوجان أبيها، مواقف مشرّفة، حيث كانت شديدة الإنسجام والتعاون معهن، شديدة الاحترام والتوقير لهن، ولم تتحدث الروايات عن أي خلاف بينها وبينهن. ولا شك أنها كانت في ذلك تقوم بواجبها، فالقاعدة الأساسية بالنسبة لها كانت: ما الذي يسعد أباها لتقوم به؟ فهي تريد له أن يدخل داره مرتاحاً، فلم تكن تختلق المشاكل إطلاقاً، بل كانت أكبر مساعد ومتفهّم له (ص) ولزوجاته"[[12]].

وقد كانت (ع) تشاهد وتراقب، وتعي كيف كان المشركون يواجهون دعوة النبي (ص) بأساليبهم القذرة، للقضاء على الإسلام وعلى والدها الرسول (ص) وعلى أتباعه، وتعرف أن تلك الوسائل قد باءت جميعها بالفشل. ولا شك في أن تلك المرحلة كانت مِن المراحلَ التربوية الهامة التي صنعت جيلاً من المسلمين يستطيع أن يواجه الأهوال والمصاعب من دون تردّد أو ضعف، جيل تربى على يدي النبي (ص). وقد وصفهم الله تعالى بقوله: (من المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

تبديلا)[13]. وقد كان لتلك الدروس الجهادية المشرّفة من هؤلاء التأثير القوي على فاطمة الزهراء (ع) ما شدّ عضدها وجعلها تتحمّل كل الابتلاءات والأهوال والمصاعب التي مرت معها.

زواجها (ع):

وعندما تزوجت فاطمة لم يكن المعيار فقر العريس أو غناه، لأن ليس هذا أساسياً في موضوع الزواج، (وقد طلبها اشراف قريش وأغناهم) صحيح أن الخاطب ليس غنيّاً بالمال، ولكنه أغنى الناس بالصفات الإنسانية التي تقرّبه من الكمال، ما يجعله كفوءاً لها. فالمال لا يحقق وحده السعادة، بل أن الزواج القائم على التكافؤ والتفاهم والإنسجام، والمحبّة بين الطرفين، عدا عن التناسب الفكري والعلمي والمعنوي، إلى جانب التسامح والتساهل في الشروط وعدم تعقيد الأمور، هو ما يحقق السعادة في الحياة، ويساهم في تشكّل نواة لأسرة متماسكة هي عماد المجتمع الصالح، الذي يبني على أساسه الوطن القوي المستقل. وفي هذا يتحقّق قول القرآن الكريم: [*خلق لكم من انفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها*][14]، وكلمة سكن، تحمل معاني السكينة، والاستقرار النفسي، حيث يستشعر المرء أن قلبه يفرح وحياته تضاء وتزهر بمساعدة الشريك. وهكذا كانت الزهراء بزواجها الميمون من الإمام علي (ع) مثالاً للتكاتف والتلاحم والمحبّة، مقابل التناحر والتفكك والتشرذم الذي تشهده بعض الأسر، فقد كانت حياتهما مثالاً يحتذى به، من أجل تحقيق النتاج الجيد لبناء أسرة سعيدة، تتجذر في نفوس أبنائها قيم الخير والمحبّة والتضحية والتسامي..

عرسها (ع): يذكر أهل السيرة، أن الجميع (أهل العريس وأهل العروس) قد تعاونوا في تهيئة هذا العرس المبارك، الذي كان نموذجاً يقتدى به للزواج الإسلامي البعيد عن المغالاة في المهور والبذخ، فهو زواج يرتكز على بساطة العيش وتسهيل الأمور وتفضيل القيم الإلهية على المقاييس المادية.

وبزواجها انتقلت فاطمة من بيت الرسالة والنبوة، إلى دار الوصاية والإمامة والخلافة، والولاية، في جو تكتنفه القداسة والنزاهة، وتحيط به عظمة الزهد، وبساطة العيش، والمحبّة

والإلفة والتعاون، وقد اكتفت باليسير اليسير من متاع العيش. وتحكي سيرتها: إن جهازها كان بسيطاً، فلم يكن لديها (على سبيل المثال) إلا جلد كبش واحد تستفيد منه كفراش.

حياتها مع زوجها (ع): وقد أسست فاطمة (ع) مع زوجها الإمام علي (ع) بيتاً متواضعاً في ظاهره، ولكنّه فخماً عند الله ورسوله، حيث كانت شلالات السعادة والسمو ومكارم الأخلاق تنبع من كلّ جانب من جوانبه، وتنساب بعذوبة في كل ركن من أركانه. وكان أساس ذلك البيت المحبّة والتعاون والايثار والتضحية، والكرم والتسامح...، وقد تعلَّمت الزهراء من والدها الرسول (ص) معنى الحياة، حيث أوحى لها (ص) بأن الإنسانية هي جوهر الحياة، وأن السعادة الزوجية القائمة على الخلق الكريم والقيم الإسلامية هي أسمى من المال، والقصور، والمجوهرات والزخارف، وقطع الآثاث، وتحف الفن المزخرفة... وكانت (ع) تعيش في كنف هذا الثراء الروحي، قريرة العين، سعيدة النفس، لا تفارقها البساطة، ولا يبرح بيتها شظف العيش وخشونة الحياة، فهي الزوجة المثالية، لزوج مثالي، باب مدينة علم الرسول (ص)، وبطل المسلمين، ورجل الإقدام، والفداء، والإيثار، وحامل لواء النصر والجهاد، فعليها أن تكون بمستوى ذلك الارتباط الزوجي، وتلك المسؤولية العظيمة، وعلى مستوى المهمّة الموكلة إليها، وأن تكون لزوجها علي (ع) كما كانت أمها خديجة (رضي) لرسول الله (ص) تشاركه في جهاده، وتتحمّل معه صعوبة مراحل الدعوة الإسلامية التي حملها الرسول (ص).

وكان زواج الزهراء(ع) امتداداً لرسالة الإسلام لتنجب الأئمة الأطهار (ع)[[15]]. وقد عاشت (ع) مع الإمام علي (ع) حياة بسيطة، بعيدة عن مظاهر الغنى والرخاء، ولا يسودها البذخ والإسراف، حياة مثقلة بهموم البيت والحمل وتربية الأولاد، وفي الوقت عينه مثقلة بمسؤوليات الرسالة؛ وعلى الرغم من ضعف بنيتها الجسدية، إلا إنها لم تقصّر في واجباتها كزوجة وكأم، فكانت تطحن وتعجن وتخبز وتطبخ وترعى أولادها وزوجها، وتقوم بكل الشؤون التي تتطلبها طبيعة مسؤولية ربة البيت في بيتها. ولم تكن الظروف مثل هذه الأيام الناعمة، حيث كل شيء في أعمال البيت سهل ومريح. بل لقد عاشت الزهراء (ع) عن اختيار وقناعة،

ظروف حياة زوجها (ع) الذي كان يتنقل مع الرسول من حرب الى حرب ومن غزوة الى غزوة، ثم يعود إليها متعباً، فتمتدح تضحياته وعمله وتخفّف من تعبه وآلامه، وتساعده في حل مشاكل الناس والفقراء، فها هي (ع) وعائلتها يتصدّقون بإفطارهم ثلاثة أيام متتابعة، للمسكين واليتيم والأسير، حيث نزلت فيهم الآية([16]): (ويطعمون الطعام على حبّه مسكينا ويتيما واسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا).

وقد روي عن علي (ع) إنه قال: "ما أغضبتها مدة حياتي معها ولم تغضبني ولم تعص أمري مدة حياتها معي([17]). ومن كلامها مخاطبة زوجها قبل وفاتها: "ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عرفتك". فأجابها قائلاً: "أنت أبر وأتقى وأعرف بالله من أن أوبخك في شيء من ذلك!"([18]). كل هذا ليس سوى دليل صارخ على أن الزهراء (ع) قد جعلت من بيتها بيتاً إسلامياً نموذجياً، يفيض بالقيم الإنسانية الحقّة والمحبّة والاستقامة، وبالأخلاق والخشوع والرحمة والعدل والتسامح، هذا عدا عن الطهارة، والروحانية والعبادة، والزهد، وذلك من خلال تطبيق التعاليم الإسلامية التي تعلمتها، وطبقتها كما يجب أن تطبق، و بنت عليها أساس الأسرة التي كونتها هي وزوجها (ع، فكان جميع من في تلك الأسرة يجدون الإسلام يحيط بهم من كل جانب، فيتمتّعون بما فيه من الراحة والسعادة والتفتّح. وهكذا كانت فاطمة (ع) في سموها الفكري والروحي، إنسانة الطهر والنقاء والعصمة، فهي صورةً من رسول الله (ص) وانفتاحاً على علي (ع)، تتجلىّ فيها صفات المؤمنين بأبهى صورها. وتجدر الإشارة أن عاقد القران في حفلات الزواج يدعو الله تعالى قائلاً: "اللّهم وفق بين هذين الزوجين كما وفقت بين علي وفاطمة!"([19]).

علم فاطمة (ع)

ويتكشّف لمن يتابع سيرة الزهراء (ع) مدى علمها وحنكتها ودرايتها (ع)، على الرغم من أنها لم تدخل مدرسة بالمعنى التقليدي للكلمة، ولم تتلمذ علي يدي معلم أو معلمة. ولكن (وكما سبق وذكرنا) شاء الله لها أن تتربى في أعظم بيت وُجِد على ظهر البسيطة، هو بيت الوحي والرسالة، وعلى يدي أعظم رجل أنجبته البشرية، الرسول محمد (ص) فكان يعلّمها من

علمه الإلهي في كل يوم شيئاً جديداً، فعاشت في مدينة العلم والمعرفة، مع الوحي الذي كان ينزل عليه (ص) في كل حين، فتتحسّس أجواءه، وتعيش أخلاقه وروحانيته وابتهالاته ليلاً ونهاراً.

ولا يمكننا أن نتجاهل ما اكتسبته هذه السيدة العظيمة (ع) من معرفة وعلوم بانتقالها من بيت والدها العائلي إلى بيتها الثاني وهو بيت زوجها علي (ع) باب مدينة علم الرسول، وجامع قرآنه، وصاحب نهج البلاغة، الذي عاش حياته كلها مع الله عزّ وجلّ ومع الرسول (ص)، فأحبّهما بعقله وقلبه، وعاش حياته جهاداً بالسيف وبالكلمة والموقف وبتوعية الناس وتعليمهم في سبيل إحقاق كلمة الحق، وقد عبّر الإمام نفسه عن هذه الحالة بقوله: "لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً". فكيف إذن لا تكون متعلّمة، ولا تكون علاقتها بالقرآن الكريم علاقة مميّزة؟.

تربيتها لأولادها (عليهم جميعا أفضل الصلوات)

وقد شاء الله أن يكون نسل النبيّ الأكرم (ص) بواسطة ابنته فاطمة (ع) التي أرادها أن تكون صلة الوصل بين النبوة والإمامة، فامتدّ نسلها الشريف عبر سلسلة من الأئمة، أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. وهذه الذرّية الطيبة لا تدانيها ذرية إنسانية أخرى في الصلاح على مدى التاريخ، فهي قمة القمم، والمثل الأعلى في الخير والأصالة. فالحسن والحسين (ع) قد ذكرا في كتب التاريخ إنهما إماما من أئمة أهل البيت (ع) الذين تسلسلت منهما ذرّية الرسول (ص) الطاهرة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بقوله: (سلام على إل ياسين)[20].

<u>تربية فاطمة (ع) لأولادها:</u> أسست فاطمة (ع) بطريقتها مدرسة مثالية، فريدة من نوعها، لا تضاهيها أية مدرسة أخرى، ووضعت لها أسساً تربوية استقتها من معين الرسالة الإسلامية والرسول الأكرم (ص). وقد ألتحق بنوها (ع) بتلك المدرسة، فنهلوا من معينها

حتى الارتواء، وتخرّجوا منها بدرجات مشرّفة جداً لم يحز مثلها بشرٌ من بعدهم (خارج بيت الرسول (ص). ولمعرفة أبعاد هذه العملية التربوية، لا يسعنا سوى القول بأن بداية الانطلاق في تربية الأطفال وتنشئتهم إنّما تكون منذ أن يروا نور الحياة. فالزهراء عليها السلام كانت على درجة رفيعة للغاية في امتلاكها لثقافة الأمومة (والأم هي المعلمة الأولى) التي من أول معطياتها النظر باحترام بالغ إلى الأطفال والأولاد وبالتالي التعامل مع كل فرد منهم على أنه إنسان مكتمل مؤهل لتلقّي التربية والتعليم، وليس الانتظار به حتى يكمل السادسة أوالسابعة من عمره حتى تبدأ معه هذه المسيرة، فكما يقول المثل الشعبي: "العلم في الصغر كالنقش في الحجر".

من ناحية أخرى عاش أولادها البررة كما عاشت هي وزوجها (عليهم جميعاً السلام) حياة البساطة والتقشف، وقد تختلف تأثيرات هذه المعيشة البسيطة عن تأثيرات حياة الترف والرفاه على نفس الطفل. ففي الحالة الثانية، ينشأ الطفل على الدّلع والدلال، ويتعود على تلبية طلباته، فينعدم لديه الإحساس بالتعاطف، تجاه حالات الفقر والحرمان، لعدم تذوّقه مرارتها، كما أن مشاكل الحياة وقسوتها قد تصدمه بقوة، بسبب عدم استعداده النفسي لمواجهة الصعوبات والمشاكل. أما في الحالة الأولى فإن شخصية الطفل قد تكون أكثر اتزاناً وصلابة، وأقل استهانة بالأشياء والأمور، وأقرب الى التفاعل النفسي مع الطبقات المحرومة والضعيفة في المجتمع.

كما أننا يجب أن نفرّق بين البساطة والتقشف اللذين يفرضهما الفقر والحاجة، وبين البساطة والتقشف اللذين تفرضهما حالة الإختيار والطواعية، ففي الحالة الأولى قد تسبب حالة البساطة والتقشف القسرية عند الأنسان وجود التطلعات والتمنيّات لرغد العيش ورفاهية الحياة، كما قد يتسرب الى نفس الطفل شيء من الحقد والحسد وحبّ الانتقام، أو على الأقل عدم الارتياح تجاه الأغنياء والمترفين. بينما عندما تختار العائلة حالة التقشف والبساطة كنمط للعيش، في هذه الحالة لا بدّ للمشاعر والانعكاسات الايجابية دون السلبيات، من الظهور عند الطفل، الذي يرى أن عائلته تمتلك القدرة على الرفاه، لكنها لا ترغب به

لمنطلقات أخلاقية، فهي (أي العائلة) تؤثر الفقراء والمحتاجين، وتجود عليهم وعلى الضعفاء والمعوزين.

وبين هذا وذاك، لا بد من الإشارة إلى سلوك فاطمة (ع) في الحياة، الذي طبع مسيرة تربيتها لأولادها بطابعه، ولا سيما عبادتها وتهجّدها، وتفانيها في أداء ما هو منوط بها، فالإناء ينضح بما فيه، وفاقد الشيء لا يعطيه. فهي كانت تواظب على اصطحاب من أنجبتهم إلى محراب عبادتها آناء الليل وأطراف النهار، لتعلّمهم أنواع التبتّل والتهجّد. وبالإضافة إلى ذلك، لم تغفل الزهراء الناحية العلمية؛ فهي قد طبقت أرقى نظريات علم التربية الحديثة التي تقول أن أفضل سنوات التعلّم عند الإنسان هي سنوات الطفولة الأولى. وقد ذكرت لنا روايات التاريخ الفاطمي -على شحّتها- كيف أنها (ع) كانت تعلّم ولديها (ع) خطب جدهما رسول الله (ص) وهما لما يبلغا الخامسة من العمر بعد، حيث كانت تطلب إليهما - كطريقة من طرائق التعليم- حفظ ومراجعة ما سمعاه من خطاب جدهما (ص) على مسامعها، ثم أنها كانت تعيد الكرّة بحضور والدهما أمير المؤمنين (ع) ليطمئنّ قلبه على سيرتهما التربوية.

ولقد شهد التاريخ المستوى الفريد من نوعه الذي بلغه هذان الإمامان الفذّان (الحسن والحسين (ع)) في العبادة والخطابة، حتى أن العلماء والخطباء كانوا في ذلك الزمن وما تلاه، يقرّون لهما بالفضل والأولوية في هذين المجالين. فمعاوية [[21]] مع جرأته القاسية المعهودة كان يتمنى- ولو لمرة واحدة- أن يتفوّق على الإمام الحسن (ع) في الحديث أو أن يتسنى له إحراجه في الكلام، فكان يجمع إليه العتاة المردة، أمثال عمرو بن العاص ومروان والمغيرة، وغيرهم، فيبدأون بمهاتراتهم الكلامية محاولين إيقاع الإمام المجتبى (ع) في المطبّات الكلامية، إلاّ أنهم لم يكونوا ليجدوا منه سوى الحكمة والعلم والأخلاق ورباطة الجأش، حتى يقول قائلهم: "لقد زُقَّ الحسنَ بن علي العلمَ زقّاً، وأن الله أعلم حيث يجعل رسالته"[[22]]. أما شهيد كربلاء الإمام الحسين (ع) فنراه في "واقعة الطفّ" الدامية[[23]]، لا ينافسه في روعة خطاباته وبلاغتها وفصاحتها منافس.

ولم تميّز الزهراء (ع) بالمعاملة بين ولد وبنت، فها هي تصطحب أيضاً ابنتها زينب الكبرى (ع) إلى مسجد أبيها الرسول (ص)، لتنمي قدراتها، وتعلّمها درساً في الثبات على الحق، والصلابة والعنفوان، وتحدي الطغيان، وفضح الفساد الذي سيصيب الأمة الظالمة في عهد الإمام الحسين (ع). وقد حفظت الحوراء (ع) الدرس وطبّقته عملياً عندما وقفت، في مجلس يزيد، كمحامية قديرة لتدافع عن أخيها الحسين (ع) وعن عياله وأطفاله، كما عن عوائل سائر الشهداء، بالإضافة إلى مساندتها لابن أخيها الإمام المعصوم "علي زين العابدين" (ع) في محنته. وهذا بطبيعة الحال لم يكن ليحدث أو ليكون لولا ما بذلته سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد (ع) من جهود جبّارة في تربية أولادها الكرام البَررة.

فاطمة (ع) في الدائرة الاجتماعية: معلّمة لنساء المؤمنين

ولم تكتف فاطمة (ع) بما تقوم به من الأعمال المنزلية الصرفة وإنجاب الأطفال وتربيتهم، مع ما لهذه الأعمال من وقت وجهد، ومسؤولية، ولم يمنعها كونها ابنة الرسول الأكرم (ص) وزوجة الرجل المسؤول المجاهد، من وظيفة التثقيف والتعبئة والقيام بمسؤولية التعليم، ونقل العلم الذي تعلمته عن والدها وعن زوجها ومن الحياة إلى غيرها. بل لقد أعدّت نفسها لنقل ما تعلّمته إلى أولادها، وإلى نساء بني هاشم، وخاصة أن الإسلام يشجّع على التعلّم ويثمن عالياً دور المعلم، ويعتبر أن أفضل مهمة يقوم بها الإنسان إنما هي نقل ما تعلمه من علوم ولا سيما العلوم القرآنية لغيره، بدليل قوله تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)[24]. فمن الحرام أن يحجب المسلم ما تعلّمه عن غيره. وقد حوّلت (ع) بيتها إلى مدرسة تَفِد إليها النساء المسلمات، اللواتي كن يجتمعن عندها، فيتعلّمن ويأخذن من نورها مشعلاً ينير دروبهن نحو هدى الرسالة.

محبّة فاطمة (ع) لجيرانها وللآخرين

بالإضافة إلى مسؤولياتها الكثيرة كان مشهوداً للزهراء ورعها وتقواها، فقد كانت تقوم الليل وتحييه بذكر الله وعبادته، وتستغل ذلك لتدعو للمؤمنين والمؤمنات، قبل أن تدعو لنفسها، فكانت بذلك تعي معنى التقرّب من الله وقيمة التضرع بين يديه والبكاء من خشيته،

وهذا ما جعلها تتعبّد بشكل منقطع النظير، فتعيش عمق الإخلاص والمحبّة لله. فقد أحبّت الزهراء خالقها، وأحبّت خَلقَه، وعاشت لأجلهم. وعن الإمام الحسن قوله([25]): إني رأيت أمي فاطمة (ع) قد قامت في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راكعة وساجدة حتى ينبلج عمود الصباح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم، وتُكثِر من الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء. فقلت لها: يا أُمَّاه، لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟. فقالت (ع): يا بُنَي، الجار ثم الدار". فقد كان دعاؤها (ع): للجار أولاً، وبعدها لنفسها وأهل بيتها، لأن الله تعالى، قد أوصى بالجار، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبّ لجاره ما يحبّ لنفسه". والذي يحسن إلى جاره هو خير الناس عند الله، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا، وكما قال الرسول (ص): "مثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى"([26]).

أي ليس الدار ثم الدار وإغلاق الباب في وجه الجار، كما يحصل هذه الأيام، من التنافر والتباعد والتخاصم، والخلاف بين الجيران والتنازع والتشاجر على مواقف السيارات واقتسام المياه والكهرباء وخلافه !. بل على عكس ذلك، ما يكفي من التعاطف والمحبّة والمساعدة للآهل والجيران والآخرين، وبهذا التصرّف تبرهن الزهراء (ع) بأنها تضمر المحبّة المطلقة للناس، فهي تستبعد الأنا ليحلّ الآخر مكانها. وأي أمثولة تعطيها الزهراء لأولادها البررة وللأجيال من بعدهم، من خلال هذا التصرف الإنساني الراقي؟.

<u>جهاد فاطمة وتواضعها وزهدها (ع):</u> وقد شاركت فاطمة (ع) في المعارك الدفاعية ضد المشركين والكفار، مشاركة تنسجم مع واجباتها كامرأة، فالجهاد بالسيف وبالسلاح واجب على الرجل فقط وليس على المرأة، إلا أن أنواع الجهاد الأخرى مباحة للمرأة، ومن هذه الأنواع: القيام بخدمة المجاهدين والمقاتلين، فقد شاركت في "معركة بدر" هي وأربع عشرة امرأة يحملن الطعام والشراب على ظهورهن، ويسقين الجرحى ويداوينهم، وفي "معركة أحد" قامت بتضميد جراح رسول الله (ص) حيث أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم

الصقته بالجرح، وفي "غزوة الخندق" جازت إلى رسول الله (ص) بكسرة من خبز، فقال: "يا بنية أما إنها لأول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث"([27]).

هذا عن جهادها، أما عن تواضعها فحديث يطول وسوف أكتفي ببعض الأمثلة. ولا شك أن فاطمة (ع) من الأبرار الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم، وهم الذين عرَفوا الدنيا وما فيها من نعيم زائل، فأعرضوا عنها بقلوبهم، والتمسوا رضوان الله تعالى في مأكلهم، ومَلبَسِهِم، وأسلوب حياتهم. فعلى الرغم من كون السيدة الزهراء (ع) ابنة الرسول (ص) وهو أعظم رجل في قومه، والقائد المطاع والمطلق الصلاحية، فقد كانت في منتهى التواضع، ولم تكن لتستغل مقام والدها (ص) أو نفوذه لتحقيق أي نوع من المكاسب. وقد نظر إليها سلمان يوماً وبكى، قائلاً: "واحُزناه، إن بنات قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد (ص) عليها شملة صوف خَلِقَه([28])، قد خيطت في اثني عشر مكانا"([29]).

وقد روي عن أسماء بنت عميس (وكانت من المقرّبات للسيدة الزهراء (ع)، أنّها قالت: كنت عند فاطمة (ع)، إذ دخل عليها رسول الله (ص) وفي عنقها قلادة من ذهب كان اشتراها لها عليّ بن أبي طالب (ع) من فيء. *فقال لها رسول الله: "يا فاطمة لا نريد للناس أن يقولوا: "إنّ فاطمة بنت محمّد تلبس لباس الجبابرة!".* فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة، فأعتقتها، فسرّ بذلك رسول الله (ص) ([30]) . وكذلك كانت (ع) في إحدى المرات قد ابتاعت زينة لنفسها، فلما وقع نظر والدها (ص) عليها تغّير وجهه، فعلمت على الفور عدم رضاه فسارعت بإرسال ما ابتاعته مع ولدها الإمام الحسين (ع) إلى الرسول (ص) ليتصدق به في سبيل الله، وما أجمل الأجر الذي تحصل عليه مقابل هذا العطاء، حيث قال (ص): *"فداها أبوها لقد علمت ماذا نريد"* ([31]).

هكذا كانت فاطمة مثالاً يحتذى في التواضع والأخلاق الكريمة، تخطّ طريقاً يمشي عليه ليس أولادها فقط، بل كل من يسعى إلى جنة الخلد. وقد استطاعت (ع) بمعايشتها وتحمّلها لكل تلك المعاناة والمصاعب التي مرت عليها (ع)، أن تبني جيلا يعيش قيم الخير والمحبّة. وهذا الجانب من شخصيتها شكل الفارق بينها وبين غيرها من النساء، لأن بساطة عيشها،

وقساوة حياتها، وخشونة مأكلها وملبسها، مما يندر أن تصبر عليه النساء، ولكنّها صبرت على المعاناة، لأنها كانت تعيش منفتحة على الرسالة وعلى ما هو مطلوب منها، وليس على الذات ورغباتها، وكانت تتحرك من موقع رضا الله عنها وليس من موقع رضا النفس، فكانت بذلك كما قال علي (ع) وهو يخاطب أصحابه: "ليس أمري وأمركم واحداً، إنني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم"[32]. وعنه (ع) قوله: "دخلتُ على فاطمة ذات يوم فوجدت جسمها كله يعبد الله ــ وبين رجليها الرحاية وتعطي ابنها ثديها وهي تتلو كتاب الله بلسانها وتفهمه بعقلها.

علاقتها (ع) بوالدها الرسول (ص):

إلى جانب واجباتها كزوجة، لم تهمل فاطمة (ع) الاستمرار برعاية والدها (ص) والاهتمام به كأفضل ما تكون الرعاية والاهتمام. وكما تحدثنا سيرتها، إنها (ع) كانت تخرج مع والدها الرسول (ص) في بعض غزواته وتتابع أخباره وتلاحقه في حركة دعوته، وتبادله العطف والمحبّة والحنان، وتأخذ منه العلم والمعرفة، وتعيش معه كل روحية الرسالة وكل مفرداتها، وتتعلم منه أخلاقاً تمثّلت في طريقة تفكيرها، كما في حركاتها وتصرفاتها، وأفعالها وأقوالها، وطريقة تعاملها مع الآخرين. وكان النبي (ص) بدوره يحبّ فاطمة ويحترمها ويعاملها معاملة خاصة، ويقول عنها: "*هي بضعة مني وروحي التي بين جنبي*"[33]. نعم كان حبّ عظيم، متبادل بين النبي (ص) وابنته فاطمة (ع) التي كانت تدقّق وتراجع مع أبيها في جميع المسائل، فتعرف مكنونات قلبه، وتفهم ماذا يريد لمجرد النظر إلى تعابير وجهه وعينيه. وهذا التصرف من الزهراء (ع) يبين لنا دقّتها وعمق تفكيرها في فهم ما يريد والدها من دون كلام. ومن المعروف، إن الولد مأمور بالبر والإحسان الى أهله، وطبعاً لم تشذ فاطمة (ع) عن هذه القاعدة، حيث أن حبّ الوالد أو الوالدة لابنهما هو حب فطري لا يحتاج إلى شرح ولا إلى واسطة، أما حبّ الابن أو الابنة للوالد أو الوالدة فهو من باب الشكر الذي أنعم عليه فرباه، وكان سبب وجوده في الحياة، ليس أكثر، ولكن مع فاطمة لم يكن الأمر كذلك أبداً. فقد كان عندها من الحبّ لوالدها مقداراً أكبر من الحبّ العادي المتعارف عليه بين

الابنة ووالدها، حيث كانت تشعر من شدة حبّها له كأنّه ولدها. وكأن هذا الحبّ كان بديلاً عن الحب الذي فقده الرسول (ص) بوفاة والدته، وزوجته، وبهذا تؤكد فاطمة (ع) لوالدها (ص) أنها جديرة بتحمل المسؤولية، فيفرح قلبه بها، حتى أطلقَ عليها لقب:"أم أبيها".

وكان الرسول (ص) يعرف مقام ابنته (ع) ومنزلتها ومقامها عند خالقها عزّ وجلّ، وقد أعدّها لكي تكون فخراً بين المسلمين والأنموذج الأمثل للمرأة المسلمة تتمثلها في كل مراحل حياتها. ويظهر ذلك من خلال الأحاديث النبوية الشريفة، وهي كثيرة جداً، ومن هنا فلا عجب أن تكون هي الشخص الأقرب له (ص)، وأن تكون حبيبته، والمرأة الأثيرة لديه، وأهم شخصية نسائية في حياته، ومُقَدّمة على زوجاته والآخرين، فكان عندما يراها يسعد ويفرح وتزول همومه وأحزانه. وهناك دلائل وشواهد وتقارير وروايات كثيرة تؤكد وتدل على مقدار محبّة كل منهما للآخر.

ولم يكن إيثار الرسول لإبنته فاطمة (ع) سوى لأنها معجونة بعجينة خاصة، فهي تختزن في أعماقها طاقات عظيمة من القدرة على العطاء والبذل والتضحية، والوقوف مع كلمة الحق ضد الباطل. كما تمتلك إحساساً عالياً بالمسؤولية، وكما جاء في الحديث الشريف: "كان تميّزها لخصلتين خصّها الله بهما، أولهما: أنها ورثت رسول الله (ص). وثانيهما: أن نسل رسول الله (ص) منها، ولم يخصّها الله بذلك إلاّ بفضل إخلاص عرفه من نيّتها".

هذه العلاقة الروحية والرسالية المميّزة بين فاطمة (ع) ووالدها (ص)، جعلت الزهراء أسيرة أسراره وعلومه، وهل هناك من هو أعلم منه (ص)؟. وينقل التاريخ الكثير من الأحاديث والروايات في فضل ومكانة فاطمة (ع) عند والدها الرسول (ص)، وعنه إنه قال: "*فاطمة بضعة مني، رِضا الله من رضاها، وغضبُه من غضبها*". ولم يقل: رضا فاطمة من رضا الله وغضبها من غضبه، وذلك أمرٌ استثنائي لامرأة استثنائية. فتكون الزهراء بذلك أفضل من جميع الأنبياء (ع) ما عدا الرسول نفسه (ص) لأنها بضعته. فإن كان الرسول أفضل الأنبياء فبضعته (المادية والمعنوية) كذلك!. وربما لهذا قال (ص) عنها:"*ما عرفَك إلا الله*

وأنا". وقد سمعنا أيضاً ما قاله أئمتُنا العظام (ع) عنها: "سميّت فاطمة لأنها فُطمت عن النار، ولأن الناس فطموا عن معرفتها"[[34]]. وكان الرسول عندما يشمّها يقول: "*إني اشم فيها رائحة الجنّة*"[[35]]. وقد كرّسها سيدة نساء أهل الجنة[[36]]. ولقبّها (ص) أيضاً بسيدة نساء العالمين[[37]].

هذا غيض من فيض من علاقات الود والرأفة والمحبّة التي سادت العلاقة بين فاطمة وأبيها الذي ترك وصايا عديدة في حقّها، وهذا التصرف من قبل الرسول إن عبّر عن شيء إنما يعبّر عن أن فاطمة قد أدّت الدائرة الأسرية حقّها، فتمتّعت بمكانة عالية عند والدها (ص)، فزادت أهميتها في حياته وبعد رحيله، كما تعبّر عن رفيع مقامها بالنسبة لرسالة الإسلام والأمة المسلمة، وعن أهمية بناء الأسرة الإسلامية النموذجية، الكاملة المواصفات الإلهية، فتكون فاطمة قد ساهمت وإلى حد كبير في بناء تلك الأسرة النموذج.

وعندما مرض النبي (ص) مرض الموت، بقيت الزهراء إلى جانبه (ص) في مرضه لا تفارقه، بل تعتني به، وتخدمه، وقد روي أنه (ص) قد سارّها، وهو في مرضه مرتين، وفي رواية عن عائشة (رضي) قالت: "كن أزواج النبي (عنده) لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة، تمشي ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله (ص) فلما رآها، رحّب بها قائلاً: "مرحباً يا ابنتي" ثم أجلسها بقربه، ثم سارّها، وهمس في أذنها، فبكت بكاء شديداً، فلما رأى جزعها، سارّها مرة أخرى، فضحكت". ولما سألتها عائشة (رضي) عن الموضوع أجابت (ع): "أما حين سارني في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل (ع) كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين فقال (ص): إنه لا يرى الأجل إلا قد اقترب (أي إن النبي (ص) قد استنبط أنها السنة الأخيرة في حياته) وأخبرني أنه يُقبض في وجعه الذي هو فيه فبكيت، ثم سارّني فاخبرني أني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت"[[38]]. نعم ضحكت فاطمة (ع) عندما أُخبرت بسرعة لحاقها بوالدها (ص). فأي إنسانة هذه التي تضحك لخبر موتها ؟ فالمرء عادة يحزن عندما يعلم أن أجله قد اقترب. ولكنها فرحت، لماذا؟. لا شك أنها فرحت لثقتها بأن الله سوف يُكرّمها، لأن الإنسان حينما يقدّم الأعمال الصالحة، عملاً تلو

آخر، تكون سعادته في لقاء ربه عز وجل سعادة غير محدودة. وإن كان عمله سيئاً فسوف يحزن لخبر موته خوفاً من العقاب. فالمقياس هنا دقيق جداً!. وقد خاطب ربنا عز وجل اليهود: قائلاً: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)، ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾([39]). فأي إنسانة هذه التي تفرح بالموت؟. ولا شكّ أن خبراً كهذا، هو خبر كارثي بالنسبة لأي إنسان، ولكنّه لم يكن كذلك بالنسبة للسيدة فاطمة (ع) بل كان مدعاة سرور وراحة لها، لماذا؟ لأنها (ع) وبكل بساطة توالي الله ورسوله !.

وكأنها بعدم الخوف من الموت، بل الترحيب به قد رسمت لأولادها سنّة يمشون عليها، فها هو ولدها الإمام الحسين (ع) يسير على الطريق التي رسمته والدته، فعندما عزم على الخروج على يزيد، حمل أولاده ونساءه، وأهل بيته (بما فيهم الطفل الرضيع) وأصحابه (عليهم جميعاً أفضل السلام)، وقصد كربلاء، لمحاربة الطغمة الحاكمة، التي انحرفت عن طريق الحق، مع معرفته بأنه سوف يستشهد. وكذلك يذكّرنا هذا التصرّف من الزهراء بموقف حفيدها "علي الأكبر" عندما كان في نفس المسيرة مع والده الإمام الحسين (ع) حيث سمعه ينعي نفسه، فسأله: "أولسنا على الحق يا والدي؟". فاجأبه الحسين (ع): "بلى، والذي إليه مرجع العباد"، فأجابه علي الأكبر (ع): "إذن لا نبالي إن وقعنا على الموت، أو وقع الموت علينا"!([40]).

فأي درس من دروس التفاني والحبّ الأسري اللامحدود تقدّمه فاطمة (ع) لأولادها البررة، ومحبيها ومعارفها، بل وللأجيال القادمة؟

وصايا الرسول (ص) في ابنته فاطمة (ع)

وقد ترك الرسول (ص) للمسلمين من بعده، وصايا كثيرة في أهل بيته (ع) ومنها: *" إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"*([41]). وفاطمة (ع) واحدة من أهل البيت المعصومين، الذين شملتهم آية التطهير وهي من عترة الرسول الذين هم امتداد له،

وطاعتهم واجبة، لأنها من طاعته (ص). ويروى عن الإمام موسى الكاظم (ع) كانت فاطمة (ع) بمصاف الصدّيقة الشهيدة، وشهيدة: بمعنى الشهادة على الناس (الأمة)، ومقام الشهادة على الأمة أعلى من مقام الشهادة بمعنى القتل في سبيل الله، أذ كان لها أجرُ الشهيدة من خلال حياتها التي كانت حافلة بالتضحيات الكثيرة في سبيل الدين وإعلاء كلمته.

دفاع فاطمة (ع) عن حقها:

واكثر ما يتبن لنا تأثير السيدة الزهراء في الأجيال، موقفها ممن ظلمها ومنعها حقها. فقد وظّفت (ع) كل ما لديها من إمكانات وخصال حميدة في خدمة الرسالة المحمدية، ليس فقط كونها ابنة النبي الأعظم (ص) فحسب، بل كونها تؤمن بالرسالة ومستعدّة للتضحية بالغالي والنفيس من أجلها، فانطلقت بعلمها وعبادتها، واخلاصها لله، ولوالدها الرسول (ص) ولزوجها أمير المؤمنين، ومن أجل أولادها (ع)، ومن أجل الإسلام والمسلمين، فرفضت ما حصل من حرمانها حقها في إرث أبيها وعارضته. وقد لعبت دور الإعلامية المبدعة والمحامية القديرة، والثائرة على الظلم. فخرجت من خدرها إلى الحياة العامة، ولم يمنعها.

الأستاذة ابتهاج صالح

التربية على السلامة المروريَّة

التربية على السلامة المرورية هي نهج تربوي يهدف إلى تكوين الوعي المروري لدى النشء من خلال تزويده بالمعارف والقيم والاتجاهات والمهارات التي تنظِّم سلوكه، وتجعله منضبطاً فتقوده إلى الالتزام بالتشريعات والقوانين والنظم والتقاليد المرورية ، بما يسهم في حماية نفسه وحماية الآخرين من أخطار المرور وآثاره

تشير معظم الإحصاءات المتعلقة بمخالفات السير التي ترتكب والحوادث المرورية التي نتعرض لها بشكل يومي، إلى أن الجزء الأكبر منها يعود إلى الجهل حتى لأبسط قواعد المرور وآدابه وهو ما يطلق عليه «الأمية المرورية» التي تستحوذ على نسبة عالية من الأفراد في مجتمعنا، وأساس هذا الجهل عدم الاهتمام الكافي ببناء شخصية مثقفة مروريا".

من هنا تأتي أهمية موضوع الثقافة المرورية لتكون وسيلتها المنهج المدرسي وليكون الهدف منها تكوين الوعي المروري لدى شرائح المجتمع كافة من خلال تزويد النشء بالمعارف والمهارات والقيم والاتجاهات التي تنظم سلوكه، وتجعله منضبطًا فتقوده إلى الالتزام بالتشريعات والقوانين والنظم والتقاليد المرورية، بما يسهم في حماية نفسه وحماية الآخرين من أخطار المرور وآثاره.

وعملية نشر هذه الثقافة تكون متفاوتة شكلاً ومضمونًا وفقًا للفئة المستهدفة: إن من الناحية العمرية أو من الناحية الثقافية.

انطلاقاً مما تقدم فقد عملت في المركز التربوي للبحوث والإنماء على انجازمنهج للتربية على السلامة المرورية بحيث تدرَّج المحتوى من خلال أنشطة متعددة تشمل موضوعاته تنوُّعًا في المعلومات التي سوف يتم تدريسها بشكل يتناسب مع كل مرحلة عمرية.

فتحتوي مناهج التربية على السلامة المرورية للحلقة الأولى من التعليم الأساسي مثلاً على كيفية عبور التلامذة الشوارع ذهابًا إلى المدرسة أو السوبر ماركت أو الحدائق وغير ذلك من الأماكن

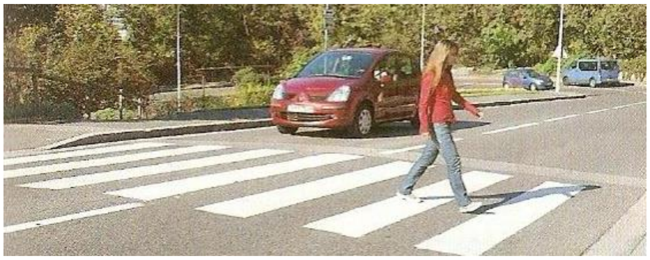

العامة، وكيفية استخدامهم للأرصفة وأماكن العبور.

كذلك كيفية ركوبهم وجلوسهم في الباصات أو السيارات وربط أحزمة الأمان، وعدم الإطلال من النوافذ أو القيام بأي حركات تودي بهم إلى الهلاك لو حدث عارض للباص أو للسيارة .

أما مناهج الحلقة الثانية من التعليم الأساسي فتحتوي فضلاً عن الأنشطة على قصص توعوية توضح كيفية العبور الآمن للطريق وكيفية النزول والصعود من الباصات، كذلك كيفية قيادة الدراجات الهوائية في الحدائق والتعرف إلى الإشارات الضوئية وبعض إشارات المرور.

وتحتوي مناهج الحلقة الثالثة من التعليم الأساسي على كيفية استخدام وعبور الطريق وآدابه، الإشارات الضوئية وإشارات المرور ،حوادث المرور، تنظيم المرور ، التعرف إلى أسلوب التعامل الآمن مع الدرَّاجات الهوائية والقيادة الآمنة للدرَّاجات النارية وكذلك كيفية استخدام طفايات الحريق.

أما بالنسبة إلى المرحلة الثانوية فقد حظيت بثقافة مرورية أعمق وأرحب، نظراً للفئة العمرية المدركة والواعية لدى تلامذة هذه المرحلة لذلك تضمن منهجها: الطرقات

(أنواعها ، مواصفاتها واستخدامها)، المركبات (أنواعها ، أجزاؤها، صيانتها والترخيص لها) ، قيادة المركبات (أهلية السائق وآداب المرور ، تعليم قيادة السيارات ، رخصة القيادة ، حق الطريق وآدابه) ، تنظيم المرور (علامات المرور وإشاراته، الإرشادات المرورية ، التشريعات والقوانين المرورية) ،المشكلات المرورية وآثارها (المخالفات والحوادث المرورية)، كيفية التعامل مع حرائق السيارات وأخيرًا بث روح ثقافة الإسعافات الأولية لدى الطلاب بإجراء اللازم في حالة وقوع الحوادث المرورية .

فضلا" عن المنهج الدراسي هناك إمكانية إثراء للمادة من خلال :

1- إنتاج ألعاب الكمبيوتر لترسيخ مفاهيم السلامة المرورية في أذهان التلامذة.

2- اقتراح تخصيص ركن داخل الصفوف (جزء من اللوحة الإعلامية) ليعرض فيها الطلاب رسومات ومقالات وصور و.... من إعدادهم - تعكس جميعها نظرة الطالب إلى موضوع السلامة المرورية ..بحيث تتجدد كل شهرين ويكون الناظر العام في المدرسة متابعاً لهذا العمل. فهذه الطريقة تساعد على غرس السلوكيات السليمة في نفوس الطلاب وبخاصة الذين يقومون بأنفسهم بإعداد الملصقات والنشرات وعمل اللوحات الفنية وجمع أو التقاط صور حول الموضوع.

3- إعداد دليل لتدريب المعلمين في مجال التربية على السلامة المرورية.

4- إقامة نشاط إعلامي تربوي (عبر الإذاعات والتلفزيونات والصحف) يشارك فيه تربويون ورجال أمن وإعلاميون.

5- إجراء مسابقات أكاديمية حول مواضيع تتعلق بالسلامة المرورية.

6- - قيام الجمعيات التي تعنى بالسلامة المرورية بتعميق الوعي لدى الطلاب والمواطنين.

7- توزيع قصص تتعلق بالسلامة المرورية على التلامذة.

المطلوب اذن العمل على تضمين المناهج المدرسية برامج توعية مرورية وتدريب الأساتذة, والادراك بأن نجاحنا في مسار التوعية على السلامة المرورية يتطلب منا تحقيق التكامل والتعاون والتنسيق بين جهود وزارة التربية وكل من القطاعات الآِتية:

1 - الوزارات :

- ✓ وزارة الداخلية والبلديات (تفعيل دور الشرطة واعطاء دور توعوي للمجالس البلدية).
- ✓ وزارة الشؤون الاجتماعية (من خلال دور مراكز الخدمات الانمائية في المناطق ودورها في التوعية والتثقيف لشريحة كبيرة من المجتمع المدني خارج المدرسة).
- ✓ وزارة الأشغال العامة والنقل (السهر على تأمين مستلزمات السلامة على الطرقات).
- ✓ وزارة الإعلام (مرئي ومسموع ومقروء).

2 - الجهات المسعفة (كالدفاع المدني والصليب الأحمر اللبناني وكل من يتواجد على الساحة).

3 - الجمعيات الأهلية (من خلال علاقتها بمختلف شرائح المجتمع).

وهذه الأدوار يجب أن تكون واضحة وضمن برنامج زمني يسهم عبر خطط وبرامج وإجراءات في تحقيق السلامة المرورية لمجتمعنا، الأمر الذي يتطلب حاجتنا إلى استراتيجية حول السلامة المرورية يشارك في صياغتها ووضعها الجهات كافة ذات العلاقة بالسلامة المرورية وتنطلق من دور كل وزارة وقطاع وهيئة وجهة فيها مع تحديد واضح للإجراءات والخطوات التي ينبغي تبنيها.

أما بالنسبة إلى موضوع التدريب فمن المفترض أن يتم وفقاً للآتي:

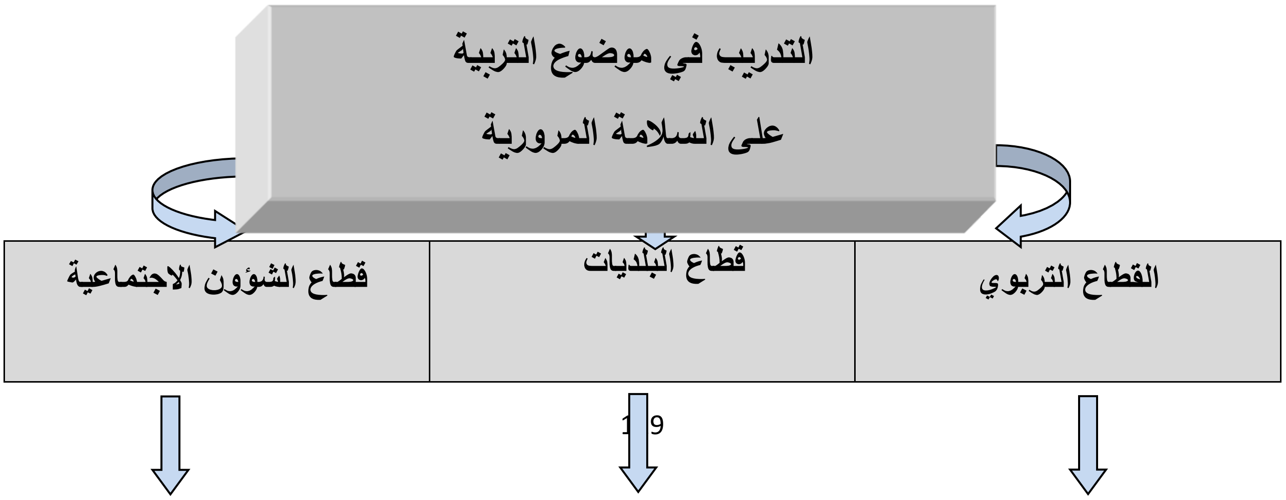

التدريب في المركز التربوي	**التدريب في وزارة الداخلية والبلديات**	**التدريب في وزارة الشؤون**
أساتذة القطاعين الرسمي والخاص من خلال مشروع التدريب المستمر وذلك في مراكز الموارد الموجودة في 6 محافظات من المحافظات ال8 .	انتداب من يمثل اللجان الثقافية في مجالس البلديات: من المحافظات إلى الأقضية (التوزيع الهرمي)	الفئة المستهدفة : معظم مسؤولي مراكز الخدمات الإنمائية في المناطق.

الحلقة الثالثة من التعليم الأساسي

أشكال العلامات المروريَّة وألوانها

المدة : حصتان

الحصة الاولى

أهداف النشاط :

- ✓ **يتعرَّف أنواع العلامات المروريَّة.**
- ✓ **يميز العلامات المروريَّة من خلال أشكالها الهندسيَّة.**
- ✓ **يلتزم التقيُّد بالعلامات المروريَّة.**

الوسائل والأدوات المساندة:

- ✓ **مستند يبيِّن الأشكال الهندسيَّة الأساسيَة للعلامات المروريَّة .**
- ✓ **لوحة جدارية تحوي تصوراً لعلامات مروريَّة يلاحظها التلميذ في حياته اليوميَّة**
- ✓ **ورق أبيض وأقلام ملوَّنة: أزرق, أحمر, اصفر, أخضر.**
- ✓ **فيلم مصوَّر عن الموضوع .**

سير النشاط :

1- يقسِّم المعلم / المعلمة تلامذة الصف إلى 4 مجموعات عمل ويوزع عليهم المستند رقم 1 ثم يطلب اليهم التعرُّف (خلال 10 دقائق) إلى محتوى الجدول في المستند كما يعطي لكل مجموعة اسم شكل هندسي من الأشكال الأربعة وتقوم كل مجموعة برسم 3 لوحات مرورية تخص الشكل المعطى لها استناداً الى اللوحة الجدارية.

2- بعد انقضاء الوقت المحدَّد يطلب من مقرِّر كل مجموعة (خلال 10 دقائق) تعريف زملائه بالشكل الخاص بمجموعته مع إعطاء أمثلة عن اللوحات التي قاموا برسمها.

3- تعلَّق نتائج العمل على لوحة الصف.

<u>**مستند رقم 1**</u>

مقدمة: ليس من الضروري حفظ العلامات المرورية غيبًا، بل يكفي معرفة أشكالها وألوانها كي ندرك الرسالة المطلوبة، بصورة عامة هناك أربعة أشكال هندسية رئيسة: مثلَّث، دائرة، مربع مستطيل.

أما الألوان فهي خمسة: الأحمر، الأزرق، الأصفر، الأخضر، الأبيض.

يبين الجدول الآتي الأشكال وكيفية تصنيفها:

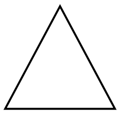 لوحة تحذيريَّة: خطر	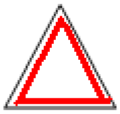 تحذير دائم		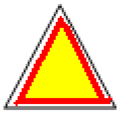 تحذير مؤقت	
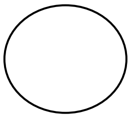 لوحة مانعة أو تنظيميَّة	ممنوع	نهاية الممنوع	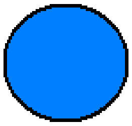 إجباري	نهاية الإجباري 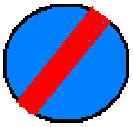

   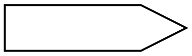 لوحة الإرشاد: توجيهية	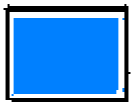 للسير سياحيَّة... 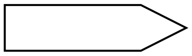 اتجاه محليٌّ...	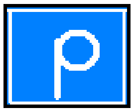 موقف نحو المدن الكبرى	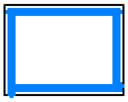 للدلالة على شيء على طريق دوليَّة... اتجاه مؤقَّت... 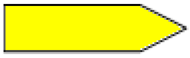	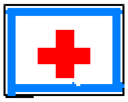 إسعاف

<u>الحصة الثانية</u>

كيف أتعرف إلى علامة مروريَّة؟

<u>أهداف النشاط:</u>

- ✓ يتعرَّف قاعدة رسم علامة مروريَّة.
- ✓ يرسم نماذج لعلامات مرورِيَة انطلاقًا من قاعدة أساسيَّة.
- ✓ يلتزم التقيُّد بالعلامات المروريَّة.

<u>الوسائل والأدوات المساندة:</u>

- ✓ 4 لوحات حائط تمثل عددًا من العلامات المروريَّة المتعارف عليها دوليًّا (مستند رقم 2).
- ✓ ورق أبيض وأقلام باللَّونين الأزرق والأحمر.

سير النشاط:

1- يطلب المعلم / المعلِّمة إلى بعض التلامذة تذكير زملائهم بما تم اكتسابه في الحصة السابقة ثم يعطي القاعدة الآتية التي تبين كيفية بناء لوحة مروريَّة:

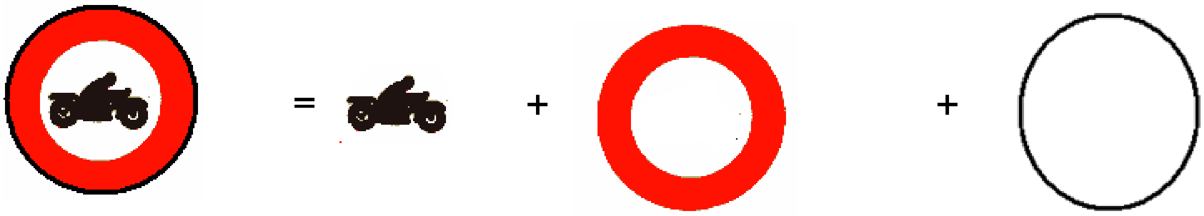

أمر + ممنوع + درَّاجة = ممنوع مرور الدرَّاجات

2- يعلِّق المعلِّم/ المعلِّمة 4 لوحات للعلامات المروريَّة في أماكن مختلفة الى الصف ويطلب من التلامذة التنقل داخل الصف والتعرف إلى محتوى تلك اللوحات خلال 15 دقيقة .(كاليري المعلومات).

3- يعود التلامذة إلى أماكنهم ويتم تقسيمهم إلى 4 مجموعات عمل وتوزَّع عليهم أسماء الإشارات الآتية التي تدلُّ على :

1- اتجاه إلزامي نحو اليمين. 2- طريق يضيِّق نحو اليمين. 3- ممنوع الوقوف.
4 - ممنوع الوقوف والتوقُّف. 5- ممر مشاة. 6- ممنوع الدخول.
7 - طريق غير نافذ (مغلق)

ثم يطلب إليهم تطبيق قاعدة رسم الإشارة وفقاً لدلالتها ، خلال 15 د. وتقوم كل مجموعة بعرض نتيجة عملها وتعلِّق الرسوم على لوحة الإعلانات في المدرسة.

مستند رقم 2: (لوحات تمثل علامات مرورية) يتم اختيارها مما يلي:

علامات مرورية مانعة

ممنوع الإتجاه لليسار

ممنوع الدوران للخلف

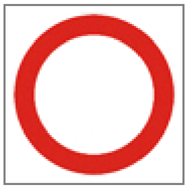

ممنوع المرور في اتجاهين

ممنوع الانتظار

ممنوع مرور الأتوبيسات

ممنوع مرور السيارات

ممنوع مرور الدراجات النارية

ممنوع الاتجاه لليمين

ممنوع مرور السيارات والدراجات النارية

ممنوع الوقوف والتوقف

ممنوع مرور الشاحنات

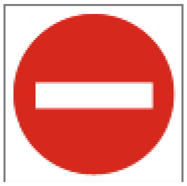

ممنوع الدخول

ممنوع الوقوف قطعياً

ممنوع مرور المشاة

ممنوع مرور الدراجات

ممنوع إستعمال آلة التنبية

قف

ممنوع التخطي للشاحنات

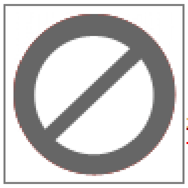

نهاية المنع من التخطي

ممنوع التخطي للسيارات

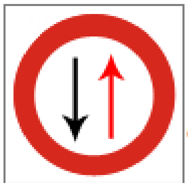

الأولوية للقادم

علامات تحذيرية مرورية

صخور متساقطه

أعمال طريق

مدارس

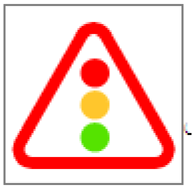

إشارات مرور ضوئية

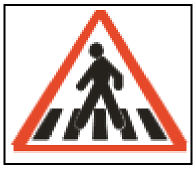

ممر للمشاة

طريق زلق

مطـــار مدرج طيران

طريق غير مستوي مطب صناعي

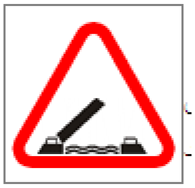

جسر متحرك

أسلاك كهربائية

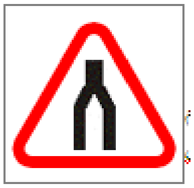

نهاية الطريق المزدوج

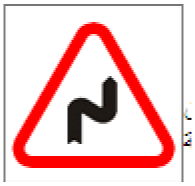

منحنيان أولهما لليمين

منحنيان أولهما لليسار

منحني يمين

منحني يسار

الطريق يضيق من الجانبين

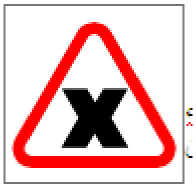

أمامك تقاطع طريق

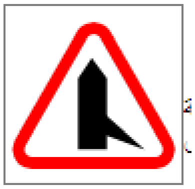

طريق فرعي من اليمين

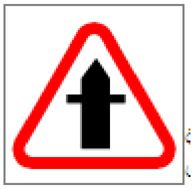

تقاطع طريق رئيسي
مع فرعي

طريق فرعي من اليسار

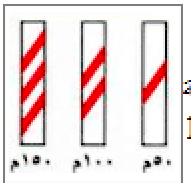

التحذير على مراحل

أمامك طريق رئيسي

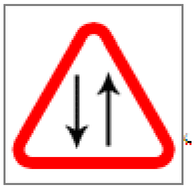

الطريق اتجاهين

طريق دائري

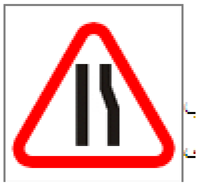

الطريق يضيق من اليمين

علامات مرورية إلزامية - تنظيمية

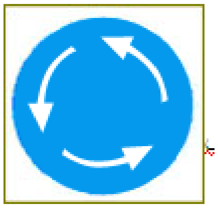

إتجاه مستدير

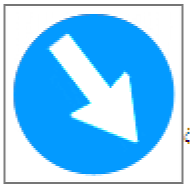

إلزم اليمين

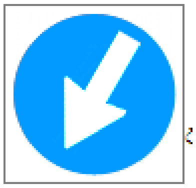

إلزم اليسار

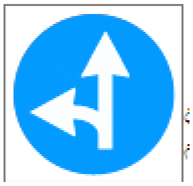

إتجاهات سير إجباري

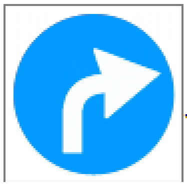

أمامك إتجاه إجباري لليمين

أمامك إتجاه إجباري
لليمين ولليسار

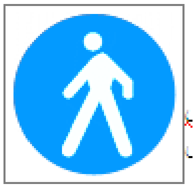

طريق إجباري للمشاة

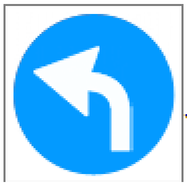

أمامك إتجاه إجباري لليسار

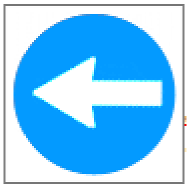

إلزم اليسار

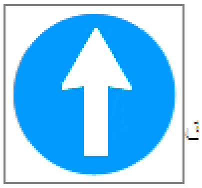

إتجاه إجباري للأمام

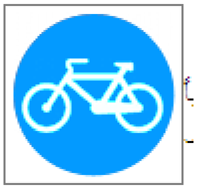

طريق إجباري للدراجات

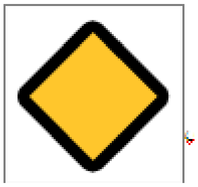

طريق له الإولوية في المرور

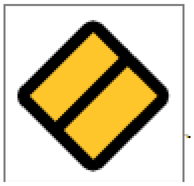

إنتهاء أولوية المرور

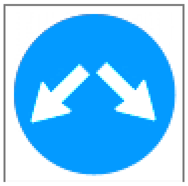

المرور على أحد جانبي الطريق

علامات مرورية إرشادية أو توجيهية

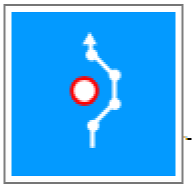

تحويلة

تليفون

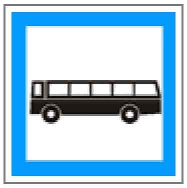

موقف أتوبيس

محطة وقود

مطعم

طريق مغلق

بداية الطريق الدولي

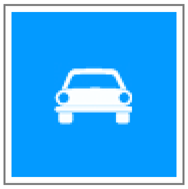

طريق مخصص لسير السيارات

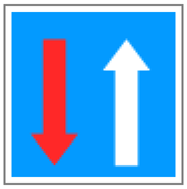

الطريق يسمح بمرور سياره واحده

موقف سيارات

مستشفي

المعوقين

علامات مرورية أرضية

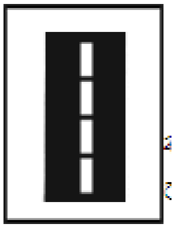

خط متقطع [مسموح بالتخطي]

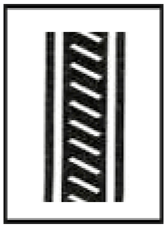

منطقة فاصله بين إتجاهين

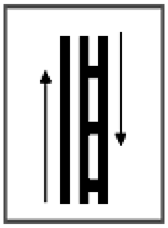

مسموح التجاوز في إتجاه واحد [اليسار]

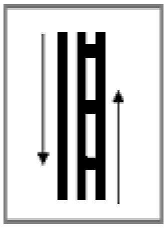

مسموح التجاوز في إتجاه واحد [اليمين]

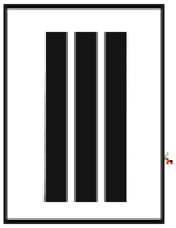

منوع التجاوز قطعياً

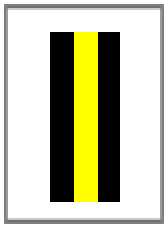

خط أصفر متصل وسط الطريق

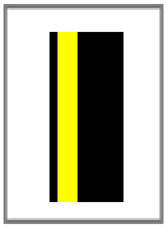

خط أصفر متصل يسار الطريق

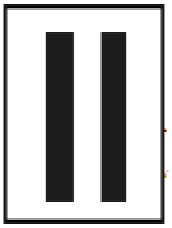

خط أبيض وسط الطريق

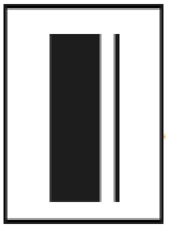

خط أبيض يمين الطريق

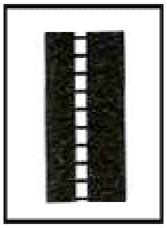

إلتقاء الطريق بآخر رئيسي

إشارات ضوئية

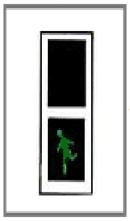

[أخضر] أعبر بحرص

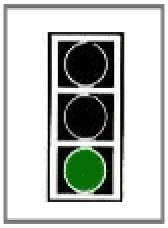

[أخضر] سر

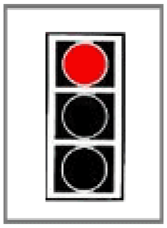

[أحمر] قف

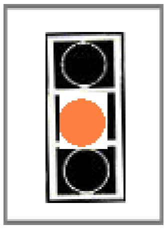

[برتقالي] تهيأ للوقوف

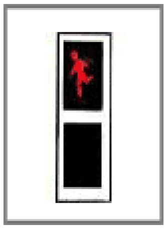

[أحمر] قف

المصادر والمراجع :

1- د .سعيد عبده : جغرافية النقل ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2007.

2- وثيقة إعداد منهج التربية المرورية ، المركز القومي للمناهج والبحث التربوي ، الخرطوم ، 2008.

3- د. الياس الشويري : رحلات باتجاه السلامة المرورية, دار المحجة البيضاء، 2010

4- التربية المرورية :العقيد محسن بن عيسى-الدار المتوسطية للنشر- تونس -2010

5- التوعية المرورية :العقيد محسن بن عيسى-الدار المتوسطية للنشر- تونس -2010

6- الثقافة المرورية :العقيد محسن بن عيسى-الدار المتوسطية للنشر- تونس -2010

7- Code de la route (la boîte à questions) Hachette Livre- Deux Coqs d'or 2010

8- L'éducation routière à l'école –Codes Rousseau

9- La sécurité routière à l'école primaire – Maif 2004

10- La rue de tous les dangers- Sylvie Girardet-Hatier 2006

11- Pourlesnuls.fr

الشاعر والقاضي .....

كريم شاعر ملهم ،مكتمل الصورة.منذ صغره لفت نظر اساتذته في المدرسة التي يتعلّم فيها فكان بعضهم يحيطونه بعناياتهم ويشيدون بمواهبه .ولم تكن تمر مناسبة وطنية او اجتماعية الّا ويكون نجمها المتألق فيلقي ماتيسر من شعره العذب الرقيق فيثير حماس رفاقه فيصفقون له وهم في بالغ غبطتهم..توفي والده وهو العامل البسيط في بستان احد اثرياء المنطقة قريب من مكان اقامته عندما سقط من فوق شجرة زيتون كات يقوم بتشذيبها .. صُدمت العائلة لفقد معيلها الوحيد .بكته الزوجة وولديها الاثنين اسماعيل ابن الثانيةعشرة وكريم ابن الرابعة عشرة مما جعله يترك المدرسة وهو لم يُنه بعد المرحلة المتوسطة وحلّ محل والده المتوفي بعد ان كان صاحب البستان يراقبه وهو يساعد والده ويُظهر المهارة والنشاط..وهكذا اصبح الفتى المرهف عاملا مسؤولا يوفّر لأُمه وأخيه حاجياتها الأساسية من ماكل ومشر ب وملبس وكان همه الوحيد ان يتابع اخوه تحصيله العلمي...سارت امور العائلةبشكل

طبيعي..كريم يواظب على عمله بصورةمّلفتة مما اكسبه ثقة صاحب البستان فاوكل اليه مسؤولية الاشراف على ممتلكاته فقام بعمله على احسن مايرام وكان من نتيجة ذلك ان بنى له بيتا صغيرا في احدى زوايا البستان مجهزة ببعض الاثاث البسيط وقد وجد كريم في ذلك سعادة لاتوصف فقد كان يلجأ اليه للراحة واحيانا كثيرة ينام فيه اذا تأخر في عمله. يطالع الروايات العالمية وداووين الشعر المرموقة لكبار الشعراء التي كانت تغص بها مكتبة معلمه الكبيرة...لم يغفل كريم عن والدته واخيه فكان مولعا بحبهما ودائما كانت نصيحته لاخيه ان يكون مجتهدا ويحقق حلمه بأن يكون قاضيا يُحسب له كل حساب....احب كريم عمله كان شغوفا بسماع زقزقة العصافير وتغريدات البلابل ونداء الشحارير وهي تتناجى... كان مسحورا بسماع رقرقة الماء الجارية في مجرى بين الاشجار ...كان مزهوا

بصنع يديه عند مشاهدتة لاكتمال مواسمه من الزهرة حتى الاثمار...كان عبير الورود بالوانها البديعة يثمله....عاش في فردوس ارضي يحسده عليه الشعراء والفنانين الذي لم يخيب آملهم فيه فكان ينظم اجمل الشعر ليلا حتى اصبح لديه عشرات القصائد التي تنتظر الانعتاق في ديوا ن يحظى باذواق مستمعيه .....كريم الان في السابعة والعشرين..شاب مكتمل الرجولة .بهي الطلعة .وجه اعطته الشمس لونا برونزيا جذابا..حديثه لطيف.فَكِه..مندّى بالعبير لاينقصه الّا فتاة جميلة تليق به ..وهل اجمل واطيب من سلمى ابنة صاحب البستان التي تولّهت به واحبته بصدق لتكون زوجته وهذا ما حصل فاقيم للعريسين ابهى احتفال صدحت فيه الموسيقى والاغاني الشعبية الرائعة مما اثار حسد الحساسين العاشقة لظنها ان نغماتها هي الاطرب...وهكذا اصبح كريم زوجا مثاليا ينتظر ولادة طفل من زوجته الحبيبة وولادة ديوانه الشعري الذي وقعّه على وقع غبطة الحاضرين من ادباء وشعراء ونقّاد......وفي عودة الى امه واخيه.فقد انتقلت ام كريم الى بيت حبيبها فنعمت بالعيش الرغيد مجللة بالفخار.......اما الاخ الاصغر اسماعيل فقد اصبح. قاضيا كما حلم .لامعا، مكرسا وقته لخدمة الناس مدافعا عن حقوقهم نزيها شريفا لايقبل رشوة ولا مديحاً زائفاً فذاع صيته كقدوة طيبة لكل العاملين في الحقل العام والذين يحافظون على قدسية المهنة دون محاباة .

د. محمد يوسف فران

شملة خواطر

الوعي أمرعلى الأيام يسعفنا...

وهو الذي دُرَّة الأعماق يُبغينا...

وعْيُ السلامة إيمانٌ يُشَجِّعُنا...

على النجاةِ ! ونمضي في أمانينا...

نسري إلى روضة غنّاء في شغفٍ ...

لا نستكين ! و ربُّ الكون يحمينا!!! .

******

أرِقْت شوقاً ! ونبْضُ القلبِ رقْراقُ...

وتِهْت حُبّاً ! وطرْفُ العين رشّاقُ...

فزدت سعْياً ، فما وانيت ثانيةً...

قدْ حلّ منك ، على الهجران ، ترياقُ !!!

إنْ جُدْت حقاً بما نشتاقُ ملهمتي...

فإنّ قلبي على الايام دفّاقُ!!!

******

من قلوبنا ليش غابت البهجة...

وقبل الفجر لعبت بنا الرهجة...

غابوا الحباب وسلطنوا الأغراب...

ونيران حمرا تداعب المُهجة...

******

قولي بربك هل يليق بنا زجْرُ ؟

ولورد خدّك يبسم الفجرُ !!؟؟

هل ترشفين الخمرَ من ولهٍ ؟

أم تهتفين جوى، ففي الونى ذُعْرُ ؟

كُفّي البُعادَ ، وسيري ملهمتي...

واستنشقي العطرَ عندي ! فالهوى عِطرُ

!!!

******

شوف الحلا ، اللي بْذوقك الراقي ،أصيل...

وفنك ، بيسحر قلبنا المضنَى ، جميل...

كلما تطّلي بلوحتك يحلو المقال...

بْيعلا ، شدا الأبطال بصواتن ، صليل!!!...

******

ما كنت أعرف أن حبك دائمُ...

والفجرُ مِن بين المباسم حائمُ...

للقلب . أنت ! وللحياة سعادةٌ...

والربُّ للوجه النبيل لَعَاصِمُ!!! .

******

فتحت عيني و الصباحُ رباحُ...

ويرّفُّ في عرض السماء جَناحُ..

وتشدُّ أُذني في الجوار مناحةٌ...

ويجوب في رحب الفضاء صياحُ...

فمتى يزول البؤس عن بلد الإبا ...

وَلْتُشْفَ من كَلْمى النفوسِ جِراحُ!!!

*****

يا ورد يا غُرَرَ الأنسامِ مبتسِماً...

صباح عطرِكِ منْجاةٌ من النكد ...

هل يرعوي السفها ، عن جور ما صنعوا...

والفعلُ ما زرعوا ، سوءاً بسوء يدِ...

يا بئس فعلهمُ من سوء ما ابتدعوا...

والجودُ دأبُ الأُلى فيضاً بِنُبل نَدِ !!!

******

عَطَف قلبك غمر قلبي بِفضلو ...

وعلى قلوب البشر كلن بَفضلو...

بظلم الدهر لو عانى بَ فُضّ لو...

عن همومو إذا تْخلّوا الحباب...

بيعود عا قلبك صدى تغريدك المردود!!!

وبتقول للدنيا الخبيثة بكيدها المحرور...

ردي لنا العهد الصّفيّ بعمرنا المغدور...

حتى نرجّع بالوفا عهد السعد والجود!!!

******

ذوق الأحبة يغني قلبنا فرحا...

والشكر نحوهمُ وسْطَ الدّجى جنحا!!!

والروح تهفو إلى لقياهُمُ أبداً...

حتّى القَتامُ على مرْآهُمُ صَبُحا!!!.

******

حضورك بالحلا بيطيب صُبحو...

ببالي كلما طال العمر صَبْحو...

إذا ما طيوفكن بالبال صَبْحوا...

هموم قلوبنا بْ تصبح سراب...

******

د. علي أحمد مشلب

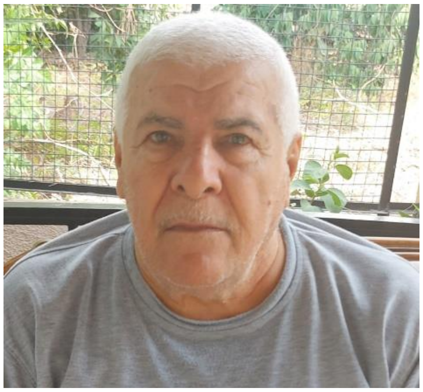

العرب كيف تزوجوا ويتزوجون...

الزواج رباط مقدّس أجازه الله تعالى للانسان منذ بدء الخليقة، ربط به الذكر والأنثى علي أسس ومبادئ تحترم شعور الطرفين في السراء والضراء وله أهداف كثيرة منها:

- تحقق الرغبة الجنسية المسماة غريزة الشهوة التي خلقها الله في الانسان والحيوان .
- تكاثر النسل.
- بناء الأسر.

زواج تعدد أنواعه، واختلفت أشكاله، وحمل العديد من التسميات حتى شاء الله أن شرّعه ونظمه في الأديان السماوية من أجل مشكلة الجنس وإيجاد الأجواء الطبيعية لعملية التناسل والتكاثر.

انتشرت في مجتمعات البلاد العربية القديمة في فترة ما قبل الاسلام زيجات عديدة، جاءت وفق رغبات الانسان وغريزته، لكنها حملت شرعية الصداق الذي بدونه تُعد بغياً وسفاحاً وزناً. وقد تمكنا من أن نحصي عدداً لابأس به، نورده حسب الأهمية:

- زواج البعولة: أو (الكفاءة في النكاح) أي المساواة في المراكز والنسب، لكي يتجنبوا الحمقاء، لأن المرأة وعاء للوُلد، ومركز للعرق عن طريق الخال، لاعتقادهم بأن العرق دساس.
- زواج القرابة: (اللحمي) وهو زواج من بنت العم، أو بنت الخال، وذلك من أجل شد أواصر الأسرة والمحافظة على ثروة القبيلة في دأخلها، وحتى لا تتبدد بدفع المهور الغالية للغريب.

- زواج السبي: عندما يقوم مجموعة من الرجال بغزو قبيلة أخرى يأخذون نسائها عنوة تحت تهديد السلاح ، ثم يتقاسمون السبايا، فمن وقعت في حصتة امرأة يأخذها ويستمتع بها . وليس لها ان لا تقبل ما دامت تعتبر من أملاكه، كذلك لايحتاج هذا النوع من الزواج لرضا الأهل لأنه يعتبر بمثابة حق المحاربين المنتصرين في نساء المغلوبين، الا إذا تمّ تحرير المرأة بفداء أو عنوة . وهكذا فإن هذا الزواج يحصل عن طريق الحرب والغزو والأسر، وليس فيه خطبة أو مهر.

- زواج الإستبضاع: الإستبضاع هو نوع من انواع الزواج قبل الاسلام وكان الغرض منه الإنجاب فقط، وفيه يأمر الزوج زوجته بأن تنكح رجلا له صفات حميدة يريد أن يكون له ولداً بهذه الصفات، كأن يكون هذا الرجل من الفرسان أو يكون شاعراً. هدف الإستبضاع الأساسي هو الحمل وتحسين النسل بكل صفات الفروسية من شجاعة واقدام، التصرف بحكمة وقيادية، وما إلى ذلك من صفات الفروسية المعروفة.
فيطلب الرجل من زوجته إذا طهرت من طمسها، أن تذهب الى فلان وتستبضع منه، فإذا باضعها عادت الى زوجها، الذي يبقى بعيداً عنها لا يمسها حتى يبين حملها.
- زواج المخادنة: المخادنة تعني المصادقة، بعض النساء قبل الإسلام كانت على علاقة عشق برجل آخر غير زوجها، هذه العلاقة قد تكون سرية أو علنية ولكن أغلب الأدلة من القرآن والسنة تقول أنها كانت سرية. أما عن مدى عمق هذه العلاقة فقد أشارت الكثير من البراهين أنها لا تزيد عن بعض القبلات والأحتضان ولا تصل أبدا إلى النكاح الكامل.

إذن هي قيام علاقة بين الرجل والمرأة بغير عقد نكاح وقد يقيم معها وتقيم معه.

- زواج المضامدة: المضامدة هي اتخاذ المرأة أكثر من زوج، أي أنها كانت تتزوج برجلين أخرين غير زوجها، وهذا تحسباً للظروف القادمة، بمعنى أنها تستطيع الذهاب للزوج الثاني أو الثالث لتأكل أو تشرب أو تلبس أو لحاجة أخرى، إذا كان الزوج الأول في حالة فقر شديد. هذا النوع من الزواج كان غير مرغوباً فيه وكانوا أيام الجاهلية يعتبرونه خيانة كبرى، لكنه كان منتشراً بكثرة في هذا العصر. وقد مثل قيام المرأة بعلاقات جنسية مع أكثر من صديقين أو ثلاثة.
- زواج البدل: وهو أن يُبدّل الرجلان زوجتيهما، لفترة مؤقتة، بُغية التمتع والتغيير، دون إعلان طلاق أو تبديل عقد زواج. يروى عن أبي هريرة قوله : "إن البدل في الجاهلية، أن يقول الرجل للرجل: انزل لي عن امرأتك، وأنزل لك عن امرأتي، وأزيدك".

  الغرض من هذا الزواج هو المتعة والتغيير فقط، فيقول الرجل للآخر اعطني إمرأتك وخذ امرأتي، وبهذا يكون زواج البدل قدحصل.
- زواج الشغار: هذا النوع من انواع الزواج قبل الاسلام يشبه زواج البدل قليلا، حيث أنه يقوم فيه الرجل بتزويج زوجته إلى رجل آخر بشرط أن يزوجه ذلك الرجل بزوجته, ويكون ذلك بدون مهر..

الفرق بين زواج الشغار وزواج البدل: يختلف زواج الشغار عن زواج البدل في شيئين:

- زواج البدل يكون عن طريق تبديل الزوجات دون زواج ولفترة قليلة بهدف المتعة.
- زواج الشغار يكون عن طريق تبديل الزوجات بزواج أخر موثق دون تحديد فترة محددة.

- **زواج الضيزن أو (نكاح المقت) وهو اذا مات الأب يحق للابن الأكبر أن يتزوج بزوجة ابيه كجزء من ميراثه. ويسري ذلك على زوجة الأخ، وتصبح المرأة جزءاً من التركة، ولذلك يسمى هذا النوع من الزواج بزواج الميراث، ويتم دون مهر. واذا لم يكن للرجل ابن أو أخ ورث امرأته أقرب الرجال من القبيلة. وقد بقي هذا الزواج مستمراً حتى حرّمه الله بقوله تعالى:"ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا "(سورة النساء الآية 22).**

- **زواج الأختين: هو الزواج الذي يجمع الأختين لزوج واحد.**

- **زواج الرهط أو تعدد الأزواج: يجتمع فيه الرهط وهم عشرة وما دون، ويدخلون كلهم على أمرأة واحدة ويصيبونها، وذلك برضاء منها، وباتفاق بينهم وبينها. فإذا حملت ووضعت، جمعتهم وسمّت واحداً منهم وألحقت به الولد.**

- **زواج الذواق: زواج يدل على فئة سريعة الزواج، سريعة الطلاق، وتسمى الجماعات المملة.**

- **زواج صواحبات الرايات: يقوم هذا النوع من الزواج على ان يجتمع رجال كثر بامرأة واحدة، ولا تترفع عن من جاء اليها. وقد تمت تسميتهن ب"صواحبات الرايات" لأن أولئك النسوة كن ينصبن الرايات على أبواب مساكنهن، ومن أرادهن يدخل عليهن،**

وإن حملت إحداهن ووضعت، أرسلت لمن جامعوها واختارت أباً لابنها وليس له أن لا يقبل.

كانت غاية هذا الزواج التسلية، ولا صداق فيه أو خطوبة، كما جرت العادة، وقد كان يتم بسبب الظروف الاجتماعية التي تسببت بقلة النساء كون معظم القبائل كانت تئد الإناث.
إذاًهو أقرب الى السفاح، وفيه استلحاق الولد بوالد، ويقصد الاستمتاع والتسلية.

ثم جاء الاسلام وجاء معه القرآن الكريم، وحمل معه الكثير من السنن والنظم والقوانين حرّم بها كثيراً من هذه الأنواع التي وردت، وحلّل البعض منها مع قليل من التعديلات، ثم أوجب أنواعاً منها كان الدين المسيحي الذي وجد قبله قد حرّمها،
انتشرت هذه الأنواع في مجتمعات الدول العربية، حيث أبعدت الانسان عن الزنا والرذيلة وأعطته متعته بالحلال، سواء كان ذلك في اسرته أو بعيداً عنها، ومن هذه الزيجات:
-الزواج الشرعي: زواج نادت به الأديان وحللته وذلك وفق قوانين الشرع والدين، ويتم لدى المطران في الكنيسة أو لدى الإمام في مركزه.
الزواج الشرعي أو الزواج الحلال هو الزواج الذي يتوفر فيه شروط ونصوص حددتها الشريعة الإسلامية لإتمام عقد النكاح بين الرجل والمرأة.منها:

1-القبول بين الرجل والمرأة، أي أن يكون كلاً منهما موافقاً على عقد الزواج بدون ضغط أو أي نوع من الإجبار.
2-تحديد مهر للعروسة يتم دفعه من قِبل العريس، ويجب أن يكون هناك توافق في المهر ولا يصح عقد الزواج الشرعي بدونه.
3- وجود شاهديْ عدل، أي شخصين يقومان بالشهادة على هذا الزواج بين الطرفين.

4-ومن أهم شروط العقد الذي لا يصح إلا بدونه هو وجود ولي للمرأة، حيث لا يجوز عند الائمة الأربعة أن تزوج المراة نفسها، لابد لها من ولي نائب عنها.

5-الإشهار، هو آخر شروط العقد الشرعي وأهمها، لا يجوز زواج بدون إشهار بين الناس.

6- من الشروط الهامة جداً لإتمام الزواج بشكل شرعي ويتجاهلها بعض الناس في بعض الأماكن، هو موافقة البنت على الزواج أولاً، لأن الزواج بدون موافقة باطل.

*زواج تعدد الزوجات: هذا الزواج حرّمه الدين المسيحي، في حال حلّله الدين الاسلامي، ولكن حلاله كان بشروط واضحة وردت بقوله في القرآن الكريم: " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع شرط أن تعدلوا وإن خفتم الا تعدلوا فواحدة..."

*زواج المتعة": أو الزواج المؤقت، أو الزواج المنقطع ،أو النكاح المنقطع، هو زواج يقوم بالعقد والمدّة والمهر المعيّنين .لا يتوارث الزوجان فيه ولا تجب النفقة للمرأة على الزوج. ويُستدل عليه بقوله تعالى :﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾.

يتّفق المسلمون على أن هذا النوع من الزواج كان على عهد رسول الله (صلعم) إلاّ أنهم اختلفوا في أنه نُسخ أم لازال باقياً؟ أما الشيعة فلا خلاف بينهم في بقائه على الجواز. وهذا الزواج معترف به في إيران في ضمن القانون المدني.

إنه زواج هدفه الاستمتاع وليست الاقامة و السكن، وهو محصور ضمن مدة معينة ومهر معيّن وعقد ليثبت به شرعية الحمل إذا حصل، ولا يتحمّل الرجل الإنفاق على المرأة. وإذا انقضت مدته وقعت الفرقة والطلاق أو التحرير.

*الزواج المدني: هو زواج يتمّ توثيقه، وتسجيله في المحكمة التي تُطبّق الدستور والقانون بين شخصين مُسجَليّن في السجلات المدنيّة لدى الدولة أو من المُقيمين فيها، ويُعتبر أساسه إلغاء الفروقات الدينيّة، والمذهبية، والعرقية بين طرفي الزواج؛ فلا يمنع ارتباط اتباع الدين الإسلامي باتباع الدين المسيحي أو اليهودي أو العكس، ويتمّ بقبول الطرفين؛ الزوج

والزوجة، وبحضور الشهود، وكاتب العَقد، ويتمتع المتزوجون مدنياً بكامل حقوقهم المدنيّة؛ الاجتماعيّة، والسياسية، والخدماتية، ولا يجوز لأحد مخالفة ذلك؛ لأنه يُعتبر مُخالفة لقانون الدولة التي أتاحت هذا النوع من الزواج.

***الزواج العرفي: هو زواج يتم بين طرفين ذكر أو أنثى، دون أن يوثّق لدى السلطة الدينية أو القانونية و ينسخ على نسختين، ليس لهما أية صبغة رسمية او شرعية**

الزواج العرفي هو من أنواع الزواج المنتشرة بكثرة في الوقت الحالي، وهو له وجهان:

الوجه الأول: الزواج العرفي يتم بكتابة عقد زواج بين الرجل والمرأة ويشهد على هذا العقد شاهدان، وقدلا يكون في هذا الزواج إشهار للناس، فقد يكون في السر بدون علم الولي والأقارب. ولا يتم تسجيل هذا العقد في أي جهة حكومية، و قد لا يكون هناك إثبات في حالة وجود مولود ناتج عن هذه العلاقة، أو في حالة موت أحد الزوجين لا يستطيع أحدهما أن يرث الآخر.

هذه الحالة حرمها الدين الإسلامي، وذلك لإنه لم يستوف فيها شروط الزواج الشرعي الصحيح، وهى الإشهار ووجود الولي للمرأة وغيرها من الشروط.

الوجه الثاني: يكون هذا الزواج عبارة عن عقد مكتوب بين الرجل والمرأة والولي وتستوفى فيه كافة الشروط المذكورة في الزواج الشرعي. والفرق الوحيد بينه وبين الزواج الشرعي، إنه لم يتم تسجيله في المحكمة وفي الدوائر الحكومية.

قد يلجأ بعض الناس إلى هذا النوع من الزواج في بعض الحالات، كأن تكون المرأة لم تتعد السن القانونية للزواج. وقد أجازه الدين الإسلامي ، حيث يتوفر فيه جميع شروط الزواج الشرعي العادي.

- **زواج المسفار: هو نوع من الزواج يتم خلال السفر، بموجب عقد شفهي ليس فيه أي إثبات أو شهود وله عدة أسماء تطلق عليه لأنها قريبة الشبه منه:**
- **زواج المسيار: هذا الزواج مشابه للزواج الشرعي الطبيعي، ويكون فيه استيفاء لجميع أركان الزواج الشرعي العادي. والاختلاف بينه وبين والزواج الشرعي أن المرأة في هذا الزواج تتنازل عن جميع حقوقها مثل السكن والنفقة. بكامل رغبتها ، دون ضغط وإجبار من زوجها أو الآخرين.**

في أغلب الأحيان يكون زواج المسيار هو الزواج الثاني أو الثالث أو الرابع للرجل، حيث يحتاج الرجل إلى التعدد مع عدم توفر القدرة المادية لذلك، فيضطر على زواج المسيار.

زواج المسيار يحل مشكلة العنوسة التي انتشرت ويقلل من نسب تأخر الزواج عند البنات، لأنه لا يكلف الرجل غير المقتدر مصروفات وتكاليف عالية للزواج.

في بعض الأحيان يكون لدى المرأة الكثير من الأموال ولا تحتاج إلى النفقة من الرجل أو تأمين السكن،فتلجأ الى الارتباط بهذا النوع من الزواج.

من أهم شروط هذا الزواج أن توافق المرأة أن تتنازل عن بعض حقوقها الزوجية بحريتها وإرادتها.

***زواج الأصدقاء: زواج "الفرند" يتم هذا الزواج حسب الشريعة الإسلامية بإيجاب وقبول، وبحضور شهود، وولي، وإعلان إلى غيرها من مواصفات العقد الشرعي الصحيح... وهذا الزواج يتم بين شابة وشاب دون أن يمتلكا بيتاً يأويان إليه، ودون أن يسكنا معاً تحت سقف واحد، وذلك في بداية حياتهما فقط، وليس من شروط هذا الزواج أن تتنازل المرأة عن أي حق تمتلكه بموجب عقد الزواج، ولا يكون هذا الزواج على التأقيت بل هو زواج على التأبيد وليس محدداً بوقت معين، ولا يُعقد بنيّة التأقيت ولا بنيّة الطلاق، وكل ما في الأمر أنه**

يختلف عن الزواج العادي أن الزوجين يسكن كل واحد منهما في بيت أبيه ولا يجمعهما سكن واحد في بداية الزواج، أما أركان الزواج الصحيح وشروط الزواج الصحيح فمتوفرة فيه.

***الزواج النهاري: الزواج النهاري" زواج جديد ظهر في السعودية ، ليشكل موضة جديدة يقبل عليها أصحاب الشخصيات المرموقة، وخاصة رجال الأعمال والموظفين في المراكز القيادية الذين ليس لديهم الجرأة على إعلان الزواج الثاني خشية من الزوجة الأولى ، ويفضلون زيارة الزوجة الثانية في أوقات فترات العمل الصباحية ، وغالباً ما تلجأ إلى هذه الزيجات على رجال أصغر سناً وخاصة من الأرامل والمطلقات والعاملات بفترة الليل.**

كلها زيجات سرية غير معلنة ، تضيع فيها الحقوق والواجبات، وتغرق مجتمعاتنا في بحر من الخطايا والفساد والرزيلة... وتغطي الزنا وتعطيه وجهاً آخر هو وجه الحلال.

الدكتور ناهض قديح

علم إجتماع المعرفة بين إبن خلدون وماركس

تمهيد:

كلنا يعلم أن الفلسفة كانت فيما مضى تسمى أم العلوم؛ حيث كان على عاتق الفيلسوف أن يتكلم بالإجتماع والفنون والسياسة والإقتصاد والتربية والأخلاق والقانون وغير ذلك... والمعروف أيضاً أن العلوم التي نعرفها اليوم كانت قد إنفصلت عن الفلسفة (الأم) وبدأت مرحلة التخصص، بحيث صار كل علم يتطرق ويهتم بقضايا خاصة ويعالجها، حتى ظهرت العلوم الإنسانية كعلم التاريخ، علم النفس، الجغرافيا، اللغة، الإقتصاد، القانون، السياسة وعلم الإجتماع، ألخ...

1- علم الإجتماع:

علينا الإشارة إلى أن انفصال العلم واستقلاليته عن الفلسفة، ليس أمراً اعتباطياً؛ لأن هناك شروطاً يجب توافرها لتتم هذه العملية ويصبح علماً مستقلاً. من هذه الشروط:

- **أن يكون له موضوعاً.**
- **أن يكون له هدفاً وغايات.**
- **أن يكون له مناهج للبحث.**

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل توافرت هذه الشروط في علم الإجتماع حتى يكون علماً قائماً بذاته؟

من خلال تعريفه يظهر موضوعه؛ فعلم الإجتماع هو العلم الذي يدرس الظواهر الإجتماعية. وهدفه من ذلك ملاحقة الظاهرة الإجتماعية في الماضي والحاضر للكشف عن العوامل والدوافع التي تتحكم بها. ثم أن لهذا العلم مناهج وطرقاً للبحث نذكر منها: المنهج التاريخي، الوصفي، التجريبي، المقارن...

إذن، نستطيع القول أن شروط إنفصال العلم واستقلاليته قد توافرت في علم الإجتماع. والجدير ذكره هنا أن هذه الإستقلالية لا تعني أبداً أنه أصبح علماً منعزلاً، إنما هو على علاقة مستمرة وجدلية بغيره من العلوم، يقدم لها الخدمات، ويستفيد هو من نتائج أبحاثها.

2- علم إجتماع المعرفة:

لقد تربع علم الإجتماع على رأس العلوم الإنسانية. ومن الطبيعي أن يتطور هذا العلم ويتشعّب ويتفرّع، إنطلاقاً من مبدأ التخصص، حتى رأينا فروعاً عديدة له كعلم الإجتماع العائلي، الريفي، السياسي، التربوي، التنمية، العمل، الجريمة، القانون، ألخ...

أما علم إجتماع المعرفة، الذي هو أشمل هذه العلوم التي ذكرناها، ولن نغوص بالتعريفات الكثيرة التي عرفته لنقول: إنه العلم الذي يتعقب المعارف الإنسانية كلها، ويحاول ربطها بالبنية الإجتماعية والواقع الإجتماعي، ويشكل جسراً يربط بين علم الإجتماع بالفكر الفلسفي؛ أي أن هذا العلم الجديد يحاول كشف إرتباط المعرفة ككيان ذهني بالمسار الإجتماعي العام، وبالإطار الإجتماعي الذي تنشأ وتتحرك فيه هذه المعرفة.

3- المساهمات التي بلورت هذا العلم:

نشير هنا إلى مسألة هامة، وهي أنه إذا كان "كومت" **Auguste Comte** (1798م – 1857م) هو أول من وضع عبارة علم الإجتماع، فهذا لا يعني أن هذا

العلم ولد مع "كومت" عام 1839م. لأن طرح المسألة الإجتماعية والتفكير في الواقع قديماً جداً يعود إلى "أفلاطون" في جمهوريته المثالية، و"الفارابي" في أهل المدينة الفاضلة، و"مونتسكيو" في روح الشرائع، و"إبن خلدون"، وغيرهم كثير. ونقول نفس الشيء عن علم إجتماع المعرفة؛ حيث أن له جذوراً عميقة في التاريخ، وإن كانت تسميته تعود للقرن العشرين فقط. والمقصود من هذه التسمية كشف العلاقة بين المعرفة والعلم من جهة، والواقع الإجتماعي من جهة أخرى. ومن المؤكد أننا عندما نربط المعرفة بالمجتمع تصبح معرفة ديناميكية ملازمة لحركة المجتمع الداخلية؛ لأن المجتمع هو بحالة حركة دائمة مستمرة، إذ لا نعرف مجتمعاً جامداً ثابتاً لا حركة فيه.

4- صاعد الأندلسي (1029م - 1071م):

قد يكون صاعد الأندلسي أول من أسس لعلم إجتماع المعرفة حين تطرق إلى مسألة الحضارات محاولاً تفسير بروزها بالعودة إلى العنصر الإقليمي. فهو لم يقل بكيفية تشكل العلوم وتلازمها مع الحياة، إلا أنه لاحظ نموها عند بعض الشعوب وإختفائها عند البعض الآخر، وأعاد ذلك إلى السبب الموضوعي الأول، وهو تأثير العنصر الجغرافي. وكما نعلم، فقد أصبح حالياً التأثير البيئي والجغرافي من المسلمات الأساسية، في ميدان علم إجتماع المعرفة والعلوم الإجتماعية بشكل عام.

5- إبن خلدون (1332م - 1406م):

إذا ما عرفنا أن لكل مرحلة زمنية فكرها وذهنيتها ومفاهيمها وتقاليدها وعاداتها ونظرتها للفن والجمال والحياة، أدركنا مدى الترابط بين البنية الذهنية الفكرية وما تنتجه وبين الظروف الإجتماعية، ووعينا العلاقة الجدلية بين الفكر والواقع، أو بين البنية الفوقية والبنية التحتية حسب التعبير الماركسي.

حين أكد لنا إبن خلدون أن العلوم ظاهرة إجتماعية طبيعية تتعلق مباشرة بطبيعة العمران الذي تنشأ فيه، يكون قد ربط المعرفة بالشكل الإجتماعي ربطاً جدلياً، وهذا يعني أن الشكل الإجتماعي يؤثر في المعرفة، ومن ثم تعود المعرفة لتؤثر فيه، فتجعله أكثر قدرة على معارف جديدة.

لقد أعطى إبن خلدون الأمثلة على ذلك حال بغداد وقرطبة والبصرة والكوفة لمّا كثر عمرانها في صدر الإسلام، واستوت فيها الحضارة، كيف زخرت فيها بحار العلم، وتفننوا في إصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون. ولمّا تناقص عمرانها تراجعت وفُقد العلم والتعليم وانتقل إلى غيرها. فبحر العمران إذا زخر ظهرت العلوم والفنون، وإذا تناقص تناقصت.

لقد أكد إبن خلدون على العلاقة الموضوعية بين العلم والتقدم الإجتماعي، فحيث يكون هناك تقدم حضاري يكون تقدم علمي، وحيث تتراجع الحضارة تتراجع العلوم بالضرورة. إذن، فالعلم والمعرفة يعيشان في علاقة موضوعية مع المجتمع، وينموان مع المدنية ويتقهقران مع نقيضها.

هذا يسمح لنا القول بأن الأفكار والمعارف هي نتاج الواقع وصورة له. فإذا كان هذا الواقع متقدماً إغتنى الفكر وتحرك في إطاره بطلاقة وحرية؛ ينتج، يصنع، يؤثر فيه ويغيره. وإذا كان متأخراً إنزوى الفكر وتقوقع وراح الإنسان يلهث وراء تدبير معاشه وتحصيل قوته. وبكلمة واحدة نقول: إن كلاً من الواقع والفكر يؤدي دور الفاعل والمنفعل، المؤثر والمتأثر. والمعادلة الجدلية التي يطرحها إبن خلدون، ويسبق بها أي فكر أو فيلسوف إجتماعي تصبح كالتالي: فكر واقع

والجدير ذكره هنا أن إبن خلدون قد قلب بهذه المعادلة ما كان سائداً قبله، وأحدث تطوراً جدياً. فبعد أن كان الفكر المثالي قد جعل المعرفة شيئاً قادماً من عالم الأفكار

(راجع نظرية المثل عند أفلاطون)، جعلها إبن خلدون قادمة من عالم الواقع، العالم المحسوس المادي، واعتبر ركائز المعرفة هي الشكل الإجتماعي.

لقد اتضح رأي إبن خلدون هذا أكثر عندما قال بأن العنصر الإقتصادي له الدور الفاعل في تطور المجتمعات، وبالتالي تطور المعارف والعلوم. وفي هذا السياق يقول إبن خلدون: "إعلم أن إختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش. فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والإبتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي. فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها وإستخراج فضلاتها..."

يتضح لنا عندما نقرأ هذا النص أن الإختلاف في وسائل الإنتاج يؤدي إلى إختلاف في علاقات الإنتاج، وبالتالي إلى إختلاف في كل الأحوال والعادات والتقاليد وأشكال المعرفة. فعادات وتقاليد ومعارف البدو مثلاً الذين يعيشون على الرعي تختلف عن عادات وتقاليد ومعارف الذين يعيشون على الزراعة، أو أولئك الذين يعيشون على التجارة.

لقد حرص إبن خلدون أن يبرز الإرتباط الوثيق بين المعرفة والمجتمع، بين تطور العلوم وتطور المجتمع ككل. فالمعرفة بالنهاية تستقى أصولها من عناصر الواقع الإجتماعي الجغرافية والسياسية والإقتصادية والنفسية والإيديولوية، حيث يؤدي كل عنصر دور الفاعل والمتفعل، كما رأينا. وتتنوع المعرفة حسب التشكيلة الإجتماعية التي تمثل "الوعاء الذي منه يستقي الفكر معارفه". فالتقدم الحضاري يولد أرضية ثقافية ملائمة لإستيعاب مزيد من المعارف والعلوم، لأنه يؤثر في إستعدادات أفراد المجتمع لتقبل المزيد من المعارف. وعندما يربط إبن خلدون العلوم بالصنائع دائماً فلأنه لا

يفصل الفكر عن المهن. فالأفكار عنده تتكون من جراء إحتكاكها بالواقع الإجتماعي، أي بالواقع المادي المحسوس، أي المجتمع وما يحدث فيه من عمليات وتفاعلات.

6- كارل ماركس (1818م – 1883م):

إتضحت معالم علم إجتماع المعرفة مع ماركس حين إعتبر أن المجتمع مؤلف من البنية الفوقية وهي عبارة عن الأفكار التي يحملها المجتمع، وتتضمن السياسة والقانون والفنون والأخلاق والتربية والعادات والتقاليد ألخ... والبنية الثانية هي التحتية أي ما يحصل في الواقع المادي، أي البنية الإجتماعية والإقتصادية والسياسية. والبنية الفوقية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبنية التحتية التي هي الأساس المادي للمجتمع، الذي يحدد البنية الإجتماعية وتطورها وتغيراتها الإجتماعية.

إننا نرى من الضروري الإشارة لبعض المصطلحات الماركسية وتعريفها وشرحها حتى يتسنى لنا فهم ماركس لهذا العلم.

أ- **وسائل الإنتاج:** هي كل ما يستخدم في الإنتاج: كرأس المال – الآلات – الأدوات – المصانع. ففي المجتمع الفلاحي الزراعي مثلاً، تعتبر التربة والمجرفة والرفش من وسائل الإنتاج، كذلك المناجم والمصانع في المجتمع الصناعي، وفي المجتمع المعرفي تعتبر المكاتب والحواسيب أيضاً من وسائل الإنتاج.

ب- **علاقات الإنتاج:** هي كل العلاقات التي يجب على الناس أن تدخلها لإنتاج وإعادة إنتاج وسائل العيش والإستمرار بالحياة. وعندما نقول أن على الناس الدخول في هذه العلاقات الإجتماعية، فهذا يعني أن هذه المشاركة فيها ليست طوعية أو إختيارية، ومجمل هذه العلاقات هي بنية مستقرة نسبياً (البنية الإقتصادية).

ج- **قوى الإنتاج:** وهي عبارة عن الموارد الطبيعية، القوى العاملة، رأس المال، التقنيات. إذن هي كل القوى التي يطبقها الأفراد في عملية إنتاجهم: الجسم، الدماغ، الأدوات، التقنيات، المواد، المصانع، وسائل الإتصال والنقل، المعدات، التعاون بين

العمال، وظائف الإدارة والهندسة، والمعرفة الإنسانية قد تكون من قوى الإنتاج. وهكذا نرى أن جميع العوامل التي تسهم في نشاط البشر الإنتاجي هي من قوى الإنتاج. ويشير ماركس إلى أن القوى المنتجة ليست أكثر من قوة العمل الحقيقية للعمال مع بعض وسائل الإنتاج. وهكذا نرى أن القوى المنتجة هي مزيج من وسائل الإنتاج (الأدوات والآلات والأراضي والبنية التحتية وغيرها) مع القوى العاملة البشرية.

7- ماركس وعلم إجتماع المعرفة

عندما نقول أن علم إجتماع المعرفة هو العلم الذي يدرس علاقة الفكر الإنساني بالمجتمع وحركته المستمرة، وإعتبار هذه العلاقة جدلية بحيث تتأثر وتؤثر، نجد أن "ماركس" و"أنجلز" إنطلقا من أن إنتاج الأفكار والتصورات والوعي يرتبط بالنشاط المادي والتعامل المادي بين البشر. فالبشر هم منتجو تصوراتهم وأفكارهم من خلال عيشهم وعملهم وتفاعلهم مع بعضهم البعض، فهم يروحون ويجيئون ويبنون علاقات فيما بينهم، إذ لا حياة خارج إطار بنية الإنتاج، ولا وجود للإنسان بمعزل عن الشروط المادية للحياة والإنتاج. وهذا ينعكس على معارف البشر، إذ لا معرفة في المطلق أو خارج شروط تكونها المادية. فشروط الوجود سواء على صعيد حياة البشر أو حياة المعارف، هي الأساس الأول الذي تنطلق منه العلاقات الإجتماعية والعلاقات الفكرية الثقافية. وإن ما يحدد طبيعة البشر شروط الوجود هذه وحدودها هو واقع علاقات الإنتاج الإقتصادية الخاصة بالتشكيلة الإجتماعية الإقتصادية المعيشية، وهذا يعني أن "المعرفة تواكب النشاط الفعلي الذي يحدث في الواقع وتتناغم معه، وهي جدلية، إنها حركة الفكر من الجهل إلى المعرفة، ومن المعرفة غير الكاملة إلى معرفة أكثر كمالاً".

إن علم إجتماع المعرفة عند ماركس هو ذاته علم إجتماع الإيديولوجيا، فهو ربط المسائل المعرفية بمسائل الوعي الطبقي والإيديولوجيات الطبقية. ولفظ إيديولوجيا تعني مجموعة المعتقدات الخاصة بمجتمع أو طبقة إجتماعية، وتفصح عن نفسها عامة

بمذهب سياسي أو إجتماعي، يوحي بأفعال سلطة أو حزب أو طبقة إجتماعية. فالإشتراكية مثلاً إيديولوجيا والليبرالية الإقتصادية إيديولوجيا أيضاً.

لقد سمى ماركس إيديولوجيا الظاهرة الفكرية المرتبطة بالمصلحة الإجتماعية. فالبنية الفوقية الإيديولوجية لبنية إجتماعية ما، لا تُفهم – برأي ماركس – إلاّ بتحليل البنية التحتية الإجتماعية والإقتصادية والسياسية. فالبنية التحتية هي التي تحدد حقل الفكرة المقبولة إجتماعياً.

ويعتبر ماركس المعرفة بأنها محتوى الفكر والوعي، أي كل أنواع الإنتاج العقلي، سواء كان المقصود أسطورة أو عقيدة دينية أو مذهباً سياسياً أو منهجاً فلسفياً أو نظرية علمية أو غير ذلك.

والإنسان لا يتلقى المعرفة أو ينتجها، وبالتالي لا يفهم العالم الخارجي، إلاّ من حيث كونه عضواً في طبقة إجتماعية أو طائفة أو حزب أو تجمع ديني أو غيره. والجدير ذكره أن أنواع السلوك والتصرفات والأفعال الإنسانية لا تنفصل عن أنواع المعتقدات والإيديولوجيات.

وهكذا فقد ربط ماركس البنية الذهنية الفكرية (البنية الفوقية) بالبنية الإقتصادية ربطاً جدلياً عندما جعلها متزامنة في أشكالها وأنواعها مع علاقات الإنتاج المتغيرة. والبنية الفوقية عنده تحددها البنية التحتية الإقتصادية.

وبهذا تكون نقطة الإنطلاق عند ماركس مادية، وهذا يتنافى مع ما ورد في الفلسفة اليونانية الإغريقية حول هذا الموضوع، وما تم تبنّيه من قبل الفلاسفة المثاليين الذين ظهروا في أوروبا في القرنين الثامن والتاسع عشر.

خاتمة:

من خلال هذا العرض نستطيع القول أن علم إجتماع المعرفة يتمحور حول علاقة الفكر بالواقع مع كل ما يحتويه هذا الواقع من مادة وحركة وأنظمة سياسية وإقتصادية ومؤسسات إجتماعية؛ أي علاقة البنية المعرفية بالبنية الإجتماعية التي تعززها، أي إرتباط المعرفة بالعالم المادي الموضوعي.

والحقيقة نحن في عالمنا العربي بحاجة ماسة لعلم إجتماع المعرفة لأنه يساعدنا على الفهم العميق لبنيتنا الإجتماعية وبنيتنا المعرفية، وبذلك نتعرف على واقعنا الإجتماعي والذهني، والكشف عن العوائق التي تعترض تقدمنا وتطورنا، فنتمكن حينها التخطيط وتذليلها والنهوض بالواقع الذي نعيشه.

علينا إذن أن نتوجه بعقلنا لمجتمعاتنا العربية وندرك واقعها ونكشف عن المشاكل والصعوبات التي تتحكم ببنيتنا الإجتماعية والمعرفية، وأن نتوجه لتراثنا لنؤكد على جانبه المضيء الإيجابي ونرفض الجانب السلبي الذي يجمدنا ويقف حائلاً دون تطورنا. كما ندقق جيداً فيما نأخذه عن الغرب، بحيث نتقبل ما يوافقنا ويتناسب مع مجتمعاتنا وحاجاتنا وفائدتنا، وإلاّ سنبقى في تخلفنا عن الركب الحضاري العالمي.

الدكتورة نادين نورالدين

التّمييز بين الجنسين في سوق العمل
(دراسة سوسيولوجية للفرص والعقبات)

المقدمة:

يُعدُّ سوق العمل أحد الركائز الأساسية في بناء المجتمعات، حيث يعكس ممارساته وتوجّهاته الإجتماعية والثقافية والإقتصادية. فهو ليس مجرد مساحة لتبادل العمل مقابل الأجر، بل يمثل منظومة متكاملة تعكس قيم العدالة والمساواة، أو على العكس، تكشف عن مظاهر التمييز وعدم الإنصاف. ومن بين أبرز التحدّيات التي تواجه أسواق العمل في مختلف المجتمعات، تبرز ظاهرة التّمييز بين الجنسين، التي لا تزال تؤثر بشكل مباشر على فرص الأفراد في الوصول إلى الوظائف والتّرقيات والحقوق الإقتصادية والإجتماعية.

إن انتشار التّمييز بين الجنسين في سوق العمل لا يقتصر على الجانب الإقتصادي فحسب، بل يمتدّ ليترك آثارًا عميقة على مستوى الأفراد والمجتمع ككل. فعلى الصعيد الفردي، يؤدي هذا التّمييز إلى الإحباط وتقليل فرص تحقيق الذّات، كما يسهم في ترسيخ الفجوات الإقتصادية بين الرّجال والنّساء. أما على المستوى المجتمعيّ، فإنّه يعيق التّنمية المستدامة ويضعف التّكافؤ في الفرص، مما يؤدّي إلى هدر الطاقات البشريّة وتعزيز أشكال عدم المساواة.

في هذا البحث، سنناقش مظاهر التّمييز بين الجنسين في سوق العمل، وأسبابه، والآثار المترتّبة عليه، مع التّركيز على سُبل الحدّ من هذه الظّاهرة، وتعزيز بيئة عمل أكثر عدالة وإنصافًا.

الفصل الأول: الخطوات المنهجيّة للبحث

أولاً: أهميّة البحث: يمكن تحديد أهميّة البحث بما يلي:

- أهميّة أكاديميّة في إثراء الأدبيات حول قضايا النوع الإجتماعي وسوق العمل.
- أهميّة تطبيقيّة للمؤسّسات والجهات المعنيّة التي تسعى لتعزيز مبدأ المساواة.

- أهميّة إجتماعيّة في توجيه الإهتمام للتّمييز كعائق تنمويّ يؤثّر في بناء مجتمع عادل.

ثانياً: أهداف البحث: تركّز أهداف البحث على الآتي:

- التعرّف على أشكال وصور التّمييز بين الجنسين في سوق العمل.
- دراسة العوامل الإجتماعية والثّقافية التي تعزّز هذا التّمييز.
- تحليل تأثير التّمييز على الفرص المتاحة للرّجال والنّساء في سوق العمل.
- إقتراح حلول وتوصيات للحد من التّمييز وتعزيز المساواة المهنيّة.

ثالثاً: إشكاليّة البحث:

تمثّلت إشكاليّة بحثنا هذا في مدى تأثير وفعاليّة سياسات وبرامج سوق العمل النشطة في اللإرتقاء بمستويات التّشغيل، والحدّ من البطالة، والتّمييز بين الجنسين في المجتمع، حيث هدفنا من خلال ذلك إلى تسليط الضّوء على السّبل والآليات التي تعمل على تعزيز وتحسين فرص العمل بين الجنسين كماً ونوعاً. وكذلك تحديد العوامل اللإجتماعية والثّقافية التي تساهم في إستمرار هذا التّمييز.

ينبثق عن هذه الإشكاليّة مجموعة من التّساؤلات نذكر منها:

1- ما هو المستوى الثّقافي في المجتمع؟ وما هو تأثيره على سوق العمل؟
2- هل يؤثر التّمييز في فرص العمل على النّساء؟ وما هي طبيعة هذا التّأثير؟
3- هل توجد عقبات ثقافية وإقتصادية في تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص بين الجنسين؟ وما مدى تأثيرها في نمو المجتمعات؟

للإجابة على هذه التساؤلات نحتاج الى التأكد من مجموعة من الفرضيات تساعد في الوصول الى نتائج علمية دقيقة.

رابعاً: فرضيّات البحث:

1- توجد علاقة بين الثّقافة السائدة في المجتمع واستمرار التّمييز بين الجنسين في العمل.
2- يؤثّر التّمييز بين الجنسين سلبًا على فرص النّساء في التّوظيف والتّرقية مقارنة بالرّجال.
3- وجود عقبات مؤسّسيّة وثقافيّة تعيق تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص بين الجنسين.

خامساً: المنهج المستخدم في البحث: بهدف الوصول الى نتائج علميّة موضوعيّة ودقيقة سوف نستخدم المنهج الوصفي التحليلي الذي يمثّل منهجاً يعتمد على دراسة الظّاهرة كما توجد في الواقع، ويهتمّ بوصفها وصفاً دقيقاً، ويعبّر عنها كيفيّاً أو كميّاً، حيث أنّ التّعبير الكيفي يصف الظّاهرة ويوضح خصائصها، أما التّعبير الكمي فيعطيها وصفاً رقميّاً يوضح مقدار هذه الظّاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظّواهر الأخرى.

يُعدّ هذا المنهج مناسباً لكافّة أنواع الدّراسات: كالدّراسات الإجتماعية، والدّراسات الميدانيّة ودراسة الحالة، وغيرها من الدّراسات المختلفة. ويمكّن الباحث من جمع البيانات الكميّة والنّوعيّة في ذات الدّراسة. فهو يساهم في وصف الظاهرة بشكل دقيق: يلعب دوراً كبيراً في مساعدة الباحث على وصف الظاهرة التي يقوم بدراستها بشكل دقيق للغاية، الأمر الذي يساهم في إيضاحها بالنّسبة للقارئ.

لذلك فإنّه يمتلك أهمّيّة كبيرة في البحث العلمي، نظرا للمرونة الكبيرة التي يتمتّع بها.

سادساً: أدوات البحث: تم إستخدام تقنيّة المقابلة حيث أجريت مقابلات معمّقة مع أصحاب ومدراء مؤسّسات مختلفة.

سابعاً: مجالات البحث

1- المجال الجغرافي: مؤسّسات قطاع خاص في سوق العمل المحلي في مدينة النبطية.(ثانوية الشهيد بلال فحص – مستشفى حكمت الأمين (النجدة الشعبية اللبنانية)- سوبرماركت رمال (النبطية)- مصنع الطاقة الشمسية (Merico عربصاليم)- مصنع للألبسة الجاهزة (حبوش).

2- المجال البشري (عيّنة البحث): أصحاب ومدراء من ميادين مهنية متنوعة (تجار ، صناعيين ، مدارس إلخ).

الفصل الثاني: الإطار النظري (التّمييز بين الجنسين)

أولاً: مفهوم التّمييز بين الجنسين:

- يُعرّف التّمييز بين الجنسين على أنّه المعاملة غير المتكافئة بين الذّكر والأنثى، وذلك بمنح أحدهما الإمتيازات والأولويّة وتفضيله على الآخر، وذلك على أساس النّوع الإجتماعي فقط، أي باعتباره ذكرًا أو أنثى، وليس على أساس المهارات أو القدرات الفرديّة.

في غالبيّة المجتمعات، يُفضّل إنجاب المولود الذّكر على الأنثى، بإعتباره ذكرًا فقط، ويترتّب على هذا التّمييز حرمان الفتاة من الكثير من حقوقها.

- من وجهة النّظر غير التّقليديّة المحدثة، التّمييز هو المصدر الرّئيسي لعدم المساواة في سوق العمل، ويتجلّى في التّفاوت المستمر بين الجنسين والتّفاوت في الدّخل بسبب العرق.

ويعرّف الإقتصاديون غير التّقليديين التّمييز بصورة أوسع من الإقتصاديين الكلاسيكيين الجدد. فعلى سبيل المثال، تعرّف "ديبورا فيجرت" خبيرة الإقتصاد النّسويّة التّمييز في سوق العمل على أنّه "التّفاعل متعدّد الأبعاد للقوى الإقتصاديّة، والإجتماعيّة، والسّياسيّة، والثّقافيّة في كلّ من سوق العمل والأسرة، مما ينتج عنه نتائج مختلفة تتضمّن الأجور، والتّوظيف، والمكانة". بمعنى آخر، فإن التّمييز لا يعنى فقط النّتائج القابلة للقياس، ولكنّه يتعلّق أيضًا بالآثار غير القابلة للقياس. ومن المهمّ ملاحظة أنّ العمليّة لها نفس أهميّة النّتائج. علاوة على ذلك، فالمعايير القائمة على النّوع الإجتماعي تُعدّ جزءًا لا يتجزّأ من أسواق العمل وتشكّل أفضليّة صاحب العمل أو تفضيلات العاملين. وبالتّالي، فليس من اليسير فصل التّمييز عن عدم المساواة المرتبطة بالإنتاجيّة.

- مفهوم المساواة بين الرّجل والمرأة: تُشكّل النّساء ما يُقارب نصف سكّان العالم، لذلك تسعى المرأة للحصول على حقوقها الأساسيّة التي تُمكّنها في المجتمع، وتجعلها قادرةً على إدارة حياتها، والحصول على استقلاليّتها، وتمتّعها بفرص في حياتها الإجتماعيّة والعمليّة مساوية

لتلكَ الفرص التي يحصل عليها الرّجال، وذلك ما يُطلق عليه "المساواة بين الرّجل والمرأة"، ولا يعني هذا المفهوم أن يُصبح الجنسين سواءً في كلّ شيء، ولكنّه يهدف إلى إزالة العوائق في طريق تحقيق المرأة لذاتها، وإلغاء فكرة التّمييز وإعطاء الفرص بناءً على الجنس، ويُمكن تحقيق ذلك من خلال التّركيز على تحديد ومعالجة إختلالات توازن القوى بين الجنسين، وتمكين المرأة في عمليّة صنع القرار سواءً على المستوى الخاص أو العام، وعدم حصره في يد الرّجال.

وتكمن أهميّة تحقيق المساواة بين الرّجل والمرأة في إقامة مجتمعات سليمة ذات إمكانيّات بشريّة كاملة، وتحقيق مبدأ المشاركة بشكل كامل بين الجنسين كشركاء متساويين، وحماية حقوق الإنسان، وتحقيق الدّيمقراطيّة، واحترام سيادة القانون، والمساهمة في النّموّ الإقتصاديّ، وتحفيز الإنتاجيّة والقدرة التنافسيّة، وتحقيق التّنمية المستدامة.

ثانياً: أسباب التّمييز بين الجنسين:

تعود أسباب التّمييز بين الذّكر والأنثى إلى مجموعة من المعتقدات الإجتماعيّة والثّقافيّة والإقتصاديّة التي تجعل العائلة ترى في ولادة الفتيات سببًا في تحمّل المزيد من العبء والمسؤوليّة، وتتمثّل فيما يأتي:

1- الإعتقاد بأنّ الفتيات أقلّ قيمة من الذّكور، وذلك بسبب توقّعات العائلة حول إمكانيّة وصول الذكر إلى الفرص والموارد والعمل في المجتمع بشكلٍ أفضل من الأنثى، وإنتشار هذا الإعتقاد وتطبيقه سواء في المنزل أو المدارس أو المجتمع ككل.

2- إعتبار الفتيات مجرّد كائن عابر في الأسرة، لأنّها ستترك المنزل في النّهاية، وتنتقل إلى بيت زوجها، لذا فإنّ مجتمع الأسرة ليس مكانها، بخلاف الذّكر الذي يحتفظ بإسم العائلة دائمًا ويبقى عضوًا فيها.

3- النظر إلى الذّكر كمعيل لأسرته في المستقبل عندما يكبر الوالدان ويصلان إلى مرحلة الشّيخوخة؛ سواء معيلًا من النّاحية الماديّة بالإنفاق عليهما أو مُقدّمًا للرّعاية لهما، وهو ملزمٌ بذلك.

4- إنجاب المولود الذّكر، عندما يكبر، المزيد من الذّرّية التي تتبع عائلته، أي أنّه ضمان لإستمراريّة خطّ العائلة، بخلاف الأنثى التي تتزوّج وتُنجب أبناءً يتبعون عائلة جديدة ومختلفة النّسب.

التّمييز على أساس الجنس هو معاملة شخص ما معاملة غير متساوية أو غير عادلة بناءً على جنسه، ولكن ليس بالضّرورة بناءً على طبيعة جنسيّة. يشمل ذلك التّحرّش/التّمييز على أساس الجنس أو الهويّة الجنسيّة أو التّعبير الجنسيّ.

ثالثاً: النّظريّات السّوسيولوجيّة المرتبطة بالتّمييز الوظيفيّ:

توجد عدّة نظريّات تفسّر التميّز الوظيفي بين الجنسين، وتساعد في فهم الأسباب التي تقف وراء التّفاوتات في مكان العمل. ومن أبرز هذه النّظريّات:

1- نظريّة التّوافق الدوراني (Role Congruity Theory): تشير هذه النّظريّة إلى أن التحيّزات تحدث عندما لا تتوافق خصائص الأفراد مع الأدوار الإجتماعيّة المتوقّعة منهم. على سبيل المثال، قد يُنظر إلى النّساء على أنّهنّ أقل ملاءمة للأدوار القياديّة بسبب التّوقّعات المجتمعيّة المتعلّقة بالقيادة والأنوثة.

2- النّظريّة النّسويّة ومنطلقات الجندر: تركّز هذه المقاربة على فهم كيفيّة تأثير مفاهيم الجندر على العلاقات الإجتماعيّة والوظيفيّة. وتُسهم في تفسير كيف أنّ التّوقّعات المجتمعيّة حول أدوار الجنسين يمكن أن تؤثّر على فرص العمل والتّقدّم المهني.

3- نظريّة التحيّز الضّمني: تفترض هذه النّظرية أن الأفراد يحملون تحيّزات غير واعية تؤثّر على قراراتهم وتقييماتهم. قد يؤدّي ذلك إلى تفضيل غير مبرّر للذّكور على الإناث في التّعيينات والتّرقيات.

4- نظريّة التّناسب الإجتماعي (Social Role Theory): تقترح هذه النّظرية أنّ الأفراد يتبنّون أدوارًا إجتماعيّة بناءً على التّوقّعات المجتمعيّة، ممّا يؤدّي إلى توزيع غير متكافئ للوظائف والمهام بين الجنسين.

5- نظريّة الحواجز الزّجاجيّة (Glass Ceiling Theory): تصف هذه النّظرية الحواجز غير المرئيّة التي تمنع النّساء من الوصول إلى المناصب العليا في المؤسّسات، رغم مؤهّلاتهن وأدائهن الجيّد.

هذه النّظريّات تُقدّم رؤى مختلفة حول كيفيّة تأثير العوامل الإجتماعيّة والثّقافيّة على التّميّز الوظيفي بين الجنسين، وتُسلّط الضّوء على التّحدّيات التي تواجهها النّساء في بيئة العمل.

رابعاً: التّمييز في التّوظيف (التّفضيل عند التّعيين):

العمل هو حقّ من حقوق الإنسان وأداة أساسيّة لتحقيق المساواة والتّنمية، وهو يساهم في علاقات أكثر مساواة بين الرّجل والمرأة، وفي تمكين المرأة من المشاركة في صُنع القرارات داخل المجتمع، لذا هو من أفضل الوسائل لتحقيق التّنمية المستدامة والنّمو الإقتصادي القابل للإستدامة.

ويتجاوز هذا الفروق بين الجنسين في المشاركة في سوق العمل ليشمل الفروق بين الجنسين في الإنتاجيّة والأجور عبر مختلف القطاعات والوظائف. ويُظهر أنه على الرغم من التّقدّم الملحوظ في مشاركة المرأة في القوى العاملة على مدى السّنوات الخمس والعشرين الماضية، لا تزال الفروق بين الجنسين متفشّية ومستمرّة في الإنتاجيّة والأجور. ويجادل بأنّ تفاعل التّمييز الوظيفي بين الجنسين مع الفروق في استخدام الوقت والحصول على المدخلات، ومع إخفاقات السّوق والمؤسّسات، يُوقع النّساء في فخ الوظائف منخفضة الأجر وفي الأعمال منخفضة الإنتاجيّة. ويتطلّب الخروج من فخ الإنتاجيّة هذا تدخّلات تُخفّف قيود الوقت على المرأة، وتُعزّز وصولها إلى المدخلات الإنتاجيّة، وتُصحّح إخفاقات السّوق والمؤسّسات.

تختلف وظائف الرّجال والنّساء إختلافًا كبيرًا باختلاف القطاعات والصّناعات والمهن وأنواع الوظائف والشركات. ورغم أن هذه الإختلافات تتطوّر مع التّطوّر الإقتصادي، إلاّ أنّ التّغييرات النّاتجة في هيكل التّوظيف لا تكفي للقضاء على التّمييز الوظيفي على أساس الجنس. ففي جميع أنحاء العالم، تتركّز النّساء في وظائف منخفضة الإنتاجيّة والأجور. ويعملن في مزارع صغيرة ويدرن شركات صغيرة، ويمثّلن نسبة كبيرة من العمّال غير مدفوعي الأجر وفي القطاع غير الرّسمي، ونادرًا ما يصلن إلى مناصب قياديّة.

في حين أنّ الإختلافات في خصائص العمّال (وخاصةً في رأس المال البشري) والعوائد مهمة، فإنّ الإختلافات في الوظائف هي المسؤولة بالدّرجة الأولى عن الفجوات بين الجنسين في الإنتاجيّة والأجور.

هناك ثلاثة عوامل رئيسيّة تؤدّي إلى الفصل بين الجنسين في فرص الحصول على الفرص الإقتصاديّة بين المزارعين وروّاد الأعمال والعاملين بأجر:

1- الإختلافات بين الجنسين في إستخدام الوقت (والنّاتجة أساسًا عن الإختلافات في مسؤوليّات الرّعاية).

2- الإختلافات بين الجنسين في الحصول على المدخلات الإنتاجيّة (وخاصّةً الأراضي والإئتمان).

3- الإختلافات بين الجنسين النّاجمة عن إخفاقات السّوق والمؤسّسات.

تتحمّل النّساء حصّة غير متناسبة من مسؤوليّات المنزل والرّعاية، وبالتّالي يواجهن تكاليف ثابتة مهمّة مرتبطة بعمل السّوق: جداول زمنيّة ثابتة، ومتطلّبات الحدّ الأدنى لساعات العمل، وصعوبة تعديل المسؤوليّات في المنزل.

كما تؤثّر الأعراف الإجتماعيّة المتعلّقة بدور المرأة أيضًا على هذه المفاضلات. فالنّساء أكثر عرضة لتقديم ساعات عمل أقلّ من الرّجال، مما يعرّضهن لخطر توجيههن نحو وظائف أقلّ جودة.

تتمتّع المزارعات ورائدات الأعمال بقدرة أقلّ على الوصول إلى الأراضي والإئتمان مقارنةً بالرّجال. ويعود ذلك إلى عوائق الوصول إلى الأسواق، بما في ذلك التّمييز وتفاوت الأسعار في أسواق الأراضي والإئتمان، والقيود المؤسّسيّة، بما في ذلك حقوق الأراضي والقواعد واللّوائح الماليّة.

ويؤدّي التّمييز داخل الأسر إلى تفضيل الرّجال في تخصيص الموارد الإنتاجيّة، ممّا يترجم إلى إختلافات بين الجنسين في حجم الإنتاج والإنتاجية والقدرة على الإستثمار والنّموّ.

إنّ الوجود المحدود للمرأة في بعض الأسواق قد يخلق حواجز أمام المعرفة والتعلّم حول أدائها، مما يعزّز من عدم قدرتها على الوصول إلى هذه الأسواق.

وقد يكون تصميم المؤسّسات وطريقة عملها متحيّزين (عمداً أو بغير قصد) ضدَّ المرأة بطرق تؤدّي إلى إدامة عدم المساواة القائمة.

خامساً: التّمييز في الأجور:

لتحقيق القدرة التنافسية والنجاح في السوق، على الشركات أن تسعى لجذب واستبقاء أفضل المواهب. ولا يشكّل النوع الإجتماعي مؤشرًا لموهبة الفرد أو كفاءته، وبالتالي، لا بدّ لهذه الحقيقة الجلية والبسيطة أن تكون جزءًا لا يتجزأ من إستراتيجيّات التّنوّع، التي تعكس العالم الذي نعيش فيه.

كما ينبغي أن يكون تقدير الموظفين من خلال ضمان المساواة في الأجر من المقوّمات الأساسيّة لإستراتيجيّات التّوظيف والإستبقاء داخل الشّركات. ولكن، لا تزال المرأة تكسب أجرًا أقلّ من أجر الرّجل، مقابل العمل بقيمة متساوية، لذا، فإن فجوة الأجور القائمة حاليًا بين الجنسين تهدّد بإبطاء الجهود المبذولة لتحقيق المساواة بين الجنسين في مكان العمل. ويمكن أن يرجع الخلل في الأجور إلى التحيّز الجنساني ضد المرأة، والذي يمسّ طريقة التّعاطي مع الموارد البشريّة ضمن المؤسّسات والشّركات.

لذلك يجب أن تكون الفعاليّة في إدارة المساواة في الأجر من أبرز أولويات الشّركات التي تهدف إلى سدّ الفجوة القياديّة فيها، ليس لأن دفع الأجور بالتّساوي بين المرأة والرّجل هو تصرّف صائب وحسب، بل لأن ذلك يسهم في إنجاح الأعمال.

فالمساواة في الأجور هي أداة مهمة للشّركات كي تشغل المرأة المناصب القياديّة. ويتيح نظام الأجور العادل للشّركات الإبقاء على أفضل المواهب، وتعزيز مشاركة المرأة في القوّة العاملة، وإعطاء صورة ايجابية عن الشّركة.

وبوسع الشّركات معالجة الفجوة في الأجور بين الجنسين والدفع نحو المساواة عن طريق تعزيز الشّفافية من حيث الإفصاح عن الأجر، ووضع معايير موضوعيّة للأجور والتّرقيات، ومن خلال زيادة الوعي بشأن الحواجز التي تعترض طريق المرأة في الوصول إلى المناصب العليا.

سادساً: التّوازن بين العمل والأسرة وتأثيره على الفرص المتاحة للنّساء:

التّوازن بين العمل والأسرة قضيّة حاسمة تؤثّر على الفرص المتاحة للنّساء في سوق العمل. فيلعب هذا التّوازن دورًا مهمًا في تمكين المرأة من تحقيق طموحاتها المهنيّة دون التّضحية بمسؤوليّاتها الأسريّة.

1- التّحديات التي تواجه النّساء في تحقيق التّوازن:

1-1 الأدوار المجتمعيّة التّقليديّة: تتحمّل النّساء في كثير من المجتمعات مسؤوليّات أسريّة أكبر، مما قد يحدّ من فرصهن في التّقدم الوظيفي.

1-2 نقص سياسات دعم الأسرة: مثل إجازة الأمومة المدفوعة، وساعات العمل المرنة، ودور الحضانة الميسورة التّكلفة.

1-3 التّمييز في بيئة العمل: حيث يُنظر إلى المرأة على أنّها أقلّ إلتزامًا بالعمل بسبب مسؤوليّاتها العائليّة، ممّا يؤثّر على فرص ترقيتها.

2- آثار التوازن الجيّد على الفرص المتاحة للنّساء:

2-1 زيادة مشاركة المرأة في سوق العمل: توفّر سياسات داعمة مثل العمل عن بعد وساعات العمل المرنة يتيح للنّساء فرصًا وظيفيّة أوسع.

2-2 تحقيق التّنمية الإقتصاديّة: عندما تتمكّن النّساء من الجمع بين العمل والأسرة، ينعكس ذلك إيجابيًا على الإقتصاد من خلال زيادة الإنتاجيّة والإبداع.

2-3 تعزيز العدالة بين الجنسين: التّوازن يخلق بيئة عمل أكثر عدالة، حيث لا يتمّ تقييد تقدّم المرأة بسبب مسؤوليّاتها الأسريّة.

3- إستراتيجيّات لتعزيز التّوازن:

3-1 توسيع سياسات العمل المرن: مثل العمل من المنزل أو تقليل عدد ساعات العمل للأمهات.

3-2 تعزيز دور الآباء في رعاية الأطفال: من خلال منح إجازات أبوّة مدفوعة، مما يخفّف العبء عن الأمّهات.

3-3 توفير خدمات رعاية الأطفال في أماكن العمل: مما يسهّل على الأمّهات الجمع بين العمل ورعاية الأسرة.

4-3 التّوعية والتّغيير الثّقافي: عبر تعزيز المساواة في تحمّل المسؤوليّات الأسريّة بين الرّجل والمرأة.

تحقيق التّوازن بين العمل والأسرة ليس مجرّد مسؤوليّة فرديّة، بل هو مسؤوليّة مجتمعيّة تتطلّب دعمًا من المؤسّسات وأصحاب العمل والحكومات.

عندما يتمّ تحقيق هذا التّوازن، تصبح الفرص المهنيّة أكثر إنصافًا للنّساء، مما يساهم في تنمية المجتمعات وتعزيز التّضامن الإجتماعي.

أفضل السّياسات التي يمكن أن تساعد في تعزيز التّوازن بين العمل والأسرة:

لتحقيق توازن أفضل بين العمل والأسرة، يمكن إعتماد مجموعة من السّياسات الفعّالة التي تدعم الموظّفين، وخاصّة النّساء، في الجمع بين مسؤوليّاتهم المهنيّة والعائليّة. تشمل هذه السّياسات:

1- سياسات العمل المرن:

1-1 العمل عن بعد: يسمح للموظّفين بأداء مهامهم من المنزل، مما يقلّل من ضغوط التّنقّل ويوفّر وقتًا للعائلة.

1-2 ساعات العمل المرنة: تتيح للموظفين تحديد ساعات عمل تناسب إحتياجاتهم الأسريّة، مثل بدء العمل مبكرًا أو متأخرًا.

1-3 الأسبوع المضغوط: السماح بالعمل لساعات أطول في أيام معينة مقابل إجازة إضافية في نهاية الأسبوع.

2- إجازات عائليّة مدفوعة:

2-1 إجازة أمومة وأبوّة سخيّة: منح إجازة مدفوعة الأجر لكلا الوالدين يعزّز المشاركة المتساوية في رعاية الأطفال.

2-2 إجازة رعاية الأسرة: لتغطية إحتياجات الموظف في حالات الطوارئ العائليّة أو رعاية أحد الوالدين المسنّين.

3- دعم رعاية الأطفال:

3-1 دور حضانة مدعومة من الشّركات: توفير أو دعم مراكز رعاية الأطفال بالقرب من أماكن العمل.

3-2 مساعدات ماليّة لرعاية الأطفال: تقديم منح أو تخفيضات لمصاريف الحضانة أو الإستعانة بمربّيات مؤهّلات.

4- ثقافة عمل داعمة للأسرة:

4-1 تقدير التّوازن بين العمل والحياة: تشجيع المدراء على إحترام وقت الموظّفين خارج العمل.

4-2 تجنّب ثقافة العمل المفرط: الحدّ من التّواصل خارج أوقات الدوام ومنع العمل الإضافي غير الضروري.

5- تعزيز المساواة في بيئة العمل:

5-1 دعم النّساء في المناصب القياديّة: من خلال برامج التّوجيه والتّدريب والتّشجيع على تقلّد أدوار إداريّة.

5-2 سياسات عدم التّمييز: لضمان عدم تأثّر فرص التّوظيف أو التّرقية بسبب المسؤوليّات الأسريّة.

6- تحفيز الحكومات والشّركات على تبنّي هذه السّياسات:

6-1 حوافز ضريبيّة للشّركات: التي توفّر بيئة عمل داعمة للعائلات، مثل تخفيضات ضريبيّة لمن يوفّرون حضانات أو إجازات مدفوعة.

6-2 تشريعات لحماية حقوق الأسرة في العمل: وضع قوانين تُلزم الشّركات بتوفير إجازات مرنة وسياسات داعمة للعائلة.

عندما تتبنى الحكومات والشّركات سياسات داعمة للتّوازن بين العمل والأسرة، فإن ذلك يؤدّي إلى زيادة إنتاجيّة الموظّفين، وتعزيز رفاهيّتهم، ورفع نسبة مشاركة النّساء في سوق العمل. وهذا ليس فقط مفيدًا للأفراد، بل ينعكس إيجابيًا على الإقتصاد والمجتمع ككلّ.

مشاركة الرّجل في دعم سياسات التّوازن بين العمل والأسرة أمر حاسم لتحقيق بيئة عمل أكثر إنصافًا، وتعزيز مشاركة المرأة في سوق العمل. لذلك يمكنه أن يساهم في هذه السياسات بعدة طرق:

1- في الأسرة: تغيير الأدوار التقليديّة.

1-1 المشاركة الفعّالة في رعاية الأطفال: من خلال تخصيص وقت لرعاية الأبناء، مثل المساعدة في الدّراسة، والأنشطة اليوميّة، والإهتمام بصحّتهم.

1-2 تحمّل مسؤوليّات المنزل بالتّساوي: مثل الطّبخ، والتّنظيف، والتّسوّق، مما يخفّف العبء على المرأة.

1-3 الإستفادة من إجازة الأبوّة: وتشجيع سياسات تمنح الرّجال الفرصة لقضاء وقت مع أطفالهم دون القلق من تأثير ذلك على وظائفهم.

2- في العمل: دعم زملائه النّساء

2-1 تعزيز بيئة عمل داعمة: من خلال إحترام إحتياجات الزّميلات فيما يتعلّق بمرونة العمل والمسؤوليّات الأسريّة.

2-2 تشجيع ثقافة عدم التّحيّز: رفض التّمييز ضدّ النّساء بسبب مسؤولياتّهن الأسريّة، والتّأكيد على أنّ الأداء المهني لا يتأثّر بذلك.

2-3 الدّفاع عن سياسات العمل المتوازنة: دعم إجازات الوالدين، والعمل المرن، والمطالبة بسياسات تُسهّل تحقيق التّوازن بين الحياة الشّخصية والمهنيّة.

3- في المجتمع: تغيير المفاهيم التّقليديّة

3-1 التّحدّث علنًا عن أهميّة التّوازن: من خلال تسليط الضّوء على أهميّة مشاركة الرّجال في الأسرة ودورهم في تحقيق المساواة.

3-2 نقل هذه القيم للأجيال الجديدة: تعليم الأبناء أهمية تقاسم الأدوار بين الجنسين داخل الأسرة وخارجها.

4- في السّياسة وصنع القرار:

4-1 دعم القوانين والتّشريعات العادلة: من خلال تأييد قوانين توفّر مرونة العمل، وإجازة الوالدين، والحماية من التّمييز الوظيفي بسبب المسؤوليّات الأسريّة.

4-1 تشجيع الشّركات على تبنّي سياسات داعمة: عبر دعم المبادرات التي تُعزّز التّوازن بين العمل والأسرة.

عندما يشارك الرّجل في هذه السّياسات، فإنه لا يُسهم فقط في تحسين حياة أسرته، بل يساعد أيضًا في خلق مجتمع أكثر عدالة واستدامة.

الفصل الثالث: التّمييز في مكان العمل

أولاً: جوانب المساواة بين الرّجل والمرأة

يرتكز تحقيق المساواة بين الرّجل والمرأة على ثلاثة جوانب رئيسيّة جميعها مترابطة مع بعضها، وهي كالآتي:

1- القدرات: وهي تتمثّل بالقدرات الأساسيّة التي يكتسبها الإنسان لتحقيق حياة مريحة، وتشمل التّعليم، والصّحة، والتّغذية.

2- الوصول إلى الموارد والفرص: ويعني ذلك تحقيق المساواة بين الجنسين في إمكانيّة إستخدام أو توظيف القدرات الأساسيّة للحصول على حياة تتمتّع بالرّفاهيّة والراحة على المستوى الشخصيّ أو العائليّ، وذلك من خلال الحصول على فرص في العديد من الجوانب، كفرصة الحصول على إمكانيّات إقتصاديّة؛ كتملّك الأراضي والممتلكات، أو الحصول على الموارد كالدّخل والعمالة، وتمتّع المرأة ببعض الفرص السّياسية، مثل: التّمثيل في البرلمانات والهيئات السّياسية الأخرى، وغير ذلك.

3- الأمن: وذلك من خلال التّخلّص من العنف والصّراعات التي تُلحق الضّرر البدنيّ والنّفسيّ للإنسان، وتُقلّل من القدرات والإمكانيّات للأفراد، والأسر، والمجتمعات، كما ينبغي التّركيز تحديداً على مواجهة العنف ضدّ المرأة، والذي يُقيّد المرأة ويُضعف إمكانيّاتها وسعيها لتحقيق ذاتها بسبب ما يُسبّبه من خوف وأذى.

ثانياً: المساواة بين الرّجل والمرأة في مكان العمل

تتمحور أهميّة المساواة بين الرّجل والمرأة في مكان العمل في عدّة نقاط، وهي كالآتي:

1- تحسين الأداء التنظيميّ والرّفاهيّ في العمل: هناك علاقة طرديّة بين الأداء التّنظيميّ والمساواة بين الجنسين في بيئة العمل، وذلك من خلال تحقيق رؤية أكثر شموليّةً للتّحديات التي تواجهها الشّركات، وتقديم حلول أكثر فعاليّةً لمعالجتها.

2- تسهيل فهم واستهداف المستهلكين: تُشكّل النّساء النسبة الأعلى في شراء المنتجات، لذا يؤدّي تشغيل المرأة في هذه المجالات إلى زيادة المبيعات من خلال رؤيتها الأكثر شموليةً لسوق الشراء واستيعابها لإحتياجات المستهلك، ونظرتها الأفضل للتّصاميم التي تجذب المشتري.

3- جذب المواهب والحفاظ عليها: إنّ توظيف النساء وإعطائهنّ فرصاً متساويةً للتّقدّم الوظيفيّ والتّرقية يعني إستغلال مواهبهنّ وقدراتهنّ.

4- الإرتقاء بسمعة الشّركة: تتمتّع الشركة التي تُحقّق المساواة بين الجنسين في بيئة عملها بسمعة لعلامتها التّجاريّة، والتي تُعدّ أهم معايير الشّراء، كما تؤدّي إلى تحسين صورتها بشكلٍ مستمرّ خاصةً لدى المستهلكين الذين يهتمّون في قضيّة المساواة بين الجنسين.

5- تعزيز الإبتكار في الشّركة: يؤدّي التّنوّع في العقليّات إلى تنافس مستمرّ للإبتكار والإبداع وخاصةً في الشّركات التّقنيّة، كما يُعدّ وجود النّساء في بيئة العمل وسيلةً لحلّ المشكلات بشكلٍ أفضل بسبب وجهات نظرهنّ وتجاربهنّ المختلفة.

ثالثاً: مظاهر المساواة بين الرّجل والمرأة:

تظهر بعض المؤشّرات أو المظاهر على المجتمع الذي تسود فيه المساواة بين الرّجل والمرأة، وفيما يأتي نبذة عنها:

1- إنحسار الفجوة المعرفيّة بين الذّكور والإناث خاصةً في القراءة والكتابة، واقتراب معدّلات إلتحاق كلا الجنسين بالتّعليم الإبتدائيّ والثّانويّ والتّعليم العالي.

2- تقارب النّسبة المئويّة بينَ النّساء والرّجال في الحصول على وظائف مدفوعة الأجر.

3- إرتفاع النّسبة المئويّة لحصول النّساء على وظائف مهنيّة، وفنيّة، وإداريّة، وحكوميّة.

4- زيادة عدد المقاعد التي تحصل عليها المرأة في البرلمان، والمناصب الوزاريّة، ومناصب صنع القرار.

رابعاً: عواقب التّمييز بين الجنسين:

للتّمييز بين الجنسين في مكان العمل عواقب وخيمة وواسعة النطاق. ويمكن أن تؤثّر سلباً على الأفراد والمؤسّسات والمجتمع ككل.

1- العواقب على الأفراد

عندما يقع الموظّفون (وغالبيتهم من النّساء) ضحايا للتّمييز على أساس الجنس في مكان العمل، فقد يؤثّر ذلك سلبًا على صحّتهم ورفاههم العام. وغالبًا ما يؤدّي سوء المعاملة إلى إرتفاع مستويات التّوتّر لدى الضّحية، مما قد يُصبح في النّهاية حالة مزمنة تُسهم في الإكتئاب أو مشاكل نفسيّة أخرى.

2- العواقب على المؤسّسات

يمكن أن يؤثّر التّمييز على أساس الجنس سلبًا على المؤسّسات، لا سيّما فيما يتعلّق بالإنتاجيّة والإبتكار. فعندما يتعرّض قطاع من المؤسّسة للتّمييز، يُرجّح أن يقلّ تركيزه على عمله وتتراجع إنتاجيّته. علاوة على ذلك، عندما يكون تمثيل جنس معين (عادةً النّساء) أقلّ في الأدوار القياديّة، تُحرم المؤسّسات من الإستفادة من المساهمات ووجهات النّظر في الإبتكار وحلّ المشكلات.

3- السّياق الإجتماعي الأوسع

عندما يوجد عدم مساواة بين الجنسين في مكان العمل، تكون هناك أيضًا عواقب إجتماعيّة وثقافيّة. يمكن أن يؤدّي التّمييز إلى تعميق الإنقسامات داخل المجتمعات وعرقلة النّمو الشّخصي أو المهني. كما يمكن أن يعرقل النّمو الإقتصادي من خلال خلق تفاوت في الدّخل بين الجنسين.

خامساً: إستراتيجيّات الحدّ من التّمييز بين الجنسين في المؤسّسات

أفضل طريقة لمنع التّمييز بين الجنسين في المؤسّسات هي خلق جوّ يشعر فيه جميع الموظّفين بالأمان والتّقدير. ولتحقيق هذه الغاية، نطرح بعض الإستراتيجيّات التي يمكن إستخدامها لمساعدة العمل على تعزيز ثقافة مكان العمل الخالية من التّمييز على أساس الجنس.

1- خلق ثقافة الشّمول: ينبغي على المؤسّسات والشّركات أن تسعى جاهدةً لتعزيز بيئة عمل ترحّب بمساهمات الجميع وتحترمها، بغضّ النّظر عن جنسهم. ويشمل ذلك وضع سياسات تدعم ضحايا التّمييز وتحتفل بالتّنوع بين الجنسين.

2- سياسات المساواة في الأجور والتّرقية: يمكن إستخدام شفافيّة الرّواتب ومنع عدم المساواة في الرّواتب بين الجنسين. كما ينبغي على المؤسّسات تشجيع الموظّفين من جميع الأجناس على التّقدُّم للتّرقيات ومعالجة أي تفاوتات في عملية التّرقية.

3- التّدريب على التّنوُّع والشُّمول: يساعد التّدريب على الحساسية تجاه المساواة بين الجنسين العمّال على الشّعور بالرّاحة في التّعبير عن مخاوفهم ويساعد الشّركات على تجنُّب المضاعفات المستقبليّة.

4- إلتزام القيادة والمساءلة: يجب أن تدعم الإدارة منع عدم المساواة بين الجنسين. وينبغي لقادة الموارد البشريّة تعزيز الشّمولية ومحاسبة بعضهم البعض على تحسين التّنوُّع المؤسّسي.

5- تعزيز المساواة بين الجنسين: مع أن منع التّمييز بين الجنسين في مكان العمل أمر بالغ الأهمية، إلا أنّه ينبغي على الشّركات التّركيز على تعزيز المساواة بين الجنسين. ومن بين إستراتيجيّات التّرقية الفعّالة ما يلي:

أ- برامج الإرشاد والرّعاية.

ب- دعم التّوازن بين العمل والحياة.

ت- مجموعات موارد الموظّفين.

ث- تعزيز دور المرأة في القيادة.

ج- الحقوق القانونية والإنتصاف.

سادساً: العوامل المؤثّرة في التّمييز بين الجنسين

أولاً: العوامل الثّقافيّة والإجتماعيّة:

التّمييز بين الجنسين في سوق العمل هو نتيجة تفاعل معقّد بين العوامل الثّقافيّة والإجتماعيّة والإقتصاديّة، ومن أبرز العوامل الثّقافيّة والإجتماعيّة التي تؤثّر فيه:

1- العوامل الثّقافيّة:

1-1-التّقاليد والأعراف الإجتماعيّة: في بعض المجتمعات، تُحدّد الأعراف أدوارًا تقليديّة للرّجال والنّساء، ممّا يؤثّر على فرص العمل المتاحة لكلا الجنسين.

1-2-التّصوّرات النّمطيّة للجنسين: تُرسّخ بعض المجتمعات فكرة أن الرّجال أكثر قدرة على القيادة والعمل في المجالات التّقنيّة، بينما تُعتبر النّساء أكثر ملاءمة للأدوار الرّعائيّة والتّعليميّة.

1-3-الدّين والتّفسيرات الثّقافيّة له: بعض التّفسيرات الدّينيّة تُستخدم لتبرير الفصل بين الجنسين في سوق العمل أو الحدّ من فرص النّساء في بعض الوظائف.

1-4-المناهج التّعليميّة: غياب التّوعية بالمساواة بين الجنسين في التّعليم قد يؤدّي إلى تكريس الفجوة الجندرية في سوق العمل.

2- العوامل الإجتماعيّة:

2-1-دور الأسرة والتّنشئة الإجتماعيّة: الأسر التي تُربّي الفتيات على أدوار تقليديّة قد تحدّ من طموحاتهن المهنيّة مقارنة بالذّكور.

2-2-ضغوط الزواج والإنجاب: في بعض المجتمعات، يُتوقّع من النّساء التّضحية بحياتهنّ المهنيّة لصالح الزّواج ورعاية الأطفال.

2-3-سياسات العمل غير الدّاعمة: نقص الإجازات العائليّة ورعاية الأطفال يؤثّر سلبًا على فرص النّساء في التّقدّم المهني.

2-4-التّمييز في الأجور والتّرقيات: حتى عند توفّر الفرص، قد تواجه النّساء فجوة في الأجور مقارنة بالرّجال، إضافة إلى صعوبة في الحصول على الترقيات.

2-5-التّحرُّش والتّمييز في بيئة العمل: بعض بيئات العمل غير الآمنة قد تثني النّساء عن الإلتحاق ببعض القطاعات أو الإستمرار فيها.

3- كيفيّة الحدّ من التّمييز بين الجنسين في سوق العمل:

3-1-تعزيز التّشريعات التي تدعم المساواة بين الجنسين.

3-2-تحسين سياسات العمل لدعم المرأة، مثل الإجازات العائليّة ورعاية الأطفال.

3-3- التّوعية والتّثقيف حول المساواة بين الجنسين في المدارس والإعلام.

3-4- تشجيع مشاركة المرأة في المناصب القياديّة والمجالات غير التّقليديّة.

الفصل الرابع: الدّراسة الميدانيّة

لقد اعتمدنا في تحديد الخطوات المنهجية على تقنية المقابلة للحصول على معطيات ميدانية تغني البحث. وهكذا فقد أجريت عدّة مقابلات غطّت بعض القطاعات الهامة في سوق العمل في قضاء النبطية:

- المقابلة الأولى مع مدير ثانوية الشهيد بلال فحص – فرع تول
- المقابلة الثانية مع مدير مستشفى حكمت الأمين (النجدة الشعبية اللبنانية) في النبطية.
- المقابلة الثالثة مع مدير استهلاكية رمال الأصلي النبطية(أوتوستراد حبوش)
- المقابلة الرابعة مع صاحب مصنع Merico للطاقة الشمسية (عربصاليم),
- المقابلة الخامسة مع صاحب معمل الألبسة الجاهزة و مستلزمات (كوستيم ومراويل المدارس (حبوش).

أولاً: تفريغ نتائج المقابلات

جاءت الإجابات على الأسئلة على الشكل التالي:

السؤال الأول: كيف تصف سياسة مؤسّستكم فيما يتعلّق بتوظيف الذّكور والإناث؟

- تعتمد سياستنا على الكفاءة والمؤهّلات دون النّظر إلى النّوع الإجتماعي. نحن نحرص على خلق بيئة عمل عادلة وشاملة تتيح الفرصة للجميع بناءً على الجدارة والمؤهّلات والخبرة. (بلال فحص).
- تتّبع المستشفى سياسة قائمة على تكافؤ الفرص بين الجنسين بناء على الكفاءة والخبرة. (النجدة الشعبية).

- سياسة التوظيف في الشركة مبنيّة على مبدأ الكفاءة والمهارة، دون تمييز بين الذّكور والإناث. نحن نؤمن أنّ التنوُّع في بيئة العمل يعزّز الأداء، ونعمل على استقطاب الأفضل بغضّ النّظر عن النّوع الإجتماعي (سوبر ماركت رمال).
- نعتمد الكفاءة والخبرة في التّوظيف بغضّ النّظر عن الجنس، ولكن طبيعة العمل الفنيّ في المصنع تتطلّب غالبًا رجالًا. (Merico).
- نفضّل توظيف النّساء لأن طبيعة العمل في الخياطة والتطريز تناسب مهاراتهنّ، إضافة إلى أنّهنّ أكثر إلتزامًا. (معمل الألبسة).

السؤال الثاني: هل تعتقد أنّ هناك تمييزًا بين الجنسين في سوق العمل؟ ولماذا؟

- للأسف، لا يزال هناك بعض التّمييز في سوق العمل، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، ويعود ذلك إلى عوامل ثقافيّة وإجتماعيّة متجذّرة، بالإضافة إلى تصوّرات نمطيّة عن أدوار المرأة والرّجل. (بلال فحص).
- نعم هناك تفاوت نسبي خاصة في بعض التّخصّصات، ويرجع ذلك الى عوامل إجتماعيّة وثقافيّة وليس إلى ضعف كفاءة المرأة. (النجدة الشعبية).
- لا يمكن إنكار وجود بعض مظاهر التّمييز في سوق العمل، خاصة في بعض القطاعات أو المستويات الإداريّة. لكن الوعي بدأ يتغيّر، وهناك جهود حقيقية نحو المساواة، وكمؤسسة كبيرة، نحرص على أن نكون نموذجًا في هذا المجال. (سوبر ماركت رمال).
- نعم، يوجد تمييز إلى حد ما، خصوصًا في المهن التقنيّة والصناعيّة التي لا تزال تُعد "مجالًا ذكوريًا" تقليديًا. (Merico).
- لا أرى ذلك في قطاعنا، بل نجد النّساء أكثر حضورًا ومنافسة في هذا المجال. (معمل الألبسة).

السؤال الثالث: هل تعتمد مؤسّستكم معايير محدّدة لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين الجنسين؟ إشرح ذلك.

- نعم، لدينا معايير واضحة تضمن الشفافيّة في التّوظيف والتّرقية، مثل تقييم الأداء بموضوعيّة، وإجراءات موحّدة للمقابلات، والحرص على تمثيل متوازن في جميع الأقسام. (بلال فحص).
- نعم، نحن نحرص على توفير بيئة عمل عادلة للجميع من خلال لوائح داخليّة تضمن عدم التحيّز، مثل نظام الشّكاوى والرّقابة الإداريّة المستقلّة. (النجدة الشعبية).
- نعم، لدينا سياسة موارد بشريّة واضحة تضمن تكافؤ الفرص في التّوظيف، التّدريب، والتّرقيات. كما نُجري مراجعات دوريّة لعمليّات التّوظيف لضمان خلوّها من أيّ تحيّز مباشر أو غير مباشر. (سوبر ماركت رمال).
- لا توجد معايير مكتوبة، لكن نحاول أن نكون منصفين في التّوظيف والتّرقية. (Merico).
- نعم، نحرص على المساواة في الأجور والفرص داخل المعمل. (معمل الألبسة).

السؤال الرابع: عند إختيار موظفين جدد، هل تلاحظ وجود تفضيل غير معلن لنوع إجتماعي معيّن لبعض الوظائف؟ ولماذا؟

- في بعض الأحيان، قد تظهر تفضيلات مجتمعية تؤثر على قرارات بعض لجان التّوظيف، مثل تفضيل الإناث للتّدريس في المراحل الدّنيا أو الذّكور في المناصب الإداريّة، لكنّنا نعمل باستمرار على كسر هذه الصّور النّمطية. (بلال فحص).
- لا يوجد تفضيل معلن أو غير معلن، فالإختيار يتمّ على أساس الجدارة فقط، لكن بعض الوظائف قد تكون أكثر ملاءمة لجنس معين من ناحية الجهد البدني أو ساعات العمل. (النجدة الشعبية).
- في بعض الوظائف التّشغيلية، قد تظهر تفضيلات مجتمعيّة وليس مؤسّساتية، كطلب بعض العملاء وجود موظّفين من نوع معين. لكنّنا نحاول مقاومة هذه التّفضيلات عبر توعية العملاء والتّمسُّك بسياسة الشّمول والعدالة. (سوبر ماركت رمال).
- ليس تمامًا، ولكن بعض النّساء يفضّلن الأعمال المكتبيّة لأسباب شخصيّة ومجتمعيّة. (Merico).

- نعم، ولكن ذلك يرجع لتفضيلات العاملين أنفسهم، وليس لقرار إداري. (معمل الألبسة).

السؤال الخامس: هل سبق وواجهت المؤسّسة تحدّيات تتعلّق برفض المجتمع أو الزبائن توظيف النّساء في مناصب معيّنة؟

- نعم، في حالات قليلة، وخصوصًا عند تعيين مديرات في مراحل دراسيّة عليا أو في مهام إشرافيّة. لكنّنا نتعامل مع هذه التّحدّيات عبر التّوعية بأهميّة الكفاءة وتغيير الصّورة النّمطيّة. (بلال فحص).
- نعم واجهنا بعض التحفّظات في البداية خاصة في وظائف الطّوارئ أو الأقسام الجراحيّة، لكن مع مرور الوقت وإثبات كفاءة الكوادر النّسائية تلاشت هذه التّحدّيات تدريجياً. (النجدة الشعبية).
- نعم، لدينا سياسة موارد بشرية واضحة تضمن تكافؤ الفرص في التّوظيف، التّدريب، والتّرقيات. كما نُجري مراجعات دوريّة لعمليات التّوظيف لضمان خلوّها من أي تحيّز مباشر أو غير مباشر.(سوبر ماركت رمال).
- نعم، خاصّة في الوظائف الميدانيّة أو التي تتطلّب جهدًا بدنيًا أو ساعات متأخّرة. لكنّنا نواجه ذلك بالتواصل مع المجتمع، وتقديم قصص نجاح حقيقية لموظّفات أثبتن كفاءتهن في مختلف الأدوار. (Merico).
- نعم، ولكن ذلك يرجع لتفضيلات العاملين أنفسهم، وليس لقرار إداري. (معمل الألبسة).

السؤال السادس: هل يوجد إختلاف في الرّواتب أو المزايا بين الموظّفين الذّكور والإناث الذين يشغلون نفس المنصب؟ ولماذا يحدث ذلك؟

- لا، لدينا هيكلة وظيفيّة موحّدة ورواتب محدّدة حسب الدّرجة والمنصب، بغضّ النّظر عن الجنس. وإن ظهرت أيّ فجوات، يتمّ العمل على تصحيحها فورًا. (بلال فحص).
- لا يوجد أي إختلاف، فجميع الموظّفين يحصلون على نفس الأجر والمزايا عند تساوي المنصب والكفاءة وسنوات الخبرة. (النجدة الشعبية).

- لا، الرّواتب والمزايا لدينا تخضع لسلّم وظيفي موحّد ومراقب من الإدارة العليا. وأي تفاوت فردي يخضع للمراجعة والتّصحيح بناءً على التّقييم الموضوعي للأداء. (سوبر ماركت رمال).
- القرارات تُتّخذ بناءً على الحاجة والكفاءة. لا تأثير واضح للعوامل الإجتماعية. (Merico).
- لا، الرّواتب حسب الإنتاج والخبرة. (معمل الألبسة).

السؤال السابع: كيف يتمّ إتّخاذ قرارات التّرقية أو الإسناد للمراكز القياديّة في مؤسّستكم؟ وهل هناك إختلافات تتعلّق بالنّوع الإجتماعي؟

- القرارات تعتمد على الأداء، الكفاءة، والخبرة. ولا نميّز بين الذّكور والإناث. ومع ذلك، نحرص على تمثيل النّساء في المناصب القياديّة متى ما توفّرت فيهنّ الشّروط المطلوبة. (بلال فحص).
- يتمّ إتّخاذ قرارات التّرقية بناء على تقييم الأداء والجدارة والخبرة العمليّة، ولا تؤثّر مسألة النّوع الإجتماعي إطلاقاً في هكذا قرارات. (النجدة الشعبية).
- التّرقيات في الشّركة تعتمد على مؤشّرات أداء واضحة وخطط تطوير فرديّة لكلّ موظّف. ونحن نشجّع النّساء على التقدّم للمناصب القياديّة، ونسجّل سنويًا إزديادًا في عدد القيادات النّسائية بالشّركة. (سوبر ماركت رمال).

السؤال الثامن: برأيك، ما هي العوامل التي قد تعيق وصول النّساء إلى المراكز الإداريّة العليا؟

- من أبرز العوامل: الإلتزامات الأسريّة، النظرة المجتمعيّة التّقليديّة، وغياب الثّقة أحيانًا من جهات عليا بقدرة المرأة على القيادة، وكلها عوامل نعمل على معالجتها تدريجيًا. (بلال فحص).
- من أبرز العوامل: بعض الإلتزامات الأسريّة التي قد تحدّ من القدرة على العمل لساعات طويلة، أو عدم وجود طموح إداري لدى بعضهنّ. ولكننا نعمل على دعم الموظّفات وتمكينهنّ لتجاوز هذه التّحدّيات. (النجدة الشعبية).

- غالبًا ما تكون الإلتزامات العائليّة، وضعف الدّعم المجتمعي، وغياب شبكات الدّعم الدّاخلي، من أبرز العوامل. لذا نوفّر تسهيلات داخليّة مثل ساعات العمل المرنة وخطط التّطوير الخاصّة بالنّساء. (سوبر ماركت رمال).
- أبرزها صعوبة العمل الميداني وطبيعته الشّاقّة، إضافة إلى إلتزاماتهنّ العائليّة. (Merico).
- نعم، ولكن ذلك يرجع لتفضيلات العاملين أنفسهم، وليس لقرار إداري. وذلك بناءً على المقابلة والتّجربة العمليّة فقط. (معمل الألبسة).

السؤال التاسع: كيف تتعامل المؤسّسة مع قضايا مثل إجازات الأمومة أو التّسهيلات للموظّفات اللواتي لديهنّ إلتزامات أسريّة؟

- نحن نقدّم الدّعم الكامل، من خلال تنظيم الجداول، وتقديم إجازات مرنة، والعمل عن بُعد عند الحاجة، إيمانًا منّا بأهميّة التّوازن بين العمل والحياة الأسرية. (بلال فحص).
- نلتزم بتوفير كافّة الحقوق المنصوص عليها في النّظام، وتوفّر كذلك بعض التّسهيلات كمثل ساعات عمل مرنة، أو خيارات العمل الجزئي عند الحاجة. (النجدة الشعبية).
- نتعامل معها بمرونة وإهتمام، من خلال توفير إجازات أمومة مدفوعة، والعمل عن بُعد عند الحاجة، وتعديل الجداول حسب ظروف الموظّفة. نحن نعتبر التّوازن بين العمل والأسرة جزءًا أساسيًا من رفاهيّة الموظّف.(سوبر ماركت رمال).

السؤال العاشر: برأيك، هل تؤثّر الإلتزامات الأسريّة على فرص النّساء في التّقدُّم الوظيفي مقارنة مع الرّجال؟ ولماذا؟

- نعم، في بعض الحالات، تؤثّر الإلتزامات الأسريّة، خاصّة في بيئات لا توفّر المرونة الكافية. ولكن حين تُراعى هذه الجوانب وتُقدّم التّسهيلات المناسبة، تستطيع المرأة التقدُّم وتحقيق إنجازات متميّزة مثلها مثل الرّجل. (بلال فحص).
- نعم في بعض الحالات تؤثّر، نظراً لأنّ النّساء غالباً ما يتحمّلن العبء الأكبر من المسؤوليات الأسريّة، مما قد يقلّل من فرصهم في المناصب القياديّة ما لم يتمّ دعمهنّ بشكل مؤسّسي. (النجدة الشعبية).

- نعم، إلى حدّ ما، خاصة في المؤسّسات التي لا توفّر بيئة عمل مرنة. ولكن عندما نخلق بيئة داعمة، تقلّ الفجوة، وتصبح المرأة قادرة على تحقيق طموحاتها المهنية مثلها مثل الرجل. (سوبر ماركت رمال).
- بالتّأكيد، مثل وجود حضانة أو دوام مرن. (Merico).
- الإلتزامات العائليّة والتّنقُّل، خاصّة في المناطق البعيدة. (معمل الألبسة).

السؤال الحادي عشر: هل ترى أن ثقافة المؤسّسة تشجّع على المساواة بين الجنسين؟ وهل توجد دراسات أو مبادرات تدعم المرأة في بيئة العمل؟

- نعم، نحرص على تعزيز ثقافة المساواة بين الجنسين في مدرستنا من خلال سياسات واضحة وبرامج توعية مستمرّة. بالإضافة إلى ذلك، نشجّع المشاركة في المبادرات الوطنيّة والدّوليّة التي تدعم تمكين المرأة في بيئة العمل، مثل برامج هيئة الأمم المتحدة للمرأة في لبنان التي تهدف إلى تعزيز المساواة بين الجنسين في مختلف القطاعات. (بلال فحص).
- نعم، ثقافة المستشفى تقوم على مبادئ العدالة وتكافؤ الفرص جاهدين لتوفير بيئة عمل تشمل الجميع دون تمييز. ولدينا مبادرات عديدة لدعم المرأة من ضمنها برامج التدريب القيادي وتوفير فرص للتّطوير المهني وتشجيع التّوازن بين الحياة المهنيّة والشخصيّة. كما أنّنا نحرص على تمكين المرأة في المناصب الإداريّة والطّبيّة المتقدّمة. (النجدة الشعبية).
- نعم، ثقافتنا تدعم المساواة، ونعمل مع منظمات محليّة ودوليّة لتطوير برامج تدريبيّة وتوعويّة تدعم تمكين المرأة، وتخلق فرص نمو مهني متساوية للجميع. (سوبر ماركت رمال).
- نحاول، ولكن لا تزال هناك حاجة لرفع الوعي بثقافة المساواة. (Merico).
- نعم، ونلاحظ أن النّساء هنا فاعلات ومؤثّرات. (معمل الألبسة).

السؤال الثاني عشر: هل تلاحظ وجود تصورّات أو أفكار نمطيّة لدى بعض الموظّفين حول دور المرأة في العمل؟ وكيف تتعامل المؤسّسة مع هذه التّصوّرات؟

- قد تظهر أحيانًا بعض التّصوّرات النّمطيّة حول دور المرأة في العمل. نتعامل مع ذلك من خلال تنظيم ورش عمل وحلقات نقاشيّة تهدف إلى تصحيح هذه المفاهيم وتعزيز الوعي

بأهميّة المساواة وتكافؤ الفرص، مستندين إلى دراسات تؤكّد ضرورة تغيير هذه الصّور النّمطيّة لتحقيق بيئة عمل أكثر إنصافًا. (بلال فحص).

- في بعض الأحيان قد تظهر تصوّرات نمطيّة، وهذا أمر طبيعي في أي بيئة عمل متنوّعة. نحن نتعامل مع هذه المسائل من خلال التّوعية والتّدريب المستمر. ونعمل على تعزيز ثقافة الإحترام المتبادل ولدينا أيضاً سياسات واضحة للتّعامل مع أي ممارسات تمييزيّة، إذ يتم إتخاذ الإجراءات اللازمة عند الحاجة. (النجدة الشعبية).
- تظهر أحيانًا، خصوصًا في فرق العمل المتعدّدة الخلفيّات، لكننا نواجهها من خلال التّوعية المستمرّة، وتشجيع الحوار المفتوح، وعرض قصص نجاح لموظفات تجاوزن هذه التّصوّرات وحقّقن أداءً مميزًا. (سوبر ماركت رمال).
- نعم، أحيانًا. نحاول تصحيحها من خلال الحوار والممارسة. (Merico).
- نعم، ونلاحظ أن النّساء هنا فاعلات ومؤثّرات، وقد قلّت الأفكار النّمطيّة كثيرًا، ونواجهها بالتّشجيع والمساواة في المعاملة. (معمل الألبسة).

السؤال الثالث عشر: برأيك، ما الذي يمكن للمؤسّسة أن تقوم به للحدّ من التّمييز بين الجنسين وتعزيز المساواة المهنية؟

- يمكن للمؤسّسة إتّخاذ خطوات متعدّدة، مثل:

أ- تطبيق سياسات توظيف وترقية شفّافة تعتمد على الكفاءة فقط.

ب- توفير برامج تدريبيّة للتوعية بالمساواة بين الجنسين.

ت- تقديم تسهيلات داعمة للموظّفات، مثل خدمات رعاية الأطفال، مما يسهم في تعزيز مشاركة المرأة في سوق العمل. (بلال فحص).

- أرى أنّه من المهمّ مواصلة تعزيز التّوعية والتّثقيف حول المساواة بين الجنسين الى جانب تطوير سياسة واضحة وداعمة، كما أن نشجّع الحوار المفتوح، وتوفير نماذج ناجحة من النّساء في مواقع قياديّة يساعد في كسر الصّور النّمطيّة وتحقيق تقدُّم فعلي نحو المساواة. (النجدة الشعبية).

- نقترح التّركيز على برامج التّوعية، إعتماد آليات واضحة للإبلاغ عن التّمييز، وضع مؤشّرات أداء مرتبطة بالتّنوّع والمساواة، وتقديم حوافز للفرق التي تُظهر توازنًا في التوظيف والتّرقية. (سوبر ماركت رمال).
- توفير فرص تدريب للنّساء في المجالات الفنيّة وتعديل بعض ظروف العمل لجعلها أكثر ملاءمة. (Merico).
- من خلال إعطاء فرص فعليّة للنّساء وتطوير مهاراتهنّ.(معمل الألبسة).

السؤال الرابع عشر: هل تعتقد أن القوانين وحدها كافية لمواجهة التّمييز، أم هناك حاجة لتغيير الثّقافة المجتمعيّة؟

- بينما تُعتبر القوانين أداة أساسيّة لمكافحة التّمييز، إلا أنّ تغيير الثّقافة المجتمعيّة ضروريّ أيضًا. القوانين تضع الإطار العام، لكن التّغيير الحقيقي يتطلّب جهودًا مستمرّة في التّوعية والتّعليم لإحداث تحوّل في المفاهيم والتّصوّرات المجتمعيّة، كما أشارت دراسات حول المساواة بين الجنسين في لبنان. (بلال فحص).
- القوانين تشكّل أساساً مهماً في مكافحة التّمييز، لكنّها وحدها لا تكفي. التّغيير الحقيقي يتطلّب تحوّلاً في ثقافة المجتمع. بما في ذلك تغيير المفاهيم التقليديّة وتعزيز قيم المساواة والإحترام في كل مناحي الحياة بدءاً من الأسرة والتّعليم وحتى بيئة العمل. (النجدة الشعبية).
- القوانين هي خطوة أولى مهمّة، لكنّها ليست كافية. التّغيير الحقيقي يبدأ من الثّقافة المؤسسيّة، ويتوسع ليشمل ثقافة المجتمع ككل. نحن نعتبر أنفسنا جزءًا من هذا التّغيير، ونحاول أن نكون قدوة في ممارساتنا اليومية. (سوبر ماركت رمال).
- لا، الثقافة المجتمعيّة بحاجة للتغيير أولاً. (Merico).
- القوانين كافية. (معمل الألبسة).

ثانياً: تحليل النّتائج وربطها بالإطار النّظري.

بعد القراءة المعمّقة للمعطيات التي تمّ الحصول عليها من حقل الدراسة، والذي شمل مؤسّسات صحيّة وتربويّة وتجاريّة وصناعيّة... يمكن أن ندرج الإستنتاجات التالية:

1- تطوّر الأفكار والرّؤى والتّصوّرات التي طالت سوق العمل من حيث توزّع فرص التّشغيل، رغم العادات والتّقاليد الإجتماعيّة... إذ بعد أن عبرت الأنثى الطّريق الأساسي لتحدّد وتميّز حياتها، وبدأت تتابع دراساتها الجامعيّة في كل الإختصاصات، الأمر الذي فتح أمامها سوق العمل الذي كان مشروطاً في السابق وبراتب أدنى من راتب الرّجل... ولكن التّحضّر الذي طال المجتمعات ساهم في الحدّ من العوائق التي تعترض دخولها سوق العمل، والتّحدّيات التي تتعرّض لها، وأصبحت شروط العمل المطلوبة منها تتساوى مع تلك المطلوبة من الرّجل. فتبدّلت سياسات مؤسّسات سوق العمل وبدأت تعتمد على الكفاءة والخبرة دون النّظر الى النّوع الإجتماعي، وهذا يركّز على تكافؤ الفرص لأن التّنوّع في بيئة العمل يعزّز الأداء ويرفع مستوى الإنتاجيّة... ورغم ذلك لا تزال بعض أسواق العمل تركّز على إعطاء الفرص للرّجال أو النّساء، وذلك بناء على طبيعة العمل والتي تتطلّب ذلك.

2- رغم ما أظهره الإستنتاج الأول لاحظنا وجود تفاوت نسبي في التّمييز في بعض التّخصّصات، ويؤثّر في ذلك العوامل الإجتماعيّة والثّقافيّة وليس الكفاءة. وقد ظهر هذا التّفاوت في المهن التّقنيّة والصّناعيّة، مثلاً كما في مصنع الطّاقة الشّمسيّة المعتمد في الدّراسة حيث أنّه يعتمد في الإختيار على الرّجال لأنّ طبيعة العمل تتطلّب طاقات جسديّة، أو كما في معمل الألبسة الذي يركّز في الإختيار على العنصر النّسائي. وهذه الإختيارات تتوافق مع العوامل الفيزيولوجيّة للعمّال.

3- بعض المؤسّسات إعتمدت على معايير واضحة للتّوظيف تضمن الشّفافيّة وتقييم الأداء، وتركّز في تحقيق ذلك على المقابلات التي تحرص في الإختيار على الكفاءة والخبرة، محاولة توفير بيئة عمل عادلة مبنيّة على المراقبة وعدم التّحيّز.

أكثريّة المؤسّسات ركّزت على تكافؤ الفرص (المؤسّسات الصّحيّة والتّربويّة والتّجاريّة).

4- حول التّفضيل في الإختيار، لم نلاحظ من نتائج المقابلات وجود تفضيل إعتمدته لجان التّوظيف. وقد بدأ العمل عند المسؤولين على كسر الصّورة النّمطيّة التي تعتمد ذلك، وإعتماد أساس الجدارة، ولكن بين السّطور تبيّن وجود بعض التّفضيلات لإختيار الإناث للتّدريس

والتّمريض، والذّكور لتولّي مهام المحاسبة والأعمال الإداريّة وخاصة تلك التي تتطلّب دواماً أطول أو دوام ليلي.

5- من خلال التّركيز على سوق العمل وتأثير العادات والتّقاليد الإجتماعية باتت المؤسّسات بين مخالب التّحدّيات، الأمر الذي إنعكس سلباً في بعضها، وتدخلاً في نمط التّوظيف، وذلك ضمن حالات قليلة، وتدخّل ما يسمى ب"الواسطة" التي غزت سوق العمل. وهذا يتطلّب التّوعية بأهميّة الكفاءة التي تنعكس إيجاباً على الإنتاجية. وهذا يركّز على إلتزام سياسة موارد بشريّة تضمن تكافؤ الفرص في التّوظيف والتّرقيات...

6 و7- معظم المؤسّسات المدروسة لديها هيكليّات وظيفيّة خاصة، ورواتب محدّدة تفرضها الكفاءة والخبرة وسنوات الخدمة ودرجة الوظيفة... بغضّ النّظر عن الجنس أو النّوع الإجتماعي, بمعنى أوضح جميع الموظّفين والعاملين في نفس الوظيفة أو نفس الفئة يتقاضون نفس الأجر ويخضعون لنفس شروط الوظيفة عند التّعيين أو التّرقية بناءً على الكفاءة المطلوبة. ورغم ذلك نلاحظ وجود بعض الفجوات وخاصة في ظلّ الظّروف الإقتصادية الرّاهنة.

كذلك بالنسبة لقرارات الإسناد للوظائف والمراكز القياديّة التي ما زالت محتكرة على الذّكور (الرّجال). فإن معظم المؤسّسات في القطاعات العمالية بدأت تحدّ من هذا النّوع من الإسناد، واعتمدت شروط الكفاءة العلميّة والتقنيّة والخبرة ، كما اعتمدت على مؤشّرات أداء واضحة وخطط تطوير.

8- المقابلات التي أجريت مع المؤسّسات موضوع الدّراسة ركّزت على أنه على رأس العوامل التي تعيق وصول النّساء الى المراكز الإداريّة العليا:

- الإلتزامات الأسرية.
- النّظرة المجتمعيّة، والعادات والتّقاليد.
- غياب الثّقة بقدرة المرأة على القيادة.
- عدم وجود طموح إداري لدى بعض النّساء.

بعض هذه المؤسّسات بدأت بمعالجة ذلك عن طريق تصوّرات وإجراءات منطقيّة توصل الى الحلول.

9- على صعيد التّعامل مع القضايا المتعلّقة بالنّساء العاملات والتّسهيلات التي تقدّم لهنّ، فقد أظهرت المقابلات مرونة في التّعامل تعتمد الدّعم الكامل للمرأة وإعطائها بعض الإجازات الطّارئة مقابل العمل عن بعد (أي من المنزل)، والذي قد تسمح به طبيعة العمل وظروفه وأحياناً العوامل الخارجيّة. وقد تمّ إعتماد ذلك تطبيقاً لقانون العمل وبنوده ومحدّداته المتعلّقة بساعات العمل والعمل الجزئي والإجازات (الإجازات المرضيّة المدفوعة وإجازات الأمومة...).

10- في بعض الحالات تؤثّر الإلتزامات الأسريّة على الحصول على فرص عمل لأنّ المرأة غالباً ما تتحمّل العبء الأكبر من المسؤوليات في الأسرة، وتحمل فرص الحلول للمشكلات التي تتعرّض لها، مما يقلّل من خفض فرص العمل، وخاصة في المراكز القياديّة، في المؤسّسات التي لا توفّر بيئة عمل مرنة.

11- معظم المؤسّسات المدروسة تحرص على تعزيز ثقافة المساواة في الوظيفة بين الجنسين، وتشجّع المبادرات التي تدعم تمكين المرأة في سوق العمل، لأنّ ثقافة العمل يجب أن تقوم على مبادئ العدالة وتكافؤ الفرص وخلق فرص نموّ مهني متساوية للجميع.

12- تظهر عادة في سوق العمل تصوّرات نمطيّة، ويتمّ التّعامل معها من خلال التّدريب الذي يساهم في رفع مستوى المساواة بين الجنسين، الأمر الذي ينعكس إيجاباً على الإنتاجيّة، كما يتمّ تصحيحها من خلال الحوار والممارسة.

13- بهدف الحدّ من التّمييز بين الجنسين وتعزيز المساواة المهنية، عمدت المؤسّسات المدروسة الى إعتماد سياسة توظيف وترقية شفّافة، ترتكز على الكفاءة وتوفير برامج تدريب، وتقديم دعم وتسهيلات للموظّفين من الجنسين، وخاصة الموظّفات للحاجة لهنّ.

14- القوانين المرعية الإجراء تُعتبر أداة أساسيّة لمكافحة التّمييز، ولكنها تحتاج الى المساهمة الفعّالة في عملية تغيير الثّقافة المجتمعيّة التي تتطلّب جهوداً مستمرّة في التّوعية والتّعليم، لإحداث تحوّل في المفاهيم التّقليديّة، وهذا يتتطلّب تعاوناً بين المؤسّسات والعاملين والسّلطات القياديّة.

الخاتمة والتّوصيات

يُعدُّ التّمييز بين الجنسين في سوق العمل من التّحدّيات المستمرّة التي تواجه المجتمعات، حيث يؤثّر سلبًا على العدالة الإجتماعيّة والنّموّ الإقتصادي. وعلى الرّغم من التّقدُّم الذي أحرزته العديد من الدّول في تقليص الفجوة بين الجنسين، إلا أن النساء ما زلن يواجهن عقبات عديدة، مثل فجوة الأجور، وعدم تكافؤ الفرص في التّرقية، والتّمييز في بيئات العمل. لذلك، من الضّروري تبنّي سياسات وإستراتيجيّات شاملة لتعزيز المساواة وضمان بيئة عمل عادلة للجميع.

التّوصيات:

1- سنّ وتشديد القوانين المناهضة للتّمييز: ضرورة تعزيز التّشريعات التي تُجرّم التّمييز على أساس الجنس في سوق العمل، مع ضمان تطبيقها بفعاليّة.

2- تحقيق المساواة في الأجور: ينبغي فرض سياسات شفّافة تضمن حصول النّساء على أجور متساوية مع الرّجال عند أداء نفس العمل وبنفس **الكفاءة**.

3- تمكين المرأة في المناصب القياديّة: تشجيع الشّركات والمؤسّسات على تبنّي سياسات تدعم وصول المرأة إلى المناصب الإداريّة والقياديّة.

4- تعزيز ثقافة المساواة في بيئة العمل: نشر الوعي داخل المؤسّسات حول أهميّة التّنوُّع والمساواة، وتدريب الموظّفين على مكافحة التّمييز والتحيّز اللّاواعي.

5- تحقيق التّوازن بين العمل والحياة الشّخصيّة: توفير خيارات مرنة للموظّفين، مثل العمل عن بُعد والإجازات العائليّة، لدعم مشاركة المرأة في سوق العمل دون المساس بمسؤوليّاتها الأسريّة.

6- تشجيع التّعليم والتّأهيل المهني: الإستثمار في برامج تعليميّة وتدريبيّة تستهدف تمكين المرأة من إكتساب المهارات المطلوبة لمجالات العمل المختلفة، لاسيّما في القطاعات التي يهيمن عليها الذّكور.

7- تعزيز الرّقابة والمساءلة: إنشاء هيئات رقابيّة مستقلّة لمتابعة تطبيق سياسات المساواة، وتوفير قنوات آمنة لتقديم الشّكاوى المتعلّقة بالتّمييز في بيئات العمل.

من خلال إعتماد هذه التّوصيات، يمكن الحدّ من التّمييز بين الجنسين وتحقيق بيئة عمل أكثر عدالة، مما يسهم في تحسين الأداء الإقتصادي وتعزيز التّضامن الإجتماعي.

المراجع

1- د.علي محمد رضا يونس الطحان: ضمان المساواة في الأجر في الشريعة الإسلامية والنظريات الوضعية – دراسة مقارنة- ورقة بحثية – الملتقى الدولي- الإقتصاد الإسالمي- الواقع ورهانات المستقبل – الجزائر- .2021

2- د. محمد أحمد إسماعيل: المركز القانوني للمرأة العاملة في القانون المصري المقارن- (مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص) دار النهضة العربية- القاهرة – .2000

3- د. محمد أنور حامد علي: حقوق وواجبات العمال في ظل قانون العمل – الصادر بالقانون 12 لسنة 2003 والقوانين ذات الصلة – دار النهضة العربية – القاهرة – .2012

4- منظمة العمل الدولية: مقالة مبادئ حقوق النساء العاملات والمساواة بين الجنسين – المنشورة عام .2000

5- بي بي سي نيوز بالعربي: كيف تحقق المرأة المساواة في سوق العمل – مقالة بتاريخ 4 مارس .2016

6- .https://www.bbc.com/arabic/interactivity

7- Caren Grown, Geeta Rao Gupta, Aslihan Kes, taking action: achieving gender equality and empowering women, London, 2005.

8- Anderson, Julie, Ariane Hegewisch and Jeff Hayes, the union advantage for women, institute for women’s policy research, 2015.

9- Michael Gerber, promoting equality, including social equity, gender equality and women’s empowerment, New York, 2014.

ملحق المقابلة

إستهداف أصحاب ومدراء المؤسّسات عبر المقابلات المعمّقة يعطي بُعدًا سوسيولوجيًا قويًا للبحث في ما يتعلّق بفهم سياسات المؤسّسات وتوجّهاتها حول قضايا التّمييز بين الجنسين.

نموذج أسئلة مقابلة

أولاً: أسئلة عامة

1- كيف تصف سياسة مؤسّستكم في ما يتعلّق بتوظيف النّساء والرّجال؟

2- برأيك، هل تعتقد أن هناك تمييزاً بين الجنسين في سوق العمل المحلّي؟ ولماذا؟

3- هل تعتمد مؤسّستكم معايير محدّدة لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص بين الجنسين؟ اشرح لي ذلك.

ثانياً: أسئلة حول التّوظيف والإختيار:

4- عند إختيار موظّفين جدد، هل تلاحظ وجود تفضيل غير معلن لنوع إجتماعي معيّن (ذكر/أنثى) لبعض الوظائف؟ ولماذا؟

5- هل سبق وواجهت المؤسّسة تحدّيات تتعلّق برفض المجتمع أو الزّبائن توظيف النّساء في مناصب معيّنة؟

ثالثاً: أسئلة حول الأجور والتّرقيات:

6- هل يوجد إختلاف في الرّواتب أو المزايا بين الموظّفين الذّكور والإناث الذين يشغلون نفس المنصب؟ برأيك لماذا يحدث ذلك أحياناً؟

7- كيف يتمّ إتّخاذ قرارات التّرقية أو الإسناد للمناصب القياديّة في مؤسّستكم؟ وهل هناك إختلافات تتعلّق بالنّوع الإجتماعي؟

8- برأيك، ما العوامل التي قد تعيق وصول النّساء إلى المناصب الإداريّة العليا؟

رابعاً: أسئلة حول التّوازن بين العمل والأسرة:

9- كيف تتعامل مؤسّستكم مع قضايا مثل إجازات الأمومة أو التّسهيلات للموظّفات اللواتي لديهنّ إلتزامات أسريّة؟

10- برأيك، هل تؤثّر الإلتزامات الأسريّة بشكل أكبر على فرص النّساء في التّقدُّم الوظيفي مقارنة بالرّجال؟ ولماذا؟

خامساً: أسئلة تتعلّق بالثّقافة التّنظيميّة:

11- هل ترى أن ثقافة المؤسّسة تشجّع على المساواة بين الجنسين؟ وهل توجد مبادرات أو برامج تدعم المرأة في بيئة العمل؟

12- هل تلاحظ أن هناك تصوّرات أو أفكار نمطيّة لدى بعض الموظّفين حول "دور المرأة" في العمل؟ وكيف تتعامل المؤسّسة مع هذه التّصوّرات؟

سادساً: أسئلة ختامية:

13- برأيك، ما الذي يمكن للمؤسّسات أن تقوم به للحدّ من التّمييز بين الجنسين وتعزيز المساواة المهنيّة؟

14- هل تعتقد أنّ القوانين وحدها كافية لمواجهة التّمييز أم أنّ هناك حاجة لتغيير الثّقافة المجتمعيّة؟

أمثال شعبية (الجزء الأول)

- "رجعت حليمة لعادتها القديمة !"

يحكى أن زوجة حاتم الطائي المعروف بكرمه، تدعى حليمة وكانت على عكسه مشهورة بالبخل .

وقد حاول عبثاً حثّها على زيادة المقادير على الأطعمة، وذات يوم استطاع إقناعها بأنها كلما زادت ملعقة من السمن أو الزيت أو أي نوع من الغذاء على الطعام يزيد الله في عمرها . ومن حينها طابت مائدتها وسَخَت على ضيوفها، وذات يوم خَسِرت ابنها فتمنّت أن يُقَصّر الله من عمرها لتلحق به، وما هي إلا مُدّة وجيزة حتى دارت الفكرة في رأسها بأن تُنقِصَ من الطعام الملاعق الإضافية، وهكذا "عادت حليمة لعادتها القديمة" بالبخل وندرة الطعام ...

- "الطمع ضر ما نفع"؛

يُحكى عن خياط في الشام، كان يعمل بكدّ وجدّ، وخلال عمله يُرَدّد عبارة "قوّتي تحتي". وذات يوم سمعه أحد اللصوص فسأل نفسه عن سِرّ هذه العبارة ليفهمها، فقرر اقتحام المحل ليلاً لكي يعرف مقصد الخياط. فدخل اللص المحل ورفع السجادة من تحت كرسي الخياط فإذا بحفرة في داخلها جرّة من الذهب، فسرقها وأعاد السجادة كما كانت وهرب .

وفي اليوم التالي حضر الخياط وتابع عمله وفي آخر النهار فتح الحفرة وأنزل فيها ليرته الذهبية فإذا به لم يسمع رنين الذهب، فحزن لما آلت إليه أموره. وأخذ يُرَدّد كل يوم على مسامع المارّة : "لو خَلّيناها لَعبّيناها، لو خَلّيناها لملأناها"، فسمعه اللص وطمع في زيادة غِلّة السرقة، فدخل ذات ليلة المحل وأعاد الجَرّة لمكانها ظناً منه أن صاحب المحل سيزيد

مقدار الليرات كما قال، وفي اليوم التالي دخل الخياط فوجد جَرّتهُ فخبّأها في مكانٍ بعيد، ومن حينها قال لسامعيه العبارة الشهيرة "الطمع ضرّ ما نفع."

- "دافنينو سوا!"

يُحكى عن أخوين عاشا في أحد أحياء مصر الشعبية وكانا يتجولان بين القرى والأحياء لبيع الحاجيات معتمدين على حمارٍ أسمياه "أبو الصبر"، وقد تعلّقا به كثيراً نظراً لشدَة تحَمّله... وذات يوم مات الحمار، فحزنا عليه حزناً شديداً ودَفَناه بالقرب من بيتهما ووضعا صخرة وحفرا عليها اسمه؛ هنا يرقد أبو الصبر، بعد أن ذرفا الدموع عليه. وبينما هما على هذه الحالة، اعتقد المارّة أنهما خسِرا شيخاً جليلاً أو رجلاً صالحاً اسمه أبو الصبر. فبدأوا بتقديم النذورات والأموال ظناً منهم أنه يشفي المريض ويعيد الحبيب والمسافر ويبعد الشرور ... وهكذا جمع الأخوان مبلغاً وافراً من المال، وبنيا مزاراً كبيراً على اسم أبو الصبر وأخفيا الحقيقة وأوهما الناس مراراً وتكراراً أنه كما اعتقدوه سابقاً شيخاً جليلاً كان له مقامه ووقاره... وذات يوم اختلفا على القسمة، فقال أحدهما للآخر؛ سأشكيك عند أبو الصبر، وكأنه بذلك اقتنع بالقصة ونسي أن أبو الصبر كان حمارهما. فضحك الأخ بشدّة وقال لأخيه هل نسيت أننا " دافنينو سوا

- "الجار قبل الدار!"

يُحكى أن رجُلا سكن مُدّة ٢٠ عاماً في بغداد مع عائلته بالقرب من جيرانه، وبعدما كبر أولاده وكلٌ مكث مع عائلته، بقي الرجل العجوز وحيداً، وقد ضاقت به هموم ومشاغل الحياة والدنيا، فاضطر لبيع بيته .

فعرضه للبيع ب ١٠٠٠ دينار، تفاجأ جاره وظنّه فقد صوابه لأن البيت لا يساوي حتى نصف هذا المبلغ. وحين دار النقاش بينهما، قال له صاحب البيت؛ بعدما أمضيت ٢٠ عاماً من البنيان اكتشفت ان السعادة مع الجيران؛ طِيبةْ وأخلاق وأخوّة، لأن البيت ليس فقط جدران، فتأثر جاره ومَدّه بالمال وحافظ على جيرته ومن حينها ضُرب المثل "الجار قبل الدار."

- "يلّي في تحت باطو مسَلّة بتنعرو ":

تعود جذور هذا المثل الشعبي إلى حكاية مفادها أنّ رَجُلين عَمِلا في مجال الخياطة، ثم دبَّ الخلاف بينهما، وبعد مدة مات أحدهما، فحضر صديق مشترك وطلب من الخياط المنهمك بترقيع ثوب، مرافقته لتقديم واجب العزاء، وعلى عجلةٍ من أمرِهِ، نسِيَ الخياط المسلّة (إبرة طويلة للخياطة) في جيب شرواله.

وخلال تقديم التعازي، بدأت المسلّة تُصدِر وخزات واحدة تلو الأخرى في منطقة حساسة من جسم الخياط، ولم يكن باستطاعته نزعها، فمزّقت جيب الشروال وأحدثت ألماً شديداً دفعه إلى الإحمرار وتغيير سمات وجهه لدرجة ذرف بعض الدموع من شدة الألم.

وفي طريق العودة، قال الصديق للخياط؛ لم أكن أعلم أن الراحل عزيز عليك لهذه الدرجة! فضحك الخياط مردداً: "أيّا عزيز أيّا بلّوط، بس يلّي في مسلّة بتنعرو"... ولتجميله أصبح المثل: "يلّي في تحت باطو مسلّة بتنعرو". وبات يُستخدم للدلالة على وخز الضمير أو رداً على كلام غير صادق .

- **"منشرب القهوة"؟**

قول مأثور أكثر مما هو مثل، لكن لرمزيته أردنا سرد الحادثة هنا.

بعد خلاف حاد بينهما على مسائل إدارية وتنظيمية في البلاد، ونظراً للغلاء المعيشي الذي كان سائداً، وزيادة الضرائب والظلم الذي لَحِقَ بالناس، وقع خلاف حاد بين المطران يوسف أسطفان ابن بلدة غوسطا الكسروانية (عمّه البطريرك يوسف أسطفان، ولد العام ١٧٦١م، سيمَ كاهناً سنة ١٧٩٥م وأسقفاً ونائباً بطريركياً في العام ١٨١٠م)، الداعم الأكبر للإنتفاضات والعامّيات الشعبية بوجه ظلم الحاكم وسياسة الفساد والسخرة والبطش وما إليها من سياسات تعسفية عارضها المطران دفاعاً عن حقوق وحياة الشعب ، دعاه الأمير بشير الثاني حاكم جبل لبنان (١٧٨٨م_١٨٤٠م)، إلى وليمة غداء، مبدياً من خلالها المير نيته بالمصالحة غير أن نواياه المضمرة كانت على عكس ذلك.

لبّى المطران الدعوة في شهر تشرين الثاني ١٨٢٢م، فتناول الغداء وارتشف بعده القهوة، وكان من عوائد الأمير أن يسمّمْ لأعدائه في فنجان القهوة، فما هي إلا ساعات حتى سَرى

السُّم في جسم المطران وأسلم روحه شهيداً للحرية والدفاع عن حقوق المظلومين في ٢٠ تشرين الثاني من العام ١٨٢٢م .

واستكمالاً لهذه الحادثة التاريخية، وبعد أكثر من قرن على مرورها إليكم ما حصل :
سنة ١٩٦٤ بُعَيدَ انتهاء ولاية الرئيس فؤاد شهاب، عُقدت اجتماعات في أوتيل الكارلتون _بيروت لاختيار خلف له، وكان من المُقرّر انتخاب الأمير عبد العزيز شهاب، وأثناء اللقاءات الأخيرة، وبينما كانت تُقَدّم القهوة للضيوف، سأل أحدهم "شو منشرب القهوة" فضحك الشهابي من دون أن ينطق بكلمة لا إيجاباً ولا سلباً، لِعِلمِهِ بأن الضيف يريد إرباكه ب "لطشة على الناعم"، لأنه من سُلالة الأمير بشير شهاب الذي كان يُسمّم لأعدائه بالقهوة...

"أم الصبي!"

حكاية تاريخية يُعتقد أنها من زمن حكم سليمان الملك. وتقول الرواية، أن امرأتين اختلفتا على صبي، فحضرتا إلى بلاط الملك سليمان لكي يحكم بالعدل، فطلب تقطيع الصبي وإعطاء كل سيدة قطعة منه، فقالت السيدة المُدّعِية أن هذا منطق العدل في حين صرخت الأم الحقيقية وطلبت من الملك إعطاء الصبي للمرأة، فعَلِمَ حينها الملك أنها "أم الصبي ".

- "يلّي استحوا ماتوا!"

عرفت مدن الشام ولبنان الحَمّام التركي خلال العهد العثماني، وفي أحد الأيام شبّ حريق كبير في القسم المخصص للنساء وكان الحمّام مليئاً بالنسوة العاريات ... فما كان من بعضهن إلا أن هَرَبنَ عارياتٍ من الخوف...

في حين أن أخريات، ونظراً لخجلهن، فَضّلنَ الموت اختناقاً على الخروج من الحَمّام المشتعل. ومن حينها أطلق المثل، يلي استحوا ماتوا.

الأستاذة هدى عباس

الحرف اللبنانية بين التعثر والانقراض

تمهيد

عرف لبنان الصناعات اليدوية منذ القديم، وعلى امتداد العصور ظلت هذه الصناعات تمثل المصدر الثانى للدخل بعد الزراعة، وكان إنتاجها يلبى احتياجات السكان، وبمرور الزمان تحوّلت هذه الصناعات إلى فنون حرفية يُبدع فيها الفنان اللبناني باحتراف، يمزج الواقع بالخيال ليخرج فناً خالصاً، وساعد على ذلك وجود مناطق بكاملها يعيش فيها الحرفيون.

الحرف اللبنانية

في ظل غياب خريطة سياحية حرفية تراثية واضحة يجد ،اللبناني (داخلياً) والسائح (خارجياً) ، عجزاً في التعرّف على الحرف اللبنانية القديمة (العتيقة)، والتي تمثل جزءاً من ذاكرة القرى اللبنانية، والتي تخبر طريقة حياتهم البسيطة، وتسلك معها درب الحرير الحرفي... ففي كل حرفة قصة وذاكرة ، وضمن ذاكرة كل حرفي تسطَّرُ ثقافة أصيلة. تنضوي في نطاق الحرف الأصيلة والتي يصعب احصاؤها، بل سيتم عرض بعضها على سبيل المثال لا الحصر و سأقوم بالتنقيب عنها و البحث في تاريخها وتطورها ومناطقيتها ومدى مساهمتها في الاقتصاد الأسري...

يشتهر لبنان بمزيج خاصّ من الحرف التقليدية المصنوعة يدويّاً، بما فيها الاواني النحاسية (الصواني) والمطروقة والمزيّنة بالزخرفة العربية والسكاكين ذات القبضات المصنوعة من قرون الحيوانات والعلب الخشبية وألواح صابون زيت الزيتون والفخّار وغيرها من المنتجات. وتشتهر مناطق لبنان المختلفة بمساهمتها الفريدة في الحرف والفنون التراثية, لذا يجب على الزائر او السائح الاستفسار عن الصناعات المحلّية عند التنقل بين مختلف المناطق اللبنانية, ففي العاصمة بيروت تستطيع أن تجد منتجات حرفية تقليدية من كلّ أرجاء لبنان، فهناك متاجر الحرف التراثية أو (الأرتيزانا الخاصة) و متاجر وزارة السياحة حيث تباع الحرف المختلفة.

ويكتسب الصابون المصنوع من زيتِ الزيتون، صابون لبنان التقليدي شعبية عالمية بفضل نقاوته وميزاته الترطيبية الطبيعية , إذ كان يصنع تقليدياً من زيت الزيتون الخاص الذي تنتجه العائلات اللبنانية من أشجار الزيتون التي تملكها، وبعد اكتمال تصنيع الصابون ينقش اسم العائلة على الالواح باللغة العربية أو غيره من الكلمات والرموز دلالة على نوعية الزيت المستخدم ومهارة صانع الصابون أو وصفته السرية, بعدها تباع ألواح صابون زيت الزيتون في المتاجر الصغيرة أو الأسواق الحرفية الموجودة في أرجاء لبنان.

المنجد، المبيض، الكوّى، المجبر العربي، الكندرجي، الفاخوري(صناعة الفخار)، صناعة الزجاجيات ، صناعة السكاكين، صناعة السفن...

هذه الحرف يعود أغلبها الى أكثر من مائة عام، بعضها ما زال صامداً في وجه التطور الصناعي الذي أحدث زلزالاً في التطور الحاصل وقاوم الحرفيون العاملون في هذه الحرف، رغم تراجع الإقبال عليه... فالتنجيد ما زال يمارس في أكثر المناطق اللبنانية وخاصة في صيدا القديمة (سوق البازركان).

الحرف التي قاومت ما زال بعضها كالمنجد والكوّى يثابران على العطاء والممارسة ، وهم الذين علموا أبناءهم من إنتاج محلات قديمة يفوق عمرها مئات السنين، تتبعثر في بعضها أكوام الصوف تحت ضربات المنجد... ولم يتعب أصحابها ، أو أبناءهم الذين ورثوا المهنة أو يكلوا رغم تراجع وتيرتها.

هؤلاء الحرفيون تابعوا بعض التطورات التي حصلت في مجال عملهم ، ويستمرون، وهذا يؤكد مدى عمق العلاقة التي تربطهم بهذه الحرف المستمرة في أحلك الظروف.

1-التنجيد حرفة يدوية قديمة، عمرها مئات السنين، ترتكز على القطن والصوف والقماش المصنّع منهما، والخيط المبروم والمصنوع من القطن الصافي، اضافة الى الإبرة و"الكشتبان" والشمع العسلي... ازدهرت في لبنان في ستينات القرن الماضي واقتصر روادها على الأغنياء.

اليوم فقدت هذه الحرفة بريقها وباتت تعاني من صعوبات متعددة، وكما قال أحد المنجدين العاملين في صيدا القديمة:"مهنتنا اليوم أضحت تحفة ، حيث بات يؤم محلاتنا بعض الفقراء الذين لايتمكنون من تجديد لوازمهم". إذن شارفت على الزوال ، بعد أن كان يقصدها في الماضي العرسان ويطلبون من المنجد الذهاب الى المنازل لينجز جهاز العروس. وهكذا تكون حرفة التنجيد قد أضحت في طريقها الى الذوبان في عصرنة الواقع.

أحد المنجدين في صيدا القديمة عندما سألته عن المهنة وامكانية استمرارها أجاب: " رزق الله ع إيام العز، لم نكن نهدأ أو نتوقف عن العمل وأكثر الأحيان نستمر حتى ساعات متأخرة من الليل. بينما اليوم نعمل بالقطارة... كنا نتنافس مع بعضنا بطبيعة العمل والتفنن به ، ومعاملة الزبائن و...

2- سلال القصب: لقد دوّن اللبنانيون أسرار مهنٍ وحياة مجتمعٍ، واليوم وبعد ثورة العصرنة ، باتوا على هامش الحياة العملية.ومن بين هذه الحرف، حرفة صناعة سلال القصب المهددة بالإنقراض، وقد انتشرت كثيراً في جنوب لبنان. فكانت ملاذ الفلاح والصناعي وربة المنزل، ومن بين الأماكن التي انتشرت فيها بلدة كفريا في منطقة صيدا.

الحرفي الذي يعمل في صناعة السلال يمضي معظم وقته يحبك أحجية القصب التي تتحول في خلال بعض الوقت الى سلة تُركن في زاوية من المنزل أو في محل تجاري في القرية، تنتظر من يشتريها.

تمرُّهذه الصناعة بعدة مراحل ... تبدأ بشراء القصب الذي يليَّن يالماء، بعدها يقشَّر ويقطَّع نسلات متطابقة... ومن ثم ينطلق الجرفي الى تركيب البدوة ،التي تمثل قاعدة السلة، ثم يتابع فيشبك القضيب ويجدله بنسلات مفسَّخة من القصب الطويل المتفرع من القاعدة والموزَّع بتباعد متساوٍ، وبعد تحديد الإرتفاع والإتساع المطلوبين، تُشبك وتُجدل المسكة العريضة ، والتي تشير الى انتهاء انجاز العمل.

هذه الصناعة كانت مطلوبة منذ ما يزيد على نصف قرن وفي هذه الأيام باتت سلة القصب تحفة فنية تزيَّن بها المنازل، الأمر الذي أدى الى تراجع الحرفة، و بدأت طبول رحيلها تُقرع.

3- صناعة السكاكين في مدينة جزين:

تتميز بلدة جزين بحرفة تصنيع السيوف والسكاكين والخناجر ، وغيرها من أدوات تناول الطعام التي تصنع مقابضها من قرون المواشي . كما يتم أيضاً تصنيع "علّاقات" المفاتيح ، سكاكين فتح الرسائل ، "فتّاحات القناني" ، وجميع أشكال الحفر على القرن و"الستانلس. "

بدأت هذه الحرفة منذ عام (1700) عبر الحفر على أغصان الأشجار المقطوعة، وأنواع الطيور التي تتواجد في الطبيعة. وبعد عقد أو عقدين تم إستبدال المقابض الخشبية العادية

للسكاكين والخناجر، بالمقابض المحفورة على شكل طيور. وبعدها بفترة تم إعتماد القرون المحفورة كبديل للخشب، وهي فكرة ما زالت إلى اليوم أساس هذه الحرفة وميّزتها. كتحفة رائعة.

يَقطع الحرفي الجزء الفارغ من القرن ، ثم يمسكه بواسطة الملقط ، ويقلّبه على النار حتى يتجمّر ويلين ويصبح قابلاً للتقويم ، فيقوم بتثبيته "بالملزمة" ليقوّمه بواسطة المطرقة ، وتُزال الزوائد بواسطة المنجل.

يكون الحفر بواسطة المبارد ، فيتم حفر رأس البطة ، وإعطائها الشكل المطلوب ، بعدها يتم إستخدام منشار "التشربك" لتسوية مكان الجانحين حتى يلتصقا بالقرن ، من ثم يستخدم الحرفي منشار "التطعيم" على "ظهر" القرن/الطائر ، لإفساح المكان لإستدخال وتثبيت قطع من النحاس أو الألومنيوم بواسطة المطرقة. و بعد ذلك يثقب الطرف الأسفل من القرن (الموازي لرأس البطة)، ثم يصهر قليلاً من القصدير ويصبه ساخناً داخله ، و يُدخل آداة الطعام التي يريد وضع مقبض لها . هذه الأدوات تستورد من إيطاليا ولها شكل خاص ، حيث حلّ محل القبضةالقديمة، قبضة تحتوي على زردة طولها (5 سم) تسمح بتثبيتها بالمقبض الجديد.

بعد ذلك يقوم بنقش الجوانح وباقي أجزاء المقبض ، وتطعيمها بالنحاس أو الذهب ، والأحجار الكريمة ، فيرصعها ويزخرفها برسوم وأشكال مبتكرة.

وأحياناً تشارك النساء بهذا الجزء من العمل ، حيث يقمن بنقش وزخرفة القرن ، قبل أن يسلمنه للحرفي الذي يقوم بتلميعه النهائي .

توضّب المنتوجات في علب خشبية مرصّعة ، ومبطّنة من الداخل بالمخمل.

تتخطى كل حرفة أهمية البعد الإقتصادي ، لتطال البعد الثقافي تحديداً ، حيث تشكل واسطة تنقل مخزون الذاكرة والتراث إلى الأجيال اللاحقة ، هي نبض الهوية وبعدها الحضاري في واقع العالم اليوم ، حيث تتلاطم الثقافات ولا تتلاقح ، وحيث يتم التثاقف عبر القسر والإكراه ، فلا بد من التمسك بهذا المخزون لحماية الحاضر والمستقبل.

تم توارث هذه الحرفة أباً عن جد، لكنها ليست حكراً على عائلة محددة في جزين قدر ما هي تميُّز خاص للمدينة نفسها.

كان الكبار يعلمون الصغار أصول الحرفة وفنونها، ويُترك لهم المجال لتطويرها وإبتكار أشكال فنية جديدة ومختلفة.

إن التحليل الأنثروبولوجي للصناعات الحرفية يوضّح دورها ووظيفتها ، كما يوضّح العلاقة الجدلية المتبادلة بينها وبين الإطار الثقافي العام في المجتمع. فالحرفي الفنان يكتشف في الشيء الذي أنتجه ، ليس مجرد وسيلة عملية فحسب، بل شهادة لقيامه بفعل خلّاق . وهذا يتوضح بطريقة تعاطي الحرفي مع منتجه بعد إنتهائه منه.

اليوم تعثرت هذه الحرفة وانقرضت وأصبحت ذكرى من الماضي.

4-الفخّار والخزفْ

الفخّار هو عبارة عن مفهوم يُطلَق على الأدوات والأواني التي تُصنَع من الطّين، ويتمّ استخدام النّار في تشكيلها، ويُعدّ تصنيع الفخّار من أقدم المِهَن التقليديّة.

يُعرَّف بأنّه فنّ صناعة الخزف؛ حيث يُطلَق على إنتاج الموادّ الفخاريّة مسمّى الأعمال الخزفيّة.

صناعة الفخّار من الصّناعات القديمة، التي تعتمد على رسم التّصميم الخاصّ بقطعة الفخّار قبل البدء بصناعتها، وتُستخدَم مادّةٌ أساسيّةٌ في هذه الصناعة وهي الطّين؛ وفيما يأتي الخطوات الرئيسيّة التي تُطبّق أثناء تنفيذها:

- خلط الطين: يُعدّ خلط الطّين الخطوة الأولى من خطوات صناعة الفخّار، ويعتمد على ترطيب الطّين؛ عن طريق إضافة الماء إليه أثناء وجوده في خزّانٍ مناسبٍ للخلط، وتستمرّ هذه العمليّة حتّى يُصبح الطّين قابلاً للتشكيل، وذلك بعد أن يتوزّع الماء . الذي يشكّل نسبة 30% منه .
- بضغَط الطين باستخدام المرشحات والفلاتر، التي تساهم في التخلّص من الماء الزّائد منه قبل وضعه على الطاحونة الخاصّة ببدء العمل على صناعة الفخّار، حيث تحتوي

أسطوانةً يُثبَّت عليها الطّين، ومن ثمّ تبدأ الدّوران حتّى يتمكّن صانع الفخّار من تشكيله بطريقةٍ صحيحةٍ.

- التجويف هو الخطوة التي يستخدم فيها صانع الفخّار يدَيْه في تشكيل عُمق الأواني الفخّاريّة، أو قد يستعين بآلةٍ خاصّةٍ بتجويف الفخّار، تُساعده على صناعة الأواني المُجوّفة، مثل: المزهريّات، أمّا تطبيق هذه الخطوة فيعتمد على لفّ الأسطوانة بالتّزامن مع لفّ الطّين الرّطب الموجود عليها، ويستمرّ تشكيل جوف المزهريّة حتّى يصل الصّانع إلى حجمها المطلوب، وقد تُستخدَم قوالب جاهزة تساعد على تجويف المزهريات بطريقةٍ سهلةٍ، وسريعةٍ، ودقيقةٍ في آنٍ معاً، قبل البدء بتجهيزها لتطبيق الخطوات اللاحقة.
- الصبّ هو صبّ الفخّار في قوالب من الجصّ أي الجبس، وهذا يزيد متانة الفخّار وجفافه؛ لأنّ الجبس يمتصّ بقايا الماء الموجودة في مكوّنات الطين، والتي لم تجفَّ بعد، وقد يحتوي قالب الجبس على مجموعةٍ من الأشكال والزّخارف التي تُستخدم في تزيين الفخّار، فتظهر على الطبقة الخارجيّة له، وتضيف الشّكل الجميل إليه.
- التزجيج: التّزجيج هو الخطوة قبل الأخيرة في صناعة الفخّار، وتعتمد على التأكّد من جفافه نهائيّاً؛ استعداداً لاستخدام الألوان، لإضافة الطلاء إليه، وقد يُستخدَم في ذلك لون واحد أو خليط من الألوان، ممّا يزيد القطعة تميُّزاً وجمالاً، ويُستخدَم أسلوب رشّ الطلاء غالباً؛ فهو يضيف بعض الأشكال إلى الفخّار في حال لم تُستخدَم أيّة نقوشٍ أو زخارف على السّطح الخارجيّ للقطعة، أثناء وجودها في قالب الجصّ.
- الحرق هو الخطوة الأخيرة من خطوات صناعة الفخّار، وتُستخدَم فيها أفران الفحم، أو الخشب، أو الكهرباء؛ لتعريض الفخّار لأكبر درجة حرارةٍ مُمكِنةٍ؛ بحيث تساهم في تجفيفه، وتجفيف الطّلاء الموجود عليه ضمن طبقاته الخارجيّة والداخليّة كلّها، وبعد التأكُّد من جفاف الفخّار تماماً، عندها يصبح جاهزاً للاستخدام وفقاً للشّيء الذي صُنِعَ له.

مكونات الفخار: أهم مكونات صنع الفخار ما يلي:

- **الكاولين: ، مادة تتكون بشكل أساسي من سيليكات الألمنيوم الرطب، ولها استخدامات واسعة في الصناعة، ويتمّ تشكيلها بطريقتين؛ جافة ورطبة، وتكون جودة المنتجات في الطريقة الرطبة أعلى؛ هذا وتستخدم الطريقة الجافة في صناعة المطاط، أمّا الطريقة الرطبة فتستخدم في صناعة الورق.**

تاريخ صناعة الفخار:

يتعذر تحديد تاريخ ظهور صناعة الخزف بدقّة, فمنذ أن اكتشف الإنسان خصائص الطين وأدرك أنّ بإمكانه أن يقولبه بيده ويجعله صلباً على النار، بدأت صناعة الخزف وكانت بشكلٍ بدائي , و لبنان غنيّ بهذه المادّة التي تكون سمراء أو صفراوية أو مائلة إلى الرمادي، وتوجد في الساحل و في الجبل.

عاصرت هذه الصناعة تاريخيّاً مجموعةً من المراحل الزمنيّة، ومن أهمّها:

- **مرحلة ما قبل التاريخ: يعود تاريخ صناعة الفخّار إلى العصر الحجريّ الحديث، الذي ظهرت فيه العديد من الصناعات الفخّاريّة، واستخدمها الإنسان في ذلك الوقت في مجال إعداد الطّعام وحفظه، وقد اهتمّ الخزّافون في اليونان القديمة ومنطقة بحر إيجة بصناعة الفخّار ذي اللّون الأحمر، مع التّركيز على استخدام مجموعةٍ من الأشكال والزخارف المتنوّعة، التي ارتبطت بتراث تلك الحِقبة الزمنيّة.**
- **ظهرت عدّة أوانٍ فخّاريّةٍ في العصر البرونزيّ، حيث كانت عبارة عن تماثيلَ لزينة السُّفن والمراكب البحريّة، وفي منتصف هذا العصر ساهم الإغريق في وضع أُسس المدارس الأولى لصناعة الفخّار؛ خاصّةً في المباني والقصور التي شهدت العديد من الأعمال التي استُخدِم الفخّار فيها بشكل رئيسيّ؛ من أجل إضافة ذلك التّصميم الفريد لها.**
- **شهدت صناعة الفخّار تطوُّراً ملحوظاً في عصر الإمبراطوريّة الرومانيّة؛ حيث أُدخِل الزّجاج والرّصاص في صناعته؛ لزيادة صلابة قطعة الفخّار، بالإضافة إلى الشكل**

الجميل واللون المناسب اللّذين يُضفيهما الزّجاج؛ خاصّةً إذا خُلِط مع الطين في الطّبقات الخارجيّة.

- المرحلة الإسلامية شهدت صناعة الفخّار في العهد الإسلاميّ في كلٍّ من: مصر، وبلاد الشام، وبلاد الرّافدين، ومناطق الأناضول منافسةً ملحوظةً مع المناطق الغربيّة والأوروبيّة في صناعته، وتحديداً في الفترة الزمنيّة الواقعة بين القرنين التاسع والثالث عشر للميلاد؛ إذ ظهر تأثير الفنون الإسلاميّة على صناعة الفخّار الذي تميّز بحرفيّةٍ عاليةٍ، وجودةٍ لا تُقارَن مع الفخّار المصنوع في البلاد الأخرى، وانتشرت الأواني الفخّاريّة في العديد من القصور، والمعالم التاريخيّة الإسلاميّة؛ ففي عهد الخلافة الأمويّة انتشرت الزّينة التي تعتمد الفخّار في القصور الدمشقيّة.
- انتشرت الأواني الفخّاريّة بكثرةٍ في عهد الخلافة العباسيّة؛ حيث استُعين في صناعتها بالأنماط الهندسيّة المتنوّعة، ولكن اقتصر استعمالها على الأدوات، والموادّ الخاصّة بالطّعام والماء، وساهم الخزّافون المسلمون في ابتكار العديد من الصناعات الفخّاريّة التي استعانت بها الشعوب الأخرى في أعمال الفخّار، ممّا أدّى إلى انتشارها في معظم أنحاء العالم.
- مرحلة العصر الحديث مرحلة العصر الحديث هي المرحلة التي تمتدّ من القرن الثامن عشر للميلاد إلى الوقت الحاضر، وشهدت صناعة الفخّار فيها تطوّراً ملحوظاً؛

وخصوصاً في قارّة أوروبا، والولايات المتّحدة الأمريكيّة، وكافّة أنحاء العالم عموماً؛ إذ ظهرت العديد من المصانع المتخصّصة في صناعة الفخّار، كما استُخدِمت مجموعة من الأدوات والوسائل التي ساهمت في تطوّر هذه الصّناعة، وزيادة الإنتاج الخاصّ بها في أغلب الدّول.

وعلى الصعيد اللبناني

تشتهر قرية (بيت شباب) الواقعة على بعد 20 كلم من بيروت باستمرار حرفةٍ عرفت ازدهاراً طويلاً فيما مضى إذ لا تزال عائلة من الحرفيين تصنع جراراً بارتفاع متر كانت تستخدم قديماً لحفظ الزيت و الزيتون والخلّ والعرق, وفي جنوب لبنان وعلى مسافة

70 كلم من صيدا تقع بلدة راشيا الفخّار التي نجد فيها أباريق من الفخّار تحمل رسوماً هندسية درج اقتناؤها في المنازل لتبريد المياه.

5-المراكب الخشبية: راجت هذه الصناهة في مدينتي صيدا وصور، وهي تشكل ركن الصناعة البحرية التي تعود الى أكثر من ثلاثة آلاف وخمسماية سنة.

بدأت هذه الحرفة في صيدا بمواصفات فينيقية، حيث كان المركب يتخذ شكلاً مقدمته رأس ورقبة حصان وفي الخلق ذنب حورية بحر. وقد مثلت في الماضي الأساس الاقتصادي للأسر التي تمارس العمل فيها، واليوم تحاول أن تصمد في وجه هجمة التطوّر ، وغياب الراعي لها. ولكن دون جدوى في ظل الإحجام عنها وندرة العاملين فيها وارتفاع اسعار المواد الأولية التي تستخدم فيها...

6-الكندرجي: على مدخل سوق اللحم في النبطية، وفي إحدى زواياه توجد "مستشفى الاحذية" التي يجلس في داخلها "كندرجي" خلف ماكينته، يداوي أمراض الأحذية التي تتمثل بخلع وتغيير كعب حذاء، وتبديل سحاب محفظة وخياطة مزق وتركيب نصف نعل وغيرها من الأعطال الطارئة.

إنخفض عدد الذين يمارسون هذه المهنة في المدينة، بل هذه الحرفة التي تختزل تاريخ النبطية التي كانت مقصد التجار للتبادل التجاري في القرن العشرين. وكان حي السراي معقل العاملين فيها، وانتاجها كان تصدر الى خارج المدينة.

في الوقت الحاضر تحولت هذه الحرفة الى مهنة الفقير الذي يعمل طيلة النهار لتأمين متطلبات حياته الاسرية ... ولكن تدهور الاقتصاد اللبناني وارتفاع اسعار السلع ، دفع الناس للبحث عن قديمهم وإعادة تصليحة، وهذا ما أعاد بعض الروح اليها.

الواقع القانوني للحرف اللبنانية:

تحركت جمعية « نحن» ساعية لإقرار قانون يحمي الحرفيين ويحفظ حقوقهم، وجالت على المسؤولين، وأطلقت حملة واسعة لتسليط الضوء على واقع الحرفيين في لبنان، والحفاظ على الحرف اللبنانية من الإندثار، لا سيما أنها قادرة على لعب دور اقتصادي مهم.

وبداية قامت بوضع تعريف واضح للحرفي وهو: "الشخص الذي يعمل يدوياً لتحويل مادة خام الى منتج نهائي، على ان يكون هذا المنتج مرتبطاً بالإرث الثقافي، ويحمل لمسة إبداعية"، ومن ثم وضعت معايير تُحدد عمله. كما سعت للمطالبة بتغيير نظرة الدولة إليه، وربط العمل الحرفي بوزارة الصناعة لتكون وصية عليه، مع دور أساسي لوزارات الثقافة والسياحة والشؤون الاجتماعية والعمل والاقتصاد والتربية وحتى البلديات. والأهم حماية الحرفيين وإدخالهم في الضمان الاجتماعي، وحماية عملهم من خلال رفع الرسوم الجمركية على البضائع المماثلة، بغية عدم إغراق السوق المحلي بها، للحفاظ على قيمة العمل الحرفي وابعاد المنافسة عن السوق. وتخفيض الضرائب على المواد الأولية المستخدمة .

العمل الحرفي والاقتصاد

الحالة الاقتصادية والمعيشية للحرفي تؤثر في مدى إبداعه وعطائه وإتقانه للعمل. فبعض الحرفيين لا يزال يقوم بالأعمال الموروثة نفسها بأدواتها وموادها وطريقة الصنع وإنتاجها القليل، رغم المردود المادي المحدود. يبررون ذلك بعامل الإعتياد وملء الوقت بعمل منتج ولو كان يسيراً. وهذا مقترن بالمحافظة على الوظيفة والدور الاجتماعي. وبذلك تكون الحرفة هي انتماء ثقافي اجتماعي وليست للكسب وحسب.

و حرف اليوم المتبقية لا تزال بإطارها التقليدي الشعبي كما ورثها الأبناء عن الآباء، ومن ثم عن الأجداد. وهل هناك إبداع وتصنيع أم تركيب وضع على مثال معين؟ وأي تغير حصل كمياً ونوعياً في إطار المادة والأداة وطريقة الصنع؟ هل تغير الحرفي وهل لديه الاستعداد لتقبل الجديد وتحديث حرفته؟ وهل من تغير حصل من داخل الحرفة؟ وهل للعناصر الوافدة أهمية في تطوير وإغناء الحرفة؟

الاجابة على هذه الاسئلة يوضح الواقع الاقتصادي لاصحاب الحرف الصامدة في وجه أعاصير الالغاء... وما يبين ذلك بوضوح هو السوق الذي يعتبر عاملاً مساعداً في استمرار الحرفة ونموها، لأن العلاقة بين السوق والحرفة مهمة. فالحرفي بدأ بإنتاج فردي ليفي بحاجاته الخاصة، ليصبح حرفي القرية وبعدها حرفي المنطقة، وهكذا بدأ الإتساع من الخاص

إلى العام. والأرجح أن لكل مجموعة سكانية حرفيييها، ثم لاحقاً بدأ الإختصاص في بعض القرى، وهذا ما حصل في راشيا الفخار وفي جزين وغيرها...

مع وجود السوق اتسعت دائرة الإستهلاك، ودائرة التبادل، فزاد الإنتاج ثم الخروج عن الدائرة الأولية في الإنتاج، بما يعرف «بالتوصاية» أي الطلب المسبق لإنتاج السلعة إلى مبدأ التراكم وبدون طلب مسبق.

والتكامل الاقتصادي القديم القائم على أسواق موزعة طيلة أيام الأسبوع، تتمم بعضها البعض بشكل تكاملي في سلسلة من مجموعة حلقات. ثم مع تغير الطابع القديم للسوق، تعددت الأسواق بعد أن كانت قليلة العدد. وأصبحت معظم القرى تقيم أسواقها الخاصة. ومع سهولة التواصل بين المناطق والمدن، اتسع هامش الاستبدال. وتم استيراد سلع مثيلة للإنتاج المحلي أو سلع تحل محلها وظيفياً.

الخاتمة

في الغرب يشجعون الحرف ويدعمون العاملين فيها، بينما في لبنان الحرفة باتت في الحضيض،

والعمل الحرفي أصبح مقيداً بثلاثة معوقات أساسية حيث لا تعريف واضحاً لماهيته، ولا معايير له، إضافة الى نظرة الدولة التهميشية له وغياب القوانين التي تشكل إطاره الشرعي . وقد أدى هذا التهميش مع الوقت الى اندثار حرف كثيرة من لبنان وانقراض المهارات التي كانت ترافقها بدل تمريرها الى الأجيال المقبلة.

معاناة الحرفيين تذهب أبعد من التسميات والمعايير فهم في الواقع لا يملكون أي ضمان صحي او اجتماعي كونهم أفراداً لا مصانع، وليسوا قادرين على التصدير بشكل شرعي، لأنهم لا يملكون شهادة منشأ وتُفرض عليهم ضرائب عالية، إذا ما قاموا بتسجيل مؤسساتهم لذا

فإن العديدين منهم يعملون في السر ولا يصرّحون عن أشغالهم. اما الحماية الجمركية فغائبة كلياً في حين أنه في الدول الأخرى تفرض ضرائب باهظة على البضائع الحرفية التي يتم إدخالها الى البلد حين يكون هناك بضائع حرفية شبيهة لها في البلد. والمؤلم في الأمر أن لبنان الذي كان قد خصص معلماً هندسيا رائعاً في منطقة عين المريسة هو « بيت المحترف اللبناني» عاد في زمن الانحطاط وحوّل هذا المعلم الى مطاعم ولم يترك إلا جزءاً يسيراً منه للحرفيين، أما مطار **بيروت** الذي كان يحوي أكثر من 40 محلاً حرفياً فلم يعد فيه اليوم إلا بضعة محلات فيما سوق جبيل القديم باتت معظم بضائعه «التراثية»مستوردة من الخارج.

المراجع

1–ابن منظور (ب، ت): لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد الثامن

2–اعتماد علام: الحرف والصناعات التّقليديّة بين الثبات والتغير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1991

3–رحيل دندش، الصناعات الحرفية والإبداعية: قطاع" غير قانوني " مهدّد الزوال 2021

4–رحيل دندش، الصناعات الحرفية والإبداعية: قطاع" غير قانوني " مهدّد الزوال 2021

5– فريدريك معتوق: الحرفيّون في لبنان واقع وافاق، اللجنة الوطنية اللبنانيّة للتربية والعلم والثقافة (اليونيسكو)، بيروت، 2002

6–قانون العمل اللبنانيّ: المجلّة القضائيّة، قوانين العمل والعمال، دار المنشورات الحقوقية، مطبعة صادر، بيروت، 200

7–www.saidanet.com

الأستاذ محمد قديح

الأديب اللبناني العبقري جبران خليل جبران

يطوي العبقري في خلال عمر واحد أعمار أجيال سبقته، وأجيال رافقته، وأجيال تأتي بعده فيموت ليحيا، ويحيا غيره ليموت... .

ويحيا العبقري في قلوب الأجيال لأنه يعطي آلامها الخرساء ألسنة من نار، ويمد آمالها المقعدة بأجنحة من نور. إذ أن لكل لحم ودم، في كل زمان ومكان، مغاور سحيقة تتزاوج في ظلماتها الملذات فتنسل أوجاعا . وللروح أجواء فسيحة يرودها الفكر والخيال فيضرمان الشوق إلى الإعتناق من الوجع . والعبقري من استطاع أن يسبر الأغوار، ويجوب الأعالي، وأن يعود من هذه وتلك بصورة من الإنسان الأمثل، وهدفه الأسنى... ألا وهو الحياة التي لا تأخذها سنة الموت، ولا تكبلها قيود اللحم والدم، ولا تحصرها حدود الزمان والمكان.

في آخر (دمعة وابتسامة) مقال عنوانه:" صوت الشاعر" يتكلم فيه جبران بلسان الشاعر فيقول في جملة ما يقول: :

(جئت لأقول كلمة وسأقولها، واذا ارجعني الموت قبل أن الفظها يقولها الغد .

فالغد لا يترك سراً مكنوناً في كتاب اللآنهاية).

ويختم بالقول :

(والذي أقوله الآن بلسان واحد ، يقوله الآتي بألسنة عديدة).

الأديب اللبناني العبقري جبران خليل جبران

حوار طويل دار بيني وبين فكر الأديب اللبناني مخائيل نعيمة

قصدت كتبه ومقالاته وتحقيقاته وسألت مؤلفاته عن اديبنا اللبناني جبران خليل جبران

وبدأت بالبحث والتحقيق حيث بدأت المقابلة مع كتبه وكأنني في حضرة الأديب الراحل مخائيل نعيمة وكأنه يقول لي بعد ان ساح سياحات بعيدة في دنيا التأمل والتبحر والخيال وقال لي :

جبران خليل جبران ساح سياحاته بريشته البليغة وقلمه الحساس فرسم الكثير، وألّف الكثير .ولكنه ارتحل عن هذه الفانية وفي ريشته خطوط والوان لم تنسجم في رسوم، وبين شقّي قلمه أنغام وأفكار لم تنتظم في مقاطع . وأغلب الظن أنه لو سُئل قبيل أنبلغت روحه التراقي : (هل قلت كلمتك يا جبران ؟) لأجاب (لفظت منها مقاطع . أما الكلمة الكاملة فما قلتها بعد ذلك لأنه كان يريدها كلمة شاملة كالحقيقة الأزلية التي كان ينشدها بقلبه .

شاسعة كالمدى اللامتناهي الذي كان يحسه بروحه ، رائعة كالجمال الساحر الذي كان يلمحه بخياله . وتلك لعمري هي حرقة العبقرية في كل زمان ومكان . .

وبدأ التحقيق !!....

سؤال : من هو جبران خليل جبران ؟ أين ولد ؟ أين نشأ ؟ وأين توفي ؟

جواب : ولد جبران خليل جبران في بلدة بشري الرابضة على سفح جبل الأرز.

جبران خليل جبران فيلسوف وشاعر وكاتب ورسام لبناني ، ولد في 6 كانون الثاني عام 1883 وتوفي في نيويورك 10 اذار عام 1931 بداء السل، ويعرف أيضاً بخليل جبران وهو من أحفاد يوسف جبران الماروني البشعلاني.

هاجر وهو صغير مع أمه وإخوته إلى أمريكا عام 1895 حيث درس الفن وبدأ مشواره الأدبي. اشتهر عند العالم الغربي بكتابه الذي تم نشره سنة 1923 وهو كتاب النبي.

هو الشاعر الأفضل مبيعًا، بعد شكسبير ولاوزي.

ولد جبران لعائلة مارونية . أمه كاميليا كان عمرها 30 سنة عندما ولدته ، وأبوه خليل هو الزوج الثالث لها كانت عائلة جبران فقيرة، لذلك لم يستطع الذهاب الى المدرسة، بدلاً من ذلك كان قسيس يأتي لجبران إلى المنزل ويعلمه الإنجيل والعربية والسريانية. في 25 حزيران 1895، قررت كاميليا الذهاب مع أخيها لأمريكا وتحديداً نيويورك وأخذت معها كلاً من جبران وماريانا وسلطانة وعمه بطرس.

ثمانية واربعون عاما أولها في بشري لبنان وآخرها في نيويورك من الولايات المتحدة الأمركية تلك هي الفسحة التي أتاحتها الأقدار لجبران خليل جبران ليقول كلمته.

سؤال : هل من مفهوم خاص للدين لدى جبران خليل جبران؟

اختلف الباحثون حول فكر جبران الديني. منهم من اعتبره مسيحيًا بلا منازع ،

ومنهم من وضعه في خطّ الديانات الشرقية .

فأين يقع بين هذين التصنيفين؟

ما هي عقيدته وبأيّ دين بشّر؟

لِمَ هذا الاهتمام الدائم بالفكر الديني الجبراني؟

جواب :

جبران خليل جبران يحتل مكانة مهمة بل أساسية في فكره العام ، وهو بالتالي لا ينفصل عنه ، وتعوّدنا خصوصًا في الشرق على البحث عن هوية مفكّرينا الدينية لإنصافهم أو للحكم عليهم. ونحن نحاول البحث في دين جبران ليس للحكم عليه ، لا لتبرير مواقفه الدينية ، بل لأننا نرى الفكر الديني مسيطرًا في أعماله الفنية والكتابية منذ البدايات حتى بلوغ ذروته، كما أننا نقرأ في حركته الفكرية توجّهًا نحو المعارف الربّانية في النبي ويسوع ابن الإنسان.

في القرن التاسع عشر ، يفصل بين النظرة الدينية والحياة العملية . وكان جدّه لأمّه كاهنًا . السؤال المطروح: هل كان جبران مسيحياً بكل ما للكلمة من معنى ؟ لا بدّ من أن روح المسيح ترسّخت فيه حيث قال مرّة :

المسيح جاء إلى العالم مرارًا وقد مشى في بلاد كثيرة حيث أنه حسب غريبًا بين الناس ومجنونًا.

وفي هذا العالم رافق جبران طوال حياته شعور الغربة بين الناس. وظلّ يتوق إلى الصليب وأنشد ذات يوم:

دقّوا المسامير في كفّي فإن يدي مشلولة ليس يبريها سوى ألمي

في رمل وزبد:

يناديِ جبران يسوع قائلا :

أيها المصلوب إنك مصلوب على قلبي والمسامير التي ثقبت يديك تخترق جدران قلبي . وغدًا عندما يمرّ غريب بهذه الجلجلة لن يظنّ أن دم اثنين نازف هنا ، بل يظنّه دمًا واحدًا فقط.
صورة يسوع المصلوب رافقت جبران في صومعته ويقول عنها:

إن كل شيء يبدو صغيرًا أمامها . هي اللوحة الوحيدة لصلب المسيح التي رأيت فيها يسوع يبارك الجموع بيمينه ولا دم يسيل من أيٍّ من يديه أو رجليه أو جنبه.

لكن مسيح جبران مختلف عن مسيح الكنيسة وعن مسيح المسيحيين . في يسوع ابن الإنسان يبشّر بمسيح بشر مثلي ومثلك كما يقول بهذه الفكرة في مواضع عديدة من كتابه.

ولكن الناصري الشاب لم يكن إلهًا ، ويؤلمني أن أرى أتباعه يسعون أن يعملوا من هذا الحكيم إلهًا.

مسيح جبران إذًا غير مسيح الكنيسة ، فيه صورة مسيح الثيوصوفيين الذين هدموا كنيستهم كمؤسسة وأسقطوا عنها الطقوس . المسيح هنا إنسان تفوّقت طاقته الروحية على طاقتنا بمجاهدات قام بها للارتقاء إلى ذاته الكبرى . إنه درجة روحية . الإنسان الذي مسحه الله بعد جهاده ونضاله . إله أرضيّ بل إنسان تألّه .

ومن المؤكّد أن جبران خرج بذلك على تعاليم الكنيسة فهل يمكن اعتباره بعد مسيحيًا ؟

تعتبر الكنيسة أن العماد باب للخلاص " إن لم يولد الإنسان من الماء والروح ، فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله ويقول جبران في كتابه المجنون:

وفي اليوم الحادي والعشرين لولادتي ، وهو اليوم الذي تعمّدت فيه ، قال الكاهن لأمّي : "إنني أهنّئك يا سيّدتي لأن ابنك وُلِدَ مسيحيًا ." فقلت للكاهن مندهشًا : "إذا كان الأمر كما تقول فأجِر بأمّك التي في السماء أن تكون تعيسة بك لأنّك لم تولد بعد مسيحيًّا.

نستنتج أنّ جبران لا يرى في العمادة شرطًا للمسيحية ولا ضرورة للخلاص وولوج الملكوت ، الأمر الذي يتعارض مع تعاليم الكنيسة ، جسد المسيح السريّ . ويقول في يسوع ابن الإنسان إن المسيح ولد في الناصرة من رجل وامرأة ، بينما يسوع الإنجيل ولد في بيت لحم من عذراء تدعى مريم ؛ يسوع جبران مترفّع عن الألم ، يخجل من أن يقول على الصليب " إلهي ، إلهي، لماذا تركتني ؟" بل يقول : " لماذا تركتنا".

قرأ جبران كتبًا منها زمان الخرافة أو جمالات الميثولوجيا والمنجد الكلاسيكي ، ويُذكر أنه بعدما انتهى من قراءته صرخ " أنا وثنيّ!". تأثّر بأبطال الميثولوجيا وقرّبهم في لاوعيه من الجبّار المصلوب . ويظهر هذا التأثر في بعض كتاباته كرماد الأجيال والنار الخالدة، حيث تظهر شخصيات مثل ناثان ابن الكاهن، وحيرام، والآلهة عشتروت ربّة الحب والجمال . كما تأثر بالأجواء المائلة في الولايات المتحدة إلى الخروج على التقاليد المسيحيّة وأخذت تولّد في نفسه بذوراً من الهندوسية والزرادشتية والبروميتية والأورفية . وأخذ عن ماترلينك فكرة تواحد الشخص مع المطلق . وفيما بعد نلاحظ النزعة الصوفية والحلولية ومبدأ التقمص . وإذا اعتبرنا أن التصوف قائم على الزهد بالدنيا والعشق الإلهي ، والمعرفة الإشراقية أو العرفان ، والفناء بالله ، نتساءل إلى أيّ حدّ كان جبران صوفيًّا ؟

من المؤكّد أنه لم يكن من سالكي الطريق الصوفي الذين يقهرون الجسد ويحقّرونه ويضعونه في مرتبة دون مرتبة الروح الهابطة من لدن الله والمنفصلة عنه . فجبران لا يفصل بين المادة والروح .

قال في رمل وزبد:

فالروح المجنّحة نفسها لا تستطيع أن تتخلّص من الحاجات الطبيعيّة.

عنده النفس ، تلك الشعلة الإلهية ، متحدة بالجسد اتحادًا جوهريًا . إنّهما اسمان لوجود واحد لا ازدواجية فيه فالجسد هو الروح الظاهرة والروح هي الجسد الخفي ". وهذا الأمر جليّ في قصيدة المواكب

لم أجد في الغاب فرقًا بين نفس وجسد

أعطني الناي وغنّ فالغنا جسم وروح

كما أنه ابتعد عن الحياة الزهدية معتبرًا أن المدينة نوع من اليقظة الروحية، وهي درجة من درجات سلّم الصعود نحو الكمال، يجب عدم الابتعاد عنها ورفضها والانعزال هربًا منها و" من

الناس وشرائعهم ". وإذا كان جبران اعتزل الحياة في أحيان كثيرة فذلك " للتأمل ومعرفة أسرار الأرض والدنو من عرش الله"، لكنّه "لم يطلب الوحدة للصلاة والتنسّك ، لأن الصلاة ، وهي أغنية القلب ، تبلغ آذان الله... ولأن الله بنى الأجسام هياكل للأرواح، وعلينا أن نحافظ على هذه الهياكل لتبقى قويّة نظيفة لائقة بالألوهية التي تحلّ فيها"، بل طلبها ليتمكّن في صمتها من بلوغ اليقظة المعنوية والروحية ، وليعرف بحسّه الباطني ما لم يدركه ولن يدركه عن طريق العقل . ففي هذه المعرفة يتفق جبران مع الصوفيين . كما يتفق معهم في الإرتقاء الروحي ، وفي سلامة المعرفة القلبية ، والاستكشاف الباطني ، والإهتمام ببواطن الأشياء والعزوف عن ظواهرها الخارجية العارضة . كما لا تخلو كتاباته من ألفاظ وتعابير صوفية مثل " الشوق "، و" الجوع الروحي "، و" الذات المعنوية"، و" النور الإلهي ".

رأى جبران الله في كل شيء وفي مظاهر الوجود . حين سأل الكاهن المصطفى أن يحدّثهم عن الدين قال في معرفة الله .

وإن شئتم أن تعرفوا ربّكم فلا تعنوا بحلّ الأحاجي والألغاز . بل تأمّلوا ما حولكم تجدوه لاعبًا مع أولادكم . وارفعوا أنظاركم إلى الفضاء تبصروه يمشي في السحاب ، ويبسط ذراعيه في البرق ، وينزل إلى الأرض مع الأمطار . تأمّلوا جيّدًا تروا ربّكم يبتسم بثغور الأزهار ، ثم ينهض ويحرّك يديه بالأشجار.

الله هو الذات الكونية وكلّ إنسان هو جزء من هذه الذات العظمى ، والكون هو التجلّي لها فهو جوهر الله . وليندمج الإنسان في وحدة الوجود هذه عليه التسامي والتحرّر من الشوائب . يتمّ ذلك بالتقمّص أو العودات المتكرّرة إلى هذه الحياة . فالمجنون أتى الحياة سبع مرّات ، ويسوع مرّ بحيوات عدة ،والنبي يعد بأن تلده امرأة ثانية ولادة جديدة فيراه الشعب من جديد . بهذه العودات إلى الوجود وبالتفوّق على الذات من خلال حياة مثالية يتمّ اتصال الذات الصغرى التي تنمو وتتحدّ بالذات الكبرى .

دين جبران هو دين الحب الذي لا يميّز بين مسيحيّ ومسلم ويهوديّ وبراهمانيّ وبوذيّ .إنّه دين الحب الذي يمحو كلّ خوف . دينه هو دين الرحمة . الكونيّ والشموليّ.

ويقول: ولدت مسيحيًّا غير أنني أعلم إذا جرّدنا الأديان مما تعلّق بها من الزوائد المذهبية والاجتماعيّة، وجدنا دينًا واحدًا.

نستنتج أن جبران اغترف من أنساق التفكير ومن المذاهب والتيارات الدينية المختلفة ووظفها بحسب نظرته إلى الدين والإيمان واللهِ .

يبقى السؤال هنا : هل ظلّ جبران مسيحيًا ؟

ربما لم يكن يومًا مسيحيًا بحسب الكنيسة ، ولن تكون! مسيحيته مميزة ، خاصة به . مسيحيّ في قلبه ، في أعماقه ، بالمعنى المسيحي المنفتح على الآخرين ، مسيحيّ في تعلّقه بيسوع وبسرّ صليبه . ولعلّ أجمل ما كتب في المسيح المصلوب نصّ لجبران في العواصف : وأنت أيها الجبّار المصلوب ، الناظر من أعالي الجلجلة إلى مواكب الأجيال ، السامع ضجيج الأمم ، الفاهم أحلام الأبدية ، أنت على خشبة الصليب المضرجة بالدماء أكثر جلالاً ومهابة من ألف ملك على ألف عرش في ألف مملكة . بل أنت بين النزع والموت أشدّ هولاً وبطشًا من ألف قائد في ألف جيش في ألف معركة . أنت بكآبتك أشدّ فرحًا من الربيع بأزهاره ، أنت بأوجاعك أهدأ بالاً من الملائكة بسمائها ، وأنت بين الجلادين أكثر حريّة من نور الشمس . إن إكليل الشوك على رأسك هو أجلّ وأجمل من تاج بهرام ، والمسمار في كفّك أسمى وأفخم من صولجان المشتري ، وقطرات الدماء على قدميك أسنى لمعانًا من قلائد عشتروت . فسامح هؤلاء الضعفاء الذين ينوحون عليك لأنهم لا يدرون كيف ينوحون على نفوسهم ، واغفر لهم لأنهم لا يعلمون أنك صرعت الموت بالموت ووهبت الحياة لمن في القبور...

سؤال :هل باريس مثلت مرحلة جديدة لجبران خليل جبران؟

هل كان حلمه في الشهرة في باريس.؟

هل كان جبران يسعى إلى إقناع الآخرين بأفكاره ونظرياته حول الفن، والطبيعة...،؟

كانت باريس في بدايات القرن العشرين حلم فناني العالم كله. وبعد وصول جبران إليها بوقت قصير، أقام في "مونبارناس"، وسرعان ما انتسب إلى "أكاديمية جوليان"، أكثر الأكاديميات الخاصة شعبية في باريس، التي تخرج منها فنانون كبار، "ماتيس"، و"بونار"، و"ليجيه"... وانتسب كطالب مستمع إلى "كلية الفنون الجميلة". أوقات فراغه، كان جبران يقضيها ماشياً على ضفاف نهر السين، ومتسكعاً ليلاً في أحياء باريس القديمة. بعد أن ترك باريس لاحقاً، قال لصديقه "يوسف حويك" الذي عاش معه سنتين في مدينة النور: "كل مساء، تعود روحي إلى باريس وتتيه بين بيوتها. وكل صباح، أستيقظ وأنا أفكر بتلك الأيام التي أمضيناها بين معابد الفن وعالم الأحلام...".

تردد حينذاك إلى أكاديمية "كولاروسي"، المتخصصة في الرسم على النموذج، والتي كانت تستقبل فنانين أجانب، غير أن جبران كان يفضل العمل وحيداً وبملء الحرية في مرسمه، وزيارة المعارض، والمتاحف، كمتحف اللوفر، الذي كان يمضي ساعات طويلة في قاعاته الفسيحة. وأعطى دروساً في الرسم لبعض الطلبة. وانخرط في مشروع طموح: رسم بورتريهات شخصيات شهيرة، وقد ابتدأها بالنحات الأمريكي "برتليت"، دون أن نعرف بدقة إن كان قد التقى بهؤلاء.

في هذه الأثناء، توفي والده. وكتب إلى "ميري هاسكل" يقول: "فقدت والدي.. مات في البيت القديم، حيث ولد قبل 65 سنة.. كتب لي أصدقاؤه أنه باركني قبل أن يسلم الروح. لا أستطيع إلاّ أن أرى الظلال الحزينة للأيام الماضية عندما كان أبي، وأمي وبطرس وكذلك أختي سلطانة يعيشون ويبتسمون أمام وجه الشمس...".

كان جبران دائم الشك، طموحاً، ومثالياً، متصوراً أنه يستطيع إعادة تكوين العالم، وسعى إلى إقناع الآخرين بأفكاره ونظرياته حول الفن، والطبيعة...، وقلقاً، وكثير التدخين، وقارئاً نهماً، وقد أعاد قراءة "جيد" و"ريلكه" و"تولوستوي" و"نيتشه"، وكتب نصوصاً بالعربية وصفها المحيطون به بأنها "حزينة ووعظية".

سؤال: عند عودته الى بوسطن لماذا رفضت ماري هاسكل رفضت الزواج منه؟

جواب:

عام 1908 غادر جبران إلى باريس لدراسة الفنون وهناك التقى مجدداً بزميله في الدراسة في بيروت يوسف الحويك. ومكث في باريس ما يقارب السنتين ثم عاد إلى أميركا بعد زيارة قصيرة للندن برفقة الكاتب أمين الريحاني.

وصل جبران إلى بوسطن في كانون الأول عام 1910، حيث اقترح على ماري هاسكل الزواج والانتقال إلى نيويورك هرباً من محيط الجالية اللبنانية هناك، والتماسا لمجال فكري وأدبي وفني أرحب. ولكن ماري رفضت الزواج منه بسبب فارق السن، وان كانت قد وعدت بالحفاظ على الصداقة بينهما ورعاية شقيقته مريانا العزباء وغير المثقفة.

وهكذا انتقل جبران إلى نيويورك ولم يغادرها حتى وفاته . وهناك عرف نوعاً من الإستقرار مكّنه من الإنصراف إلى أعماله الأدبية والفنية فقام برسم العديد من اللوحات لكبار المشاهير مثل رودان وساره برنار وغوستاف يانغ وسواهم...

حال وصوله إلى بوسطن في بداية تشرين الثاني، هرع لرؤية أخته "مارينا". ثم مضى للقاء "ميري"، التي أعلمته على الفور . حرصاً منها على إبقاء الفنان تحت رعايتها . بأنها مستعدة للاستمرار في منحه الخمسة وسبعين دولاراً التي كانت تقدمها له إبان إقامته الباريسية. ونصحته باستئجار بيت أوسع لممارسة فنه بحرية. وساعدته في تحسين لغته الإنكليزية. وتعززت صداقتهما. وفي 10 كانون الأول، زارها في بيتها لمناسبة عيد ميلادها السابع والثلاثين، وعرض عليها الزواج. لكنها رفضت بحجة أنها تكبره بعشر سنوات. وكتب لها فيما بعد أنها جرحته بهذا الرفض. وقررت "ميري" أن تتراجع وتقبل. ثم عادت فرفضت مرة أخرى.. ربما بسبب علاقاته مع نساء أخريات، أو لخوفها من الزواج بأجنبي. وسعى جبران بعد ذلك لإغراق خيبة أمله في العمل. وسرعان ما شعر بأن بوسطن مدينة باردة وضيقة وأنها أصغر من طموحاته الفنية، خصوصاً بعد تلك الإقامة في باريس الرحبة والدافئة، عدا الجرح الذي تركته فيه "ميري". وقرر المغادرة إلى نيويورك. حزم حقائبه غير آسف، حاملاً معه مخطوطة "الأجنحة المتكسرة" ونسخة من "هكذا تكلم زرادشت" لنيتشه.

سؤال : قال الشاعر والكاتب الفرنسي "بول كلودل" بعد وصوله إلى نيويورك عام 1838: "…. بالنسبة للغريب الذي يقع هنا، جاهلاً كل شيء ودواعي كل شيء، تكون أيامه الأولى مذهلة..". إلاّ أن جبران فهمها فوراً.

كيف تعامل جبران مع هذه المرحلة؟

جواب :

"نيويورك ليست مكاناً يمكن أن يجد فيه المرء راحة". بدأ إقامته بزيارة متحف "متروبوليتان ميوزم أف آرت"، الذي خرج منه مندهشاً. تعرف إلى الجالية اللبنانية، وبعض مشاهير نيويورك. في هذه الأثناء، جاءت "ميري" إلى نيويورك ووجدته يرسم لوحة "إيزيس". زارا بعض المتاحف والأوابد. وبعد حين، عادا معاً إلى بوسطن، حيث تهيأت الصديقة لقضاء عطلة في غرب البلاد. وعرضت حينذاك على جبران مبلغ خمسة آلاف دولار دفعة واحدة بدلاً من المبالغ الصغيرة المتقطعة. قبل بالعرض وألح بأن يوصي لها بكل ما يملك، عرفاناً بجميلها. وكتب وصية أدهشت أصدقاءه. أوصى بكل لوحاته ورسومه إلى "ميري" أو، إن كانت متوفاة، إلى "فرد هولاند داي"؛ وبمخطوطاته الأدبية إلى أخته؛ وبكتبه في لبنان إلى مكتبة بشري… .

في 18 تشرين الأول عاد جبران إلى نيويورك وأقام في مبنى "تنث ستريت ستوديو" المخصص للفنانين. في هذه السنة نشر روايته "الأجنحة المتكسرة"، أكثر أعماله رومانسية، والتي أنبأت بأسلوبه وفكره المستقبليين.

في 15 نيسان 1912، هزت العالم حادثة غرق الـ "تيتانيك"، التي كان على متنها مئات الأشخاص، بينهم 85 لبنانياً، غرق 52 منهم. كانت الكارثة صدمة بالنسبة لجبران، الذي عز عليه النوم تلك الليلة. في اليوم نفسه، التقى بعبد البهاء، ابن بهاء الله مؤسس حركة البهائية الروحية في إيران، ودعاه لإلقاء خطاب أمام أعضاء "الحلقة الذهبية" حول وحدة الأديان.

في بداية الخريف، التقى جبران بالكاتب والروائي الفرنسي "بيير لوتي"، الذي جاء إلى نيويورك لحضور عرض مسرحية "بنت السماء" التي ألفها مع ابنة الأديب والشاعر الفرنسي

"تيوفيل غوتيه". وقد عبر له "لوتي" عن قرفه من صخب أمريكا وقدم له نصيحة: "أنقذ روحك وعد إلى الشرق؛ مكانك ليس هنا!".

كيف يمكننا تصور جبران في هذه الفترة من حياته؟ كانت له ملامح أهل قريته: وجه ملوّح بالسمرة، وأنف بارز، وشارب أسود وكثيف، وحاجبان مقوسن كثان، وشعر معقوص قليلاً، وشفتان ممتلئتان؛ وجبين عريض مهيب مثل قبة، وعينان يقظتان تنمان عن ذكاء هذا الشخص قصير القامة ذي الابتسامة المشرقة الموحية ببراءة الأطفال؛ "مكهرِب، ومتحرك كاللهب" هي أقرب إلى الحزن؛ محب للانعزال ("الوحدة عاصفة صمت تقتلع كل أغصاننا الميتة")، ويجد لذة في العمل؛ أنوف، وبالغ الحساسية، ولا يتسامح مع أي نقد؛ مستقل وثائر بطبيعته، يأبى الظلم بأي شكل.

كان يدخن كثيراً: "اليوم . كتب إلى ميري .، دخّنت أكثر من عشرين سيجارة. التدخين بالنسبة لي هو متعة وليس عادة مستبدة...". كي يبقى متنبهاً ويستمر في عمله، وليلاً، كان يتناول القهوة القوية ويأخذ حماماً بارداً. إلا أن أسلوب الحياة إياه بدأ ينهك جسمه ويضفي عليه ملامح الكبر

في العام 1913، التقى بعدد من مشاهير عالم الفن النيويوركيين، مثل الشاعر "ويتر بوينر". وفي شباط، تخلى لـ "ميري" عن مجموعة من لوحاته وفاء للدين، متمنياً أن يتخلص من هذا الوضع الذي كان يضايقه. وعاد إلى إكمال مجموعة بورتريهاته، مخصصاً إحداها للمخترع الأمريكي "توماس إديسون" وأخرى لعالم النفس السويسري "كارل غوستاف يونغ" اللذين قبلا الجلوس ليرسمهما جبران. والتقى بالفيلسوف الفرنسي "هنري برجسون" الذي وعده بأن يسمح له برسمه في باريس، معتذراً آنئذ بسبب الإنهاك من السفر، وبالممثلة الفرنسية "ساره برنهاردت".

في نيسان 1913، ظهرت في نيويورك مجلة "الفنون"، التي أسسها الشاعر المهجري الحمصي "نسيب عريضة". ونشر فيها جبران مقالات متنوعة جداً وقصائد نثرية. ووقع فيها على دراسات أدبية كرسها لاثنين من كبار الصوفيين، الغزالي وابن الفارض، اللذين تأثر بأفكارهما.

الأديبة مي

"مي" هو الاسم الذي اختارته تلك المرأة القلقة، التي تبدو، كالبحر، تارة هادئة وشفافة، وأخرى ثائرة. ولدت عام 1886، من أب لبناني وأم فلسطينية. رحلت أسرتها عام 1908 إلى القاهرة. أتقنت لغات عدة، وأظهرت مواهب استثنائية في النقد والأدب والصحافة. حولت دارتها في القاهرة إلى صالون أدبي، وراحت تستقبل فيها كبار الأدباء والمثقفين، كـ "طه حسين" و"عباس محمود العقاد" و"يعقوب صروف". اكتشفت جبران عام 1912، عبر مقالته "يوم مولدي" التي ظهرت في الصحافة. وأسرها أسلوبه. وقرأت "الأجنحة المتكسرة" وأعجبت بآرائه حول المرأة فيه. تراسلا، وتبادلا في رسائلهما الإطراء وتحدثا عن الأدب. روى لها همومه اليومية، وطفولته وأحلامه وأعماله. وانعقدت بينهما علاقة ألفة وحب. وطلب منها عام 1913 تمثيله وقراءة كلمته في حفل تكريم شاعر القطرين "خليل مطران". كانت "مي" حساسة جداً وحالمة. ولما انقطعت رسائل جبران عقب قيام الحرب العالمية الأولى، تعلقت بذكرى مراسلها البعيد ورفضت كل الطامحين إلى الزواج منها. وتمنت في مقالة لها أن تكون بقرب ذلك الوجه الذي يمنع البعاد رؤيته.

لم يلتقيا قط، غير أن الكاتبين شعرا أنهما قريبان أحدهما من الآخر، وأحس أن "خيوطاً خفيفة" تربط بين فكرهما وأن روح "مي" ترافقه أينما اتجه.

في عام 1921، أرسلت له صورتها، فأعاد رسمها بالفحم. واكتشف بسعادة أنها امرأة مليئة الوجه، ذات شعر بني قصير، وعينين لوزيتي الشكل يعلوهما حاجبان كثان، وشفتين ممتلئتين. وجد في نظرتها البراقة شيئاً معبراً يجتذبه، وفي ملامحها بعضاً من الذكورة، صرامةً كامنة تضفي عليها مزيداً من الجاذبية: "مي" تجسد الأنوثة الشرقية. كان في هذه المرأة كل ما يعجبه، غير أنها بعيدة جداً. ولم يكن يشعر أنه مهيأ بعد لترك أمريكا فيتخلى عن حريته. هذا الحب الروحي، الفكري، أعجبه. ولكن هل فكر بمجرد ما لكماته من وقع على قلب مراسلته؟.

في عام 1923، كتب لها يقول دون كلفة: "أنت تعيشين فيّ وأنا أعيش فيك، تعرفين ذلك وأعرفه". كانت "مي"، كلما بدت عبارات مراسلها أكثر جرأة أو شابها بعض سخرية من تعبير

اختارته دون قصد منها، تلجأ إلى "مقاطعته" وتلوذ بصمت يستمر أشهراً أحياناً. مشاعرها الحقيقية كانت تبوح بها في مقالاتها. وإن كانت قد خصت أعماله بمقالات نقدية مدحية، فقد نهرته في أخرى. وفي مقالة بعنوان "أنت، الغريب"، عبرت عن كل هواها نحو "ذاك الذي لا يعرف أنها تحبه" و"الذي تبحث عن صوته بين كل الأصوات التي تسمعها".

في رسالة له عام 1924، عبرت له "مي" عن خوفها من الحب. ورد عليها جبران: ".. هل تخافين ضوء الشمس؟ هل تخشين مد البحر وجزره؟...". فاجأه موقفها. وبدا أنه اختار التراجع لإنقاذ حريته أو وقته، مفضلاً عدم الإنطلاق في علاقة قد تتطلب منه ومنها تضحيات كبيرة. أدركت "مي" حينذاك، بمرارة، سوء التفاهم بين رغبتها وفكرة جبران عن علاقتهما. وأسفت أنها كانت على هذا القدر من الصراحة والمباشرة. وصمتت ثمانية أشهر، رآها جبران "طويلة كأنها أزل".

رغم كل شيء، استمرت مراسلاتهما، متباعدة، حتى وفاة جبران، لتبقى واحدة من الأخصب والأجمل في الأدب العربي.

سؤال :أثناء الحرب الكبرى قال جبران: "لست سياسياً، ولا أريد أن أكون كذلك".

ماهو الدافع لهذا القول ؟ وهل كان لديه الحس بالمسؤولية ونداء الواجب ؟

جواب:

أقلقت الحرب جبران رغم بعده عن ساحات المعارك بآلاف الكيلومترات. وجعله الوضع في لبنان مضطرباً: استولت السلطات العثمانية على كل موارد البلد، وصادرت الماشية، وانتشرت المجاعة، وقمع المعارضون وعلق جمال باشا السفاح مشانق الوطنيين اللبنانيين والعرب في الساحات العامة. وشعر بالذنب لبعده عن "أولئك الذين يموتون بصمت". ولم يتردد في قبول منصب أمين سر لجنة مساعدة المنكوبين في سوريا وجبل لبنان. وساهم بمشاركة الجالية السورية - اللبنانية في بوسطن ونيويورك في إرسال باخرة مساعدات غذائية إلى مواطنيه.

دفع هذا النشاط بعض الكتاب لأن يجعلوا من جبران أيديولوجياً وصاحب نظرية سياسية، غير أنه لم يكن من ذلك في شيء. وقد رد على من حضه للقيام بدور الزعيم السياسي بالقول:

"لست سياسياً، ولا أريد أن أكون كذلك". كان دافعه هو حس المسؤولية وتلبية نداء الواجب. كان همه إنسانياً، تحرير الوضع البشري من كل عبودية.

أبطأ هذا النشاط الإنساني والأخبار المأساوية التي توافدت عليه من أوروبا والمشرق نتاجه الأدبي. صحيح أنه نشر عام 1914 مجموعته "دمعة وابتسامة"، غير أنها لم تكن سوى جمع لمقالات بالعربية (56 مقالة) نشرت في "المهاجر"، وكان هو نفسه قد تردد في نشرها. كانت ذات نفحة إنسانية وضمت تأملات حول الحياة، والمحبة، والوضع في لبنان وسورية، وقد اتخذت شكل القصيدة المنثورة، الأسلوب غير المعروف في الأدب العربي، وقد كان رائده. في هذه الفترة تقريباً، شعر بالحاجة للكتابة بالإنكليزية، هذه اللغة التي يمكن أن تفتح له الكثير من الأبواب وتمكنه من ملامسة الجمهور الأمريكي. قرأ "شكسبير" مرة أخرى، وأعاد قراءة الكتاب المقدس مرات عدة بنسخة "كينغ جيمس".. . كانت إنكليزيته محدودة جداً، غير أنه عمل طويلاً وبجد حتى أتقن لغة شكسبير ولكن دون أن يتخلى عن لغته الأم.

من أين يبدأ؟ كان أمامه مشروع "النبي"، الذي نما معه منذ الطفولة. سار العمل بطيئاً جداً. أراد أخيراً أن يجد موضوعاً يستقطب أفكاره ولغته الثانية. وفكر جبران: ما الذي يمكن، مع الإفلات من العقاب، أن يكشف حماقة الناس وجبنهم وينتزعه حُجُب المجتمع وأقنعته؟. المجنون. أغرته الفكرة. لم ينس "قزحيّا" في الوادي المقدس وتلك المغارة التي كانوا يقيّدون فيها المجانين لإعادتهم إلى صوابهم، كما كانوا يعتقدون. في "يوحنا المجنون"، كان قد كتب يقول:" إن المجنون هو من يجرؤ على قول الحقيقة"، ذاك الذي يتخلى عن التقاليد البالية والذي "يصلب" لأنه يطمح إلى التغيير. برأيه، "أن الجنون هو الخطوة الأولى نحو انعدام الأنانية... هدف الحياة هو تقريبنا من أسرارها، والجنون هو الوسيلة الوحيدة لذلك". وهكذا، عنوان كتابه القادم: The Madman . وبقي أن يكتبه.

في خريف 1916، التقى مرة أخرى بمخائيل نعيمة، الذي ألف فيه كتاباً، جبران خليل جبران". كان "نعيمة" يدرس في روسيا قبل أن يتوجه إلى الولايات المتحدة، حيث درس أيضاً القانون والآداب. كتب كلاهما في "الفنون"، وكلاهما آمن بالتقمص، وناضل كلاهما من أجل

تحرير بلدهما عبر لجنة المتطوعين، جبران كمسؤول عن المراسلات بالإنكليزية ونعيمة كمسؤول عن المراسلات بالعربية.

في كانون الأول 1916، التقى أخيراً بـ "رابندراناته طاغور"، الشاعر الهندي الشهير، المتوج بجائزة نوبل في الآداب لعام 1913. وكتب إلى "ميري" في وصفه قائلاً: "حسن المنظر وجميل المعشر. لكن صوته مخيِّب: يفتقر إلى القوة ولا يتوافق مع إلقاء قصائده...". بعد هذا اللقاء، لم يتردد صحفي نيويوركي في عقد مقارنة بين الرجلين: كلاهما يستخدمان الأمثال في كتاباته ويتقنان الإنكليزية واللغة الأم. وكل منهما فنان في مجالات أخرى غير الشعر".

مع اقتراب الحرب من نهايتها، أكبّ جبران أكثر على الكتابة. ألف مقاطع جديدة من "النبي"، وأنهى كتابه "المجنون"، الذي اشتمل على أربعة وثلاثين مثلاً (قصة قصيرة رمزية) وقصيدة. أرسلها إلى عدة ناشرين، لكنهم رفضوها جميعاً بحجة أن هذا الجنس الأدبي "لا يباع". لكنه وجد ناشراً أخيراً، وظهر العمل عام 1918 مزيناً بثلاثة رسوم للمؤلف. وكان جبران قد كتب بعض نصوصه بالعربية أصلاً، ثم ترجمها إلى الإنكليزية. ويروي فيه حكاية شخص حساس ولكن "مختلف"، يبدأ بإخبارنا كيف أصبح مجنوناً. "... في قديم الأيام قبل ميلاد كثيرين من الآلهة نهضت من نوم عميق فوجدت أن جميع براقعي قد سرقت... فركضت سافر الوجه في الشوارع المزدحمة صارخاً بالناس: "اللصوص! اللصوص! اللصوص الملاعين!" فضحك الرجال والنساء مني وهرب بعضهم إلى بيوتهم خائفين مذعورين... هكذا صرت مجنوناً، ولكني قد وجدت بجنوني هذا الحرية والنجاة معاً...". تميز أسلوب جبران في "المجنون" بالبساطة واللهجة الساخرة والمرارة، وشكل هذا العمل منعطفاً في أعمال الكاتب، ليس فقط لأنه أول كتاب له بالإنكليزية، بل لما فيه من تأمل وسمو روحي. وأرسل نسخة منه إلى "مي زيادة"، التي وجدته سوداوياً ومؤلماً. وأرسل نسخة أخرى إلى "جيرترود باري"، حبيبته الخبيئة. ربما أخفى جبران هذه العلاقة كي لا يجرح "ميري" ومن أجل أن لا تمس هذه العلاقة اللاأفلاطونية صورته الروحية. كان لجبران علاقات غير محددة، أفلاطونية وجسدية: "جيرترود شتيرن" التي التقاها عام 1930 واعتبرت نفسها حبه الأخير، و"ماري خواجي" و"ماري خوريط، و"هيلينا غوستين" التي أكدت، كما فعلت "شارلوت" و"ميشلين" بأن جبران

"زير نساء"، وقد روت، مازحةً ومداعبة، أنه طلب منها ذات مرة أن تشتري له مظلة ليقدمها إلى شقيقته "ماريانا"، لكنها اكتشفت بعد حين أنه قد أهداها لامرأة أخرى. هذه المغامرات عاشها جبران سراً, إما حفاظاً على سمعة تلك العشيقات أو خوفاً من تشويه الصورة التي كان يريد أن يعطيها حول نفسه: صورة الناسك، صورة الكائن العلوي، عاشق الروح وليس الجسد.

في تشرين الثاني 1918، أعلن الهدنة أخيراً. وكتب جبران إلى "ميري" يقول: "هذا أقدس يوم منذ ميلاد اليسوع!".

في أيار 1919، نشر جبران كتابه السادس بالعربية، "المواكب". كان قصيدة طويلة من مائتين وثلاثة أبيات فيها دعوة للتأمل، كتبها على شكل حوار فلسفي بصوتين: يسخر أحدهما من القيم المصطنعة للحضارة؛ ويغني الآخر، الأكثر تفاؤلاً، أنشودةً للطبيعة ووحدة الوجود. وقد تميز الكتاب بتعابيره البسيطة والصافية والتلقائية.

منتدى الشعراء المنفيين

في ليلة 20 نيسان 1920، رأى الكتاب السوريون واللبنانيون في اجتماع لهم في نيويورك أنه يجب التصرف من أجل "إخراج الأدب العربي من الموحل، أي الركود والتقليد الذي غاص فيهما". يجب حقنه بدم جديد. وقرر المشاركون تأسيس تنظيم يتمحور حول الحداثة ويكرس لجمع الكتاب وتوحيد جهودهم لخدمة الأدب العربي. وجد جبران الفكرة ممتازة ودعا الأعضاء للاجتماع عنده بعد أسبوع لاحق.

اجتمعوا في 28 التالي وحددوا أهداف التنظيم الذي أسموه "الرابطة القلمية"، التي ضمت جبران، و"إيليا أبو ماضي" و"ميخائيل نعيمة" و"عبد المسيح حداد" صاحب مجلة "السايح" وآخرين، في نشر أعمال أعضائها وأعمال الكتاب العربي الآخرين وتشجيع تعريب أعمال الأدب العالمي، فضلاً عن أهداف أخرى. انتخب جبران رئيساً، وميخائيل نعيمة أميناً للسر.

بقيت الرابطة تجتمع دورياً تقريباً حتى وفاة جبران. نشر الأعضاء مقالات في مجلة "السايح" وكرسوا عدداً في العام للمختارات. وأضحت الرابطة بأفكارها المتمردة رمزاً لنهضة الأدب العربي... رأى جبران أنه لن يكون للغته العربية مستقبل إذا لم تتحرر من القوالب القديمة

ومن "عبودية الجمل الأدبية السطحية"، وإذا لم تتمكن من إرساء حوار حقيقي مع الغرب وتتمثل تأثير الحضارة الأوروبية دون أن تجعلها تهيمن عليها.

في آب 1920، أصدرت منشورات الهلال القاهرية مجموعة تضم 31 مقالة لجبران كانت قد ظهرت في صحف مختلفة ناطقة بالعربية. حملت "العواصف" على عيوب الشرقيين . تعلقهم بالماضي بالتقاليد القديمة .، رافضة حالة خنوع المضطهدين وضعفهم، داعيةً إياهم إلى الطموح والرفعة.

بعد أسابيع لاحقة، نشر جبران كتابه الثاني بالإنكليزية، "السابق"، الذي زينه بخمسة من رسومه. وقد جاء على شكل أمثال وحكايات صغيرة مفعمة بالحكمة والتصوف، وكان بمثابة تهيئة لكتاب جبران الأهم، "النبي".

سنة 1923 نشر كتاب جبران باللغة الإنكليزية، وطبع ست مرات قبل نهاية ذلك العام ثم ترجم فورا إلى عدد من اللغات الأجنبية، ويحظى إلى اليوم بشهرة قل نظيرها بين الكتب.

في هذه الأثناء، حينما كان يعمل بمثابرة على مخطوطة "النبي"، ساءت صحته، ولم يداوها الفرار إلى الطبيعة برفقة الأصدقاء. آثر البقاء في بوسطن قرب شقيقته "ماريانا"، ولم يعد يطمح إلا إلى إنهاء مخطوطته والعودة إلى مسقط رأسه، غير أن أمنية العودة اصطدمت بمشكلة كبيرة: ملاحقة دائني والده القضائية لاسترجاع ديونهم ممن تبقى من أفراد الأسرة، جبران وماريانا.

رائعة جبران الكبيرة .. النبي

سنة 1923 ظهرت إحدى روائع جبران وهي رائعة (النبي) ففي عام 1996، بيعت من هذا الكتاب الرائع، في الولايات المتحدة وحدها، تسعة ملايين نسخة. وما فتئ هذا العمل، الذي ترجم إلى أكثر من أربعين لغة، يأخذ بمجامع قلوب شريحة واسعة جداً من الناس. وفي الستينيات، كانت الحركات الطلابية والهيبية قد تبنت هذا المؤلف الذي يعلن بلا مواربة: "أولادكم ليسوا أولاداً لكم، إنهم أبناء وبنات الحياة المشتاقة إلى نفسها...". وفي خطبة شهرية له، كرر "جون فيتزجرالد كندي" سؤال جبران: "هل أنت سياسي يسال نفسه ماذا يمكن

أن يفعله بلده له أم أنك ذاك السياسي الهمام والمتحمس الذي يسأل نفسه ماذا يمكن أن يفعله من أجل بلده؟".

حمل جبران بذور هذا الكتاب في كيانه منذ طفولته. وكان قد غير عنوانه أربع مرات قبل أن يبدأ بكتابته. وفي تشرين الثاني 1918، كتب إلى "مي زيادة" يقول "هذا الكتاب فكرت بكتابته منذ ألف عام..". ومن عام 1919 إلى عام 1923، كرس جبران جل وقته لهذا العمل، الذي اعتبره حياته و"ولادته الثانية". وساعدته "ميري" في التصحيحات، إلى أن وجد عام 1923 أن عمله قد اكتمل، فدفعه إلى النشر، ليظهر في أيلول نفس العام.

"النبي" كتاب شبيه بالكتاب المقدس وبالأناجيل من حيث أسلوبه وبنيته ونغمية جمله، وهو غني بالصور التلميحية، والأمثال، والجمل الاستفهامية الحاضة على تأكيد الفكرة نفسها، "من يستطيع أن يفصل إيمانه عن أعماله، وعقيدته عن مهنته؟"، "أو ليس الخوف من الحاجة هو الحاجة بعينها؟".

أمكن أيضاً إيجاد تشابه بين "النبي" و"هكذا تكلم زرادشت" لنيتشه. من المؤكد أن جبران قرأ كتاب المفكر الألماني، وثمّنه. اختار كلاهما حكيماً ليكون لسان حاله. الموضوعات التي تطرقا إليها في كتابيهما متشابهة أحياناً: الزواج، والأبناء، والصداقة، والحرية، والموت... . كما نعثر على بعض الصور نفسها في العملين، كالقوس والسهم، والتائه.... . مع ذلك، ففي حين تتسم الكتابة النيتشوية برمزية شديدة وفصاحة تفخيمية، تمتاز كتابة "النبي" بالبساطة والجلاء وبنفحة شرقية لا يداخلها ضعف. ونيتشه أقرب بكثير إلى التحليل الفلسفي من جبران، الذي يؤثر قول الأشياء ببساطة.

"النبي" هو كتاب في التفاؤل والأمل. وبطريقة شاعرية، وأسلوب سلس، يقدم لنا جبران فيه برسالة روحية تدعونا إلى تفتح الذات و"إلى ظمأ أعمق للحياة".

بقي جبران على علاقة وطيدة مع ماري هاسكال، فيما كان يراسل أيضا الأديبة مي زيادة التي أرسلت له عام 1912 رسالة معربة عن إعجابها بكتابه " الأجنحة المتكسرة". وقد دامت مراسلتهما حتى وفاته رغم انهما لم يلتقيا أبدا.

رحيل جبران إلى الآخرة

كانت صحة جبران قد بدأت تزداد سوءاً. وفي 9 نيسان، وجدته البوابة يحتضر فتوفي جبران في 10 نيسان 1931 في إحدى مستشفيات نيويورك وهو في الثامنة والأربعين بعد أصابته بمرض السرطان فنقل بعد ثلاثة أيام إلى مثواه الأخير في مقبرة "مونت بنيديكت"، إلى جوار أمه وشقيقته وأخيه غير الشقيق. ونظمت فوراً مآتم في نيويورك وبيونس آيرس وساوباولو حيث توجد جاليات لبنانية هامة. وبعد موافقة شقيقته "ماريانا"، تقرر نقل جثمان جبران في 23 تموز إلى مسقط رأسه في لبنان. واستقبلته في بيروت جموع كبيرة من الناس يتقدمها وفد رسمي. وبعد احتفال قصير حضره رئيس الدولة، نقل إلى بشري، التي ووري فيها الثرى على أصوات أجراس الكنائس. وإلى جوار قبره، نقشت هذه العبارة: "كلمة أريد رؤيتها مكتوبة على قبري: أنا حي مثلكم وأنا الآن إلى جانبكم. أغمضوا عيونكم، انظروا حولكم، وستروني....".

عملت شقيقته على مفاوضة الراهبات الكرمليات واشترتا منهما دير مار سركيس الذي نقل إليه جثمان جبران، وما يزال إلى الآن متحفا ومقصدا للزائرين.

وفضلاً عن الأوابد التي كرست للفنان في وطنه الأم (متحف جبران، وساحة جبران التي دشنت في وسط بيروت عام 2000)، هنالك مواقع، وتماثيل، ولوحات تذكارية تكرم ذكراه: في الولايات المتحدة نصبان تذكاريان لجبران، أحدهما في بوسطن، والآخر في واشنطن. ويضم عدداً من أشهر المتاحف الأمريكية العديد من لوحات جبران. وكانت الجالية اللبنانية في البرازيل قد دشنت أيضاً مركزاً ثقافياً سمي "جبران".

سؤال : هل مات جبران خليل جبران ؟

جواب: وإذا ماتت دمعة وابتسامة وأخواتها فلا تموت كلمات جبران .

وإنني لأراها تنبعث يوما بعد يوم من مراقدها لأننا نجد في تأليفه ما يعزينا في محنتنا ، وما يدفعنا الى العمل بنصائحه لنصيب الأهداف التي تنصبها الأحوال الراهنة أمام أعيننا .

فزعيم أدب المهجر شخصية لها مميزاتها القوية وعناصرها المتمردة فهو شرقي عربي ، لم يكتب ليمغرب الشرق بل كتب ليمشرق الغرب ويكون له رسولا .....

والشخص الفذ هو الذي يحتفظ بلونه لأنه في غنى عن الألوان التي يكسبها من محيط غريب .

إن النوابغ يفرضون أنفسهم على الناس ....

المراجع

1-المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران المعربه- مكتبة صادر

2- - المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية - قدم لها واشرف على تنسيقها مخائيل نعيمة

3- سبعون مخائيل نعيمة

4-رسائل مي زياده وجبران خليل جبران

5-جميل جبر ، مجلة بوابة الأدب الإلكترونية

6-أمين الريحاني، موسوعة جبران هليل جبران الكاملة

الدكتور محمد علي الشامي

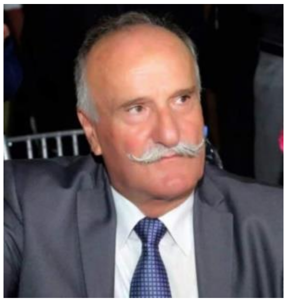

حالة لا تطاق

في هذه الدنيــــــا اللئيمـــة نكتوي نار الغـــلاء

ونضيع في موج عظيم مـــا بدا فيـــــه انتهـــــاء

والطفل يصرخ طالبـــــاً ، من أمه لبن الشفــــــاء

لكن يغيب الصوت مخنوقاً ، شريـــداً في الضجيج .

*

دنيــــاي هـــذي نكبـــة ، ملأى بذل الإكتئـــــاب

إنسانهـــا يحيا خسيســاً كالذي يحيـــا بغــــاب

قَتـــلٌ وتهجيرٌ ونهبٌ حَكّمــوا فينـــــا الذئـــاب

أين المبادي الساميات النافحـــــات شـذا الأريـج

*

فإذا قصدتَ خميلة ، كي تبتغي فيهـــا الرقـــــاد

بَرَزَتْ إليـــك ثعـــالـــبٌ زوراً تُنـــادي بالجهـــــاد

فتصك سمعــك بالهراء ، وتصيب جفنك بالسهـــاد

يا للنوايـــا العـاهرات تطلّ في ثـــوب الحجيج ...!!!

•

أمـــــــا المعـــاهد ، أصبحت بـؤراً تعـج بألـــف شـــرّ

تَغْدو تـلاميذٌ بهــــــــــا ، ما فيهـمُ شخْصٌ أبــــرْ

عِلـــمْ هَزيِـــــــلٌ باهِتٌ فيه غـــدا عيشي أمّـــر

أين العلـــوم الزاهـــرات يَفضْن من عَقْل بهيج ؟.!

*

وإذا دخَلْتَ ادارة ، تَبْدو لحاكمهــــــا دخيـــل !

يزهو كعنترة شموخـــــــاً ، أنتَ تغضي كالذليـــل

وإذا رفضت ضريبةً ، أوْ رشــــوةً ، انت البخيـــلْ

يرنو إليك بطـــرفه ، وكأنّـــه عيسى المسيـــح !!

•

أمَّا إذا رُمْتَ العلاجَ ، لدى أهـــلْ السياســــــــة

فالمطْلبُ الحَقُّ ، يَغني ، عندهـــم ضدّ الكـيـــاسة

زرعوا بدنياك الوعود ، وعينهم صوْبَ الـرئاســـــة

فإذا أصابـوا المبتغى ، تركـــوكَ تنزف كالجريـح

•

هـــذي الشعاراتُ التي ، مـلأوا الدُنْيـــــا نِداء

ما مِنْ نبيٍ صاغَها ، ما أنزلَتْ فيها سَمـــــــــاء

كلٌ يغار على الأوطان ، كذباً ، يبتغي منه اعتلاء

والشعب غافٍ خانعٌ ، وإذا صحا فْهو الكسيــح !!

أما العلاج فـــــلا يُرى ، من حاكــــمٍ أوْ سائس

صبّوا عليـك وعودهـــم ، من طامــــحٍ مسترئس

ومطالب الفقراء أوْلـــى ، عندهم في المجـــلس

كــــــذب وتـدلـيس ، وتزويــــر قبيــــح !!

•

هـــذي الشعارات التي ، قد غلّفوهـــا بالبريق

صكـــّوا بها أسماعنا ، سدّوا بهــا عرض الطريق

الشّعب يَطْـلب نَجْـدةً : فهُمُ لإنقـــاذ الغريـــق

هـــم يبتغون صلاحه ، فالشعب عندهـــمُ شقيق

لـــن يَقْبَلوا بهَوانِه ، فَهـــوَ بالعزّ خليق

حتى إذا دار الزمان وحققوا الحلْـــم الرقيق

غـــــاب الذين انْتَخَبوا ، لم يعرفوا منهم صديق

غابوا جمياً عندهم ما واحد منهم صديق

تباً لشعب صامت، تباً لمسؤول صفيق

الكاتبة لين هاجر الأشعل (تونس)

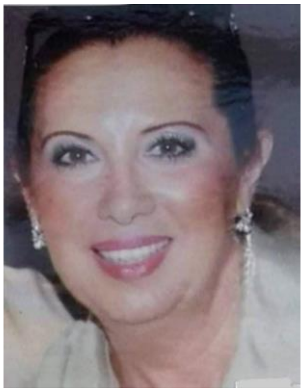

إعاقة فكرية

كم جال بخاطرِ منير الشّامخ أيّام كان مراهقا، ذاك السؤال الملحّ:

– ما الذي حصل لساقي اليسرى حتى تكونَ مختلفة..؟ حتى لا يسعفَني الحظّ للّعب والركض كباقي الأطفال؟...ولا للتّفسّح مع حبيبة رقّ قلبي لها كباقي الشبان..؟

غير أنه تجاوز بثبات هذا النقص و تغلّب على نظرات الناس "المحملقة"... المستغربة... أو الساخِرة !

أصبح الصبيُّ الصامت الذي لا يتخلف عن الدرس ولا يلهو كثيرا مع أترابه، دكتورا محاضرا و لامِعا في مجال الطب النفسي، يعمل في عيادة بمستشفى خاص.

ذات مساء، ذهب دكتور منير إلى عيادته الخاصة وكانت تنتظره مفاجأة: شابّة في ريعان العمر متأنقة، جذّابة حضرت إلى عيادته !

اقترب منها في تعجب مصحوب بنُفور...

– نهى!!! ما الذي جاء بك إلى هذا المكان!؟

قبل حتى أن تطلق السلام، مالت ابتسامتها إلى شحوب مسح وجهها ونطقت وهي تتقدّم نحوه في استعجال وارتباك:

– سببُ قدومي هو التوبيخ الدّاخلي الذي اعتراني و النّدمُ الذي أشقاني !...

كانت تخطو نحوه غير أنه صدّها بحركة من يده التي حملها الى رأسه واضعا إيّاها على عينيه و كأنه يتفادى رؤيتها فصورتها تعني له حادثة مازال فؤاده يتفطّر لها...

يومها غادر بيتَ أهلها كسيرا ، مهزوما يجرّ الخطى صوب خلوته بنفسه في كوخ بحّار مهجور فوق ربوة حيث مكانه المألوف حين كان يجلس يفكّر لساعات في تركيبته البدنيّة المختلفة عن باقي الشبان وعيناه شاخصتان نحو السماء...

ذكرى أليمة ألمّت به حين تفاجأ برؤية نُهى أمام مكتبه، "نهى"! ذاك الإسم الذي ترك أخدودا غائرا في نفسه...

منذ خمس سنوات، كان قلبه يخفق ويكاد يطير فرحا كلّما أدخلت ممرضته قريبتها الفتاة نهى(طالبة قسم تمريض) إلى مكتبه كي تطلب منه نصحا أو توضيحَ معلومة تتعلق بمادة الطب..، كان يستقبلها وهو جالس خلف مكتبه حتى أنها لم تلاحظ ساقه العرجاء إلاّ يوم قدم إلى بيت أهلها طالبا يدها، فقد شُغفت بوسامته وبشاشة استقباله لها وتسريحة شعره الأسود اللّامع وأناقة منطقه ...ولولا حركاتها الدالة على رقة أحاسيسها نحوه، وتبادلهما نظرات الإعجاب، لما جمع شجاعته وتقدم لخطبتها من أهلها...لِيلقى منهم إهانة ومنها رفضا كاسرا...

- **فيما شرد ذهنك دكتور منير؟**

سؤالها أخرجه من صمته وشروده ليقودّها إلى باب مكتبه قائلا بكل برودة و هو يفتحه:

- **تفضلي...لم أعد أكرهكِ بل أنا نسيتكِ سيدتي، فلا تعودي مجدّدا!..**

في هذه اللحظة رنّ هاتفه:

- **أبي! لا تنسى لعبة عيد الميلاد...**

د. محمد حسب الرسول (السودان)

أي مستقبل ينتظر السودان في عشريته القادمة؟

قراءة في معطيات المسرح السوداني واستشراف مشاهده المستقبلية

مدخل:

السودان دولة ذات تاريخ ضارب في القدم، وهي من أهدت البشرية حضارة وادي النيل التي تعد واحدة من أهم وأقدم الحضارات في العالم، تلك الحضارة التي عبّرت عن مجتمع وادي النيل وعن ممالكه المختلفة التي أسست مع رصيفاتها في بابل والصين واليونان للانتقالات الحضارية الكبرى التي شهدتها المعمورة منذ آلاف السنين وحتى يومنا هذا.

إن جغرافيا السودان، كما هو تاريخه وحضارته، صنعت أهميّته ومكانتة ودوره الاستثنائي على المستويين الاقليمي والدولي، فالسودان يقع على ساحل البحر الأحمر بامتداد يبلغ نحو 800 كيلومتر، هذا الساحل الطويل جعله على تماس وتفاعل مع الحركة التي تمر جيئة وذهاباً فوق مياه هذا البحر العربي ذو الأهمية الاستثنائية التي اكتسبها من الأنشطة التجارية والثقافية والعسكرية وغيرها من الأنشطة التي تحفل بها مياهه وسواحله، وقد أهلّه موقعه على شاطئ هذا البحر ليكون حلقة الوصل بين ساحله وبين الساحل الشرقي للمحيط الأطلسي، وهو بذلك يربط شرق الدنيا بغربها، ويسهم السهل الثقافي والتاريخي الموصول بين السودان وبين دول غرب أفريقا في تعزيز هذا الربط، وتلك الصلات، ويعزز ذلك، جريان نهر النيل شمالاً نحو مصر والبحر الأبيض ليجعل أواصر الصلات بين شرق ووسط أفريقيا وشمالها حقيقة قائمة وماثلة.

إنّ حقائق الجغرافيا والتاريخ قد جعلت للسودان أهمّية كبيرة على المسرح الاقليمي والدولي، وفي إفادة وزير الأمن الصهيوني الأسبق آفي ديختر في محاضرته التي ألقاها في شهر

آب/أغسطس 2008، في معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي عن الاستراتيجية الإسرائيلية في المنطقة إعترافاً بمكانة السودان ودوره ورسالته التاريخية.

في تلك المحاضرة تناول ديختر الرؤية الاستراتيجية للكيان الصهيوني تجاه 7 دول، هي فلسطين ولبنان وسوريا والعراق وإيران ومصر والسودان، ولخّص الرؤية الاستراتيجية الصهيونية تجاه هذه الدول في مقولته: "إن إضعاف تلك الدول واستنزاف طاقاتها وقدرتها هو واجب وضرورة من أجل تعظيم قوة إسرائيل، وترسيخ منعتها في مواجهة الأعداء، وهو ما يحتم عليها استخدام الحديد والنار تارة، والدبلوماسية ووسائل الحرب الخفية تارة أخرى".

وقال ديختر إن السودان بموارده الكبيرة وبمساحته الشاسعة، من الممكن أن يصبح دولة إقليمية قوية منافسة لدول مثل مصر والعراق والسعودية، وإنه يشكل عمقاً استراتيجياً لمصر، وهو ما تجسّد بعد حرب 1967، عندما تحول إلى قواعد تدريب وإيواء لسلاح الجو المصري والقوات الليبية، كما أنه أرسل قوات مساندة لمصر في حرب الاستنزاف عام 1968. وبناء عليه، وبحسب ديختر فإنه:

- **لا يجب السماح لهذا البلد بأن يُصبح قوةً مضافةً إلى قوة العرب.**
- **لا بدَّ من العمل على إضعافه وانتزاع المبادرة منه لمنع بناء دولة قوية موحدة فيه.**
- **يلزم إضعافه، فسودان ضعيف ومجزأ وهشّ أفضل من سودان قوي وموحّد وفاعل.**

ويلخص هذا الحديث التوجه والمنظور الاستراتيجي الصهيوني للسودان، كما يعبر كذلك، عن التوجه الغربي تجاه السودان، هذا التوجه الذي تقتضيه ضرورات الأمن القومي الإسرائيلي. في ذات الوقت، يقدم هذا التلخيص مادة مهمّة لا غنى عنها في قراءة المشاهد السياسية في السودان في حقبه المختلفة وبخاصة هذه الحقبة التي بدأت قبل سقوط نظام البشير وامتدت خلال الفترة الانتقالية التي أعقبت ذلك السقوط.

إنّ السودان بموقعه الجيوستراتيجي، وبتاريخه الحضاري والسياسي، وبمكنوناته وثرواته، وبقدرته على التأثير في محيطه الحيوي، يشكل حالة خاصة بمعايير القوة الاستراتيجية، فقدراته المكتشفة والكامنة، المادية منها والمعنوية، تشكل عناصر قوة استراتيجية كبيرة، وقد خلص الكيان الصهيوني إلى ذلك وأدركه، ولهذا فإنّ قراءة حاضر السودان ومستقبله تتطلب

استصحاب كل ذلك، كما تتطلب الإحاطة الدقيقة بمعطيات الحاضر، للاستفادة من ذلك في تقديم قراءة استشرافية لمستقبل السودان خلال العشرية القادمة من عمره، ويشكل ذلك هدفاً لهذا المقال الذي يتوسل بمنهج دراسة المستقبلات ومنهج بناء المشاهد، ليقدم قراءة منهجية لما ينتظره من مستقبل.

معطيات المشهد السوداني بعد تغيير 2019

عرف السودان قبل غيره من دول الاقليم، تغيير نظم الحكم فيه، عبر الحراك الشعبي الذي حمل اسم ثورة حيناً، ومسمى انتفاضة حينا آخر، ولقد أحدث الحراك الشعبي تغييراً لنظام الفريق إبراهيم عبود في 21 أكتوبر/ تشرين أول 1964، وصنع تغييراً أطاح فيه بنظام المشير جعفر نميري في 6 أبريل/ نيسان 1985، ثم أحدث تغييراً في 11أبريل/ نيسان 2019 أطاح فيه بنظام المشير عمر البشير.

أعقب كل تغيير حدث في السودان فترة إنتقالية قصيرة، يحتدم فيها الصراع بين الأحزاب السياسية، ويبلغ فيها التنافس أعلى درجاته، وترتفع خلالها مستويات التعبير عن خطاب الاقصاء والكراهية، ومع كل ذلك البؤس السياسي والحزبي، فإنّ حالات الاستنصار بالخارج على شركاء الوطن لم تكن حاضرة، فقد كان "عيباً" معروفاً تجتنبه الأحزاب، ويتحاشاه الساسة، غير انّ الفترة الانتقالية التي يعيشها السودان منذ نحو أربع سنوات قد فاجأت الوطن وفجعته بمستوى الحضور والنفوذ الخارجي الذي ميّز هذه الفترة عن غيرها من فترات الانتقال التي سبقت.

لقد شكل التدخل الخارجي أعلى درجات الخطر على السودان، وعلى أمنه، واستقراره، وعلى استقلاله الوطني، حتى فقدت البلاد ذلك الاستقلال أو كادت، وقد فتحت الشراكات التي قامت بين بعض الفاعلين على المسرح السياسي وبين المشروع الغربي في امتداه العربي وعمقه الغربي، فتحت أبواب السودان على مصراعها أمام التدخل الخارجي، فبات الخطر الأبرز الذي يتهدد البلاد ضمن قائمة معطيات هذه المرحلة التي يمكن إبراز بعضها في ما يأتي:-

أولاً: التدخل الخارجي

التدخل الخارجي هو أول معطيات مشهد الفترة الانتقالية في السودان وأكثرها تعقيداً، ومن شواهد هذا التدخل:-

1) تدخل الدول الاقليمية والغربية

- تخلي بعض دول الخليج عن نظام الرئيس السابق عمر البشير، الذي ناصرها في مشروعاتها الاقليمية، وشاركها في مواقفها وحروبها، وبشكل خاص في حرب اليمن، وقيامها باستكمال حلقات الحصار علي السودان، وبخاصة في الجانب الاقتصادي، الأمر الذي أفقد ذلك النظام ما تبقى عنده من قدرة يقابل بها التحديات الاقتصادية التي كانت سبباً مباشراً من أسباب الرفض الشعبي لذلك النظام وسبباً مباشراً في الاطاحة به.
- رعاية بعض الدول لبعض معارضي النظام السابق، وتوفير الدعم السياسي والاعلامي والمادي لهم، وتنسيق جهودهم مع بعض القادة العسكريين الذين ربطتهم صلات بهذه الدول، وتنسيق جهود مدنيين وعسكريين مع الحلفاء الغربيين، وبخاصة في أوروبا.
- رعاية بعض دول الاقليم وبعض الدول الأوروبية للتحالف المدني العسكري، وإشرافها على تشكيل السلطة الانتقالية وإشرافها على إعداد الوثيقتين السياسية والدستورية اللتّان تأسست عليهما السلطة الانتقالية ومؤسستيها الرئيستين، مجلس السيادة ومجلس الوزراء.
- رعاية هذه الدول لمسيرة السلطة الانتقالية، وتدخلاتها المباشرة في تذليل بعض الصعاب المالية التي واجهتها، والمساهمة في تعزيز علاقات السلطة الانتقالية بالدول الغربية وبالمنظومات الدولية، ومساهماتها في إعادة هندسة الأوضاع في مؤسسات الدولة عامة، وفي مؤسساتها ذات الطابع السيادي بصفة خاصة.
- رعاية رئاسة مجلس الوزراء، وتوفير السند اللوجستي والفني لها، وتكفل منظمات أوروبية بدفع مرتبات رئيس الوزراء عبد الله حمدوك وكبار مستشاريه ومعاونية (على النحو الذي نشرته مؤسسات اعلامية)، في مخالفة لكل قواعد السيادة ومقتضيات الأمن القومي للدول.

- مساعي دولة اقليمية، وسعيها المتكرر للسيطرة على الساحل السوداني على البحر الأحمر، وعلى الموانئ القائمة عليه والتي يخطط لبنائها، ومساعيها الدؤوبة لوضع يدها على واحدة من أخصب الأراضي الزراعية في السودان تقع في شرق السودان، وتتجاوز مساحتها مليون فدان، وتتمتع هذه المنطقة باهتمام صهيوني كبير لأسباب تتعلق بموقعها الجغرافي، وكبر مساحتها الجغرافية، وخصوبة أرضها، وتوفر المياه فيها، ولأسباب دينية تتصل بالمثيولوجيا الصهيونية.

2) التطبيع مع الكيان الصهيوني

تبني رئيس مجلس السيادة الفريق أول عبد الفتاح البرهان ونائبه محمد حمدان حميدتي، ورئيس الوزراء عبد الله حمدوك لمشروع التطبيع، ثم تنافسهم عليه، فبعد مقابلة برهان لنتنياهو في يوغندا بدأت مظاهر التنافس حول التطبيع بين ثلاثتهم، ومن مشاهد هذا التنافس:-

- بادر مجلس الوزراء برئاسة عبد الله حمدوك إلى اتخاذ بعض الخطوات التطبيعية الكبيرة، حيث استصدر قراراً من مجلس الوزراء ألغى بموجبه قانون مقاطعة "إسرائيل" لعام 1968، ثم قرر التوقيع على اتفاقية ابراهام وفوض وزير العدل الذي وقع على الاتفاقية، وصاحب ذلك قيام مجلس الوزراء بتغيير المناهج الدراسية لتتماشى مع مطلوبات التطبيع، فحُذِفت منها كل ماله صلة بالقضية الفلسطينية، بل حذفت كل مادة ذات صلة بالتحرر والاستقلال الوطني، وبلغ الحال حد حذف المقررات الدراسية الخاصة بالثورة المهدية التي صنعت استقلال السودان الأول في القرن التاسع عشر.
- مشاركة رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس مجلس السيادة في القمة الرباعية التي جمعتهما برئيس الوزراء الصهيوني والرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب في أواخر حقبة حكمه.
- أوفد قائد الدعم السريع أخيه إلى تل أبيب لفتح آفاق تعاون ثنائي بين قواته والكيان الصهيوني، وسعي الطرفين إلى تأسيس علاقات متعددة الأوجه بينهما،

مع إعطاء خصوصية للعمل المشترك في المجال الزراعي حيث دار الحديث حول طرح مشروع ضخم يقع غرب نهر النيل للاستثمار المشترك.

3) البعثة الأممية للسودان "يونتامس"

بتاريخ 28 يناير/كانون الثاني 2020، بعث عبد الله حمدوك رسالة مكتوبة إلى الأمين العام للأمم المتحدة طالباً فيها التالي:

- تشكيل بعثة سياسية خاصة للسودان، تضم عنصراً قوياً، وتشمل ولايتها الجغرافية كامل أراضي السودان، ويمتد نطاقها الزمني حتى يحقق السودان أهداف التنمية المستدامة بحلول 2030، على أن تكون ذات نهج مبتكر ومنسق ويتسم بالمرونة والسلاسة، وينبغي استخدام عناصر أساسية وإتباع نهج نموذجي من هذا القبيل عند تصميم تواجد الأمم المتحدة، وأن يوسع فريق هذه البعثة عملياته من حيث الحجم والنطاق ليكون على مستوى الغرض المنشود، وأن يكون تواجد الأمم المتحدة في السودان متكاملاً، ومتوائماً من الناحية الاستراتيجية وتحت قيادة واحدة، وأن يجري الأمين العام إصلاحات لركائز البعثة .
- أن يكون من مهام البعثة: دعم تنفيذ الإعلان الدستوري "الدستور الانتقالي"، والرصد المنتظم لتنفيذ نقاطها المرجعية الرئيسية؛ الاضطلاع بعمليات الاصلاح القانوني والقضائي، اصلاح قطاع الأمن "الجيش، والشرطة، والأمن"، إصلاح الخدمة المدنية، وضع الدستور الدائم، ودعم جهود السلام و دعم إعادة المشردين داخلياً واللاجئين إلى أوطانهم وإعادة دمجهم.

استجاب الأمين العام للأمم المتحدة إلى طلب رئيس الوزراء الانتقالي، وشكل مجلس الأمن الدولي بناءً على هذا الطلب بعثة سياسية أممية للسودان حملت الاسم المختصر "يونتامس"، وذلك في 4 يونيو/ حزيران 2020، بالقرار رقم2524، ثم عين الألماني فولكر

بيرتس الذي عمل مع بول بريمر في العراق إبان الإحتلال الأمريكي له، ثم عمل مستشاراً لمبعوث الأمين العام للأمم المتّحدة لسورية خلال الفترة 2015- 2018، كما عمل أستاذاً بجامعة هومبولت ببرلين، وأستاذاً مساعداً في الجامعة الأميركية في بيروت من 1991-1993، وترأس مجموعة أبحاث الشرق الأوسط وأفريقيا حتى أبريل/ نيسان 2005، وعمل مديراً للمعهد الألماني للسياسة الدولية والأمن، وله كتاب بعنوان "نهاية الشرق الأوسط الذي نعرفه"، ولعل في السيرة الذاتية لرئيس البعثة الأممية بخبراته في العراق وسورية، وخبراته الأخرى عنواناً لطبيعة المهمة التي اختير لها في مهمته الجديدة في السودان.

أخفى رئيس الوزراء هذه الرسالة عن مجلس السيادة، وأحاطها بقدر عال من السرية، وتبين لاحقاً ان بريطانيا هي صاحبة مشروع البعثة، وأن السفير البريطاني في السودان هو من صاغ الرسالة، وأنه قد طلب من رئيس الوزراء الذي يحمل الجنسية البريطانية إرسالها بتوقيعه إلى أمين عام الأمم المتحدة وقد أعلن السفير ذلك. وقد روج مناصرو رئيس الوزراء من الساسة ومن بعض الدبلوماسيين الغربيين أن هذه البعثة ستحقق أهدافاً كبيرة، من بينها تقليم أظفار المؤسسة العسكرية، وصناعة معادلة جديدة لصالح رئيس الحكومة وحاضنته السياسية، ولهذا لم ترفض الحاضنة السياسية هذه البعثة بكل ما يحمله وجودها ومهامها من مخاطر كبيرة تستهدف سيادة البلد واستقلاله.

يتضح من طبيعة البعثة التي جاء تفصيلها في رسالة رئيس الوزراء، أنّها بعثة سياسية وشاملة من حيث التكوين، وأن لها قيادة واحدة تجتمع تحت امرتها كل المؤسسات الأممية، وأن نطاق ولايتها يشمل كل السودان، وأن أجلها الزمني يمتد لعشر سنوات هي عدد سنوات الفترة الانتقالية المقترحة من تحالف الحرية والتغيير الذي كان حاكماً في الفترة من 2019 إلى 2021، وأن الرسالة قد منحت الأمين العام للأمم المتحدة تفويضاً لتطوير البعثة تحت مسمى الإصلاح، كما ان البند الأول في مهام هذه البعثة الوراد تحت صيغة دعم تنفيذ الاعلان الدستوري قد وضع البعثة في مرتبة أعلى من كل مؤسسات الفترة الانتقالية وبخاصة مجلسي السيادة والوزراء، حيث منح هذا البند الحق للبعثة في مراقبة أداء المجلسين،

وممارسة عمليات المتابعة والتقييم لأعمالهما، وتصويب تلك الأعمال من موقع الوصاية المسنودة بقرار أممي.

بالنظر لمهام البعثة وفق رسالة عبد الله حمدوك والتي اعتمدها القرار الأممي المنشئ للبعثة، فإنّ تلك المهام تُمكن البعثة وبشكل كامل من ممارسة الوصاية والإنتداب على السودان، وهذا الذي ثبت إلى حد كبير خلال فترة عملها، ومن خلال ممارساتها العملية، كما ان مهام البعثة تشمل بشكل مباشر إعادة هندسة أوضاع الدولة تحت مظلة إصلاح مؤسساتها التي وردت ضمن المهام، وهو الذي تمت ترجمته بشكل عملي من خلال تفكيك بعض مؤسسات الدولة، وعبر إضعاف المؤسسات التي لم يطالها التفكيك، ومن خلال عمليات الإحلال والإبدال التي طالت كوادرها، حيث شهدت فترة حكومة عبد الله حمدوك الأولى والثانية فصل وتشريد آلاف الكفاءات الوطنية التي تمرست في العمل، وتشبعت بقيمه وتقاليده، واكتسبت وراكمت عبر عقود من الزمن خبرات كبيرة تم استبدالها بأصحاب الولاء السياسي وببعض الذين جاء بهم التغيير من خارج الحدود.

لم تكن مهام البعثة التي جاءت في رسالة رئيس الوزراء وتضمنها قرار مجلس الأمن الذي أنشأ هذه البعثة، مصوبة فقط نحو إعادة تشكيل مؤسسات الدولة على نحو جديد يخدم هدف صناعة حاضر جديد للدولة السودانية تحت قيادة البعثة الأممية من خلال عمليات الفك والتركيب التي طالت المؤسسات، إنما مكّنت هذه المهام البعثة من صناعة مستقبل السودان عبر وضع الدستور الدائم للبلاد، وسن قوانيين جديدة بعيداً عن الإرادة الوطنية، وبمنأى عن تطلعات المواطنين ووجدانهم وهويتهم التاريخية والحضارية، علماً بأن للسودان خبرات وتجارب دستورية غنية جداً استفاد منها الاقليم بأسره، حيث كتب بعض الخبراء السودانيين كل الدساتير التي حكمت بلادهم منذ عام 1953 وحتى دستور 2005 الذي تم تعليق العمل به في 11 أبريل/ نيسان/ 2019، وأن بعض خبرائه قد كتبوا دساتير دول عربية وآسيوية، وان القانونيين من أبنائه قد أسسوا عدداً من المنظومات العدلية، وصاغوا قوانين دول كثيرة

سيما في دول الخليج، وأن أساتذة القانون السودانيين قد درسوا في جامعات كثيرة في محيط السودان العربي والافريقي وتخرجت على أيديهم أعداد كبيرة من دارسي القانون.

إنّ التدخل الخارجي في الشأن السوداني خلال هذه الفترة الانتقالية قد أفضى إلى تحويل طبيعة الصراع السياسي في السودان إلى صراع بين مشروع الاستقلال الوطني ومشروع الهيمنة الغربية على البلاد، وأعاد البلاد إلى مرحلة ما قبل الأول من يناير/ كانون أول/ 1956 تاريخ استقلال السودان، الأمر الذي أدركه المجتمع وبدأ في حشد طاقاته لمقابلة هذا التحدي الذي استجد.

إنّ "الاستعمار" كما هو عهده وتاريخه، ليس حريصاً على الديموقراطية في "مستعمراته"، فطفق عبر تاريخه الطويل في تنصيب الحكام وفي فرض الأنظمة، متجاوزاً حق الشعوب في اختيار حكامها، وفي بناء نظم الحكم، ضارباً عرض الحائط بحقوقها المشروعة في الحكم الديموقراطي الذي يتأسس على الانتخاب والاختيار الحر، والذي يؤسس في الآن عينه لتداول سلمي للسلطة. وكما سعى في تاريخه إلى فرض قيادات على شعوبها طوال الحقبة الكولنيالية، فإنه لم يدرك بعد خطر ذلك الصنيع، ويريد أن يستمر في استدامة ذلك النموذج في غير قُطر، وعمل وما يزال منذ بداية الفترة الانتقالية وحتى الآن على فرض قيادة وتنصيب حكام يخدمون مصالحه، ويخاطبون أجندته، ويخطبون وده، ويستوي في ذلك عنده المدني والعسكري حين يتوفر الولاء، وهذا الذي أطال أمد الفترة الانتقالية، وأضعف الدولة، وقسم المجتمع، وجعل الاستحقاق الانتخابي استحقاقاً صعب المنال.

ثانياً: تفكيك مؤسسات الدولة

ثمة تشابه بين حال السودان في هذه الفترة الانتقالية، وبين حال العراق بعد احتلاله في عام 2003، ويُعدُ تفكيك الدولة والمجتمع، وممارسة الهيمنة والوصاية الأجنبية من أهمّ أوجه الشبه بين البلدين، ومثلما فكك الاحتلال الأمريكي مؤسسات الدولة العراقية في عهد بول بريمر، فإنّ مؤسسات الدولة في السودان المدنية منها والعسكرية قد تعرضت إلى التفكيك والاضعاف من قبل السلطة الانتقالية في عهد رئيس البعثة الأممية إلى السودان فولكر بيرتس كما جاء ذكره آنفا.

لم تكن الخدمة المدنية وحدها التي طالها العبث والاضعاف والتفكيك، إنما طال كذلك مؤسسة الجيش، ومؤسسة الشرطة، وبقية المؤسسات النظامية، التي فصل منها آلاف الضباط، وأطلقت الحملات الاعلامية والسياسية لتفكيكها واستبدالها بالمكونات العسكرية للحركات المسلحة، وقد نالت تلك الحملات من معنويات هذه المؤسسات وأثرت سلباً على أدائها، فتراجعت درجات الأمن والأمان في معظم أنحاء البلاد، وأصيب الأمن القومي في منعته وقوته.

لقد برزت إلى السطح ظاهرة إعادة رسم خريطة السودان على نحو جديد، بعد أن وقعت السلطة الانتقالية بشقيها المدني والعسكري على اتفاقية جوبا للسلام مع الحركات المتمردة في دارفور والنيل الأزرق في اكتوبر/ تشرين أول 2020، حيث ابتدعت ولأول مرة ما عُرف في هذه الاتفاقية بالمسارات الخمس، التي قسمت السودان إلى خمسة أقاليم ومنحت كل إقليم/مسار نصيباً من السلطة والثروة على المستويين الاتحادي والاقليمي، وهو ما يؤشر إلى مستقبل جديد للسودان عنوانه الأبرز هو التفكيك، ويعد ذلك من أخطر ما تضمنته الاتفاقية.

وبالتزامن مع ذلك تزايدت وتيرة المطالبة بانفصال أجزاء من السودان، حيث تعالت دعوات انفصال في شرق السودان، وفي شماله، وفي أنحاء أخرى من السودان، كما تعالت أصوات تنادي بفصل أجزاء من السودان إلتحق بعضها به في مطلع القرن العشرين، وأجزاء أخرى شعر أصحاب الدعاوى أنها تمثل تهديداً لاستقرار السودان، وتتضمن هذه الدعاوى مشروعاً جديداً يحصر حدود الدولة بين النهر والبحر في إشارة إلى المنطقة الواقعة بين نهر النيل والأنهر التي تصب فيه وبين البحر الأحمر.

لقد منحت اتفاقية جوبا كذلك هذه الحركات حق الاحتفاظ بجيوشها لعشر سنوات قادمة، وحق اقامة قواعد عسكرية لها في الخرطوم وعدد من العواصم والمدن الولائية، الأمر الذي جعل ظاهرة تعدد الحركات المسلحة أكبر مهدد للأمن القومي السوداني، وأخطر مهدد لأمن المواطنين في معظم أنحاء السودان.

إن خلاصة عمليات التفكيك قد بدت أكثر وضوحاً في انقسام الرأي العام حول قضية الوحدة والتفكيك وما يتصل بها من رؤى لتشكيل كيانات سياسية جديدة على أنقاض الدولة الموحدة، وتجلت آثار التفكيك في العجز الذي أصبح سمة من سمات مؤسسات الدولة المختلفة التي باتت عاجزة عن القيام بأدوراها الطبيعية، فانعدم الأمن أو كاد في العاصمة والولايات، وتردى مستوى خدمات الصحة والمياه والكهرباء، وتدهورت خدمات التعليم العام، وتوقفت خدمة التعليم العالي، حيث ظلت الجامعات الحكومية مغلقة منذ أن شكل عبد الله حمدوك وحاضنته السياسية الحكومة الانتقالية الأولى في عام 2019، واستمرت مغلقة حتى قيام المفاصلة بين شركاء السلطة الانتقالية في 25/أكتوبر/تشرين أول/2021، ففقد طلاب الجامعات 3 سنوات من عمرهم بسبب عجز السلطة الانتقالية، والأدهى والأمر هو حل المحكمة الدستورية التي صنع الفراغ الذي تركته ضياعاً لحقوق الناس واهداراً لكرامتهم الانسانية، وأصاب العدالة بالشلل.

ثالثاً: الإنهاك الاقتصادي

تبنت السلطة الانتقالية ممثلة في مجلس الوزراء والحاضنة السياسية المشروع النيولبرالي بكل أبعاده، كما تبنت وصفات المؤسسات المالية الدولية ممثلة في البنك الدولي وفي صندوق النقد الدولي، فاستكملت السلطة الانتقالية دون رحمة، عملية تحرير الاقتصاد، فألغت الحكومة الدعم الذي كان قائماً في قطاعات الصحة والتعليم، الكهرباء، المياه، الغذاء، والمحروقات، وخفضت قيمة العملة الوطنية، فأصبحت قيمة الدولار الأمريكي تساوي نحو 600 جنيه بعد أن كان يساوي نحو 60 جنيهاً، وارتفع التضخم إلى عشرة أضعاف ما كان عليه، وأصبحت الحياة قاسية إن لم تكن مستحيلة. وقد أسهم تدهور الأوضاع الاقتصادية في زيادة النفوذ الخارجي، وفي زيادة مستوى تأثيره على القرار الوطني، حتى بات السودان دولة بلا سيادة وبلا استقلال، كما أسهمت هذه الأزمة الاقتصادية في دفع خطى تنفيذ مشروع التغيير الاجتماعي والقيمي، وزادت نسب الطلاق والتفكك الأسري، وازدادت معدلات الانحلال الأخلاقي، ودخلت أنماط ثقافية جديدة لم يعرفها المجتمع السوداني من قبل، وزادت معدلات الاخلال بالأمن.

رابعاً: الانقسام والتهافت السياسي

شهدت هذه الفترة حالة من الانقسام العمودي بين القوى السياسية، وتبلور هذا الانقسام في بروز تحالف سياسي يرى أن معالجة أوضاع السودان لا تتم دون معالجة علاقاته مع الغرب، وان الأمل في نهوض الدولة لا يتحقق دون علاقة مميزة مع الغرب، وأن الطريق إلى المستقبل يمر عبر الغرب، وأن الحل يكمن في اتباع النموذج الغربي، في الثقافة والسياسة و الاقتصاد والتعليم والقانون والاجتماع والفنون، وان استدامة النماء والنهوض لا تتأتى إلا بغرس النموذج الغربي في التربة السودانية، ولهذا يعول هذا التحالف –الذي انفرد بحكم السودان خلال الفترة الانتقالية– على الشراكة بينه وبين الغرب وشركائه في بعض دول الخليج، وهنا تجدر الاشارة إلى أمرين، أولهما أن هذا التحالف المكون من 4 أحزاب قد استلفت أحزابه من قبل النموذج اللائكي من الغرب وتبنته، والأمر الثاني أن نظرية هذه الأحزاب الاقتصادية تأسست على الفلسفة الاشتراكية التي هي نقيض لفلسفة الغرب الرأسمالي، وفي تجربة حكمها تبنت فلسفة الغرب الاقتصادية ضمن تبنيها للمشروع النيولبرالي، وهنا يبزر التناقض الذي يولد أسئلة كبرى تدور حول كيفية الجمع بين مشروعين نقيضين، وتدور حول مكانة الاستقلال الوطني وقيمته في مخيلة ومشروع هذا التحالف.

في مقابل هذا التحالف الذي تحولت أحزابه من الناحيتين الفكرية والسياسية، بدأ المجتمع في بناء منظومة أخرى ترى ان النهضة تتم بالاعتماد على الذات ومن خلال استلهام نوذج يبني على الصالح من ارث السودان و تجربته في المساقات الثقافية والقيمية والسياسية والاقتصادية، مع عدم التجافي عن العالم الخارجي بل اقامة علاقات تبادل تقوم على الندية والكرامة الوطنية، وترعى المصالح المشتركة باستقلال ودون التفريط في السيادة.

يعتبر طغيان الصبغة والملامح الوطنية السمة المميزة لهذه المنظومة التي بدأت في التشكل من مكونات المجتمع الرئيسة، ممثلة في الطرق الصوفية، والكنائس، والقبائل، والرموز والشخصيات الاجتماعية، وغالب الأحزاب الوطنية، لكن ثمة تحديات كبيرة تواجه هذه المنظومة الجديدة، أولها تعريف هوية هذه المنظومة، وتحديد طبيعتها والتوافق عليها، وهذا

أكبر هذه التحديات التي تواجه مكوناتها في لحظات التأسيس، لأنها إن مضت في التشكل لتصبح حزباً أو تحالفاً سياسياً فإنها لن تشكل الاضافة النوعية المنتظرة منها، وفي السودان ما يربو على مئة حزب، وفيه عدد من التحالفات يتجاوز عدده عدد أصابع اليدين. المطلوب أن تتألف مكونات هذه المنظومة على أطروحة وطنية جديدة تزاوج بين القيم والعلم، وخلاصة التجارب والعبر، وان تتأسس كمنصة وطنية تتعاطى مع التحديات والاستحقاقات من منطلق وطني لا منطلق سياسي أو حزبي، وهذا الذي ترى ملامحه في معادلة التحدي والاستجابة والتدافع خلال السنوات الثلاث الماضية، وبدأت في التبلور أكثر خلال العام الأخير من عمر المرحلة الانتقالية، ثم على مكونات هذه المنظومة الانخساف فيها ومفارقة القديم إلا بالقدر الذي يمكن من استخلاص العبر والاستفادة منها.

خامساً: إنهاك وتفكيك المجتمع

شهدت هذه المرحلة محاولات محمومة لتقسيم المجتمع السوداني وانهاكه وتفكيكه على نحو لم يعرفه المجتمع في أحلك الظروف التي مرت به في تاريخه الطويل، وذلك عبر إفتعال المشاكل بين مكونات المجتمع المختلفة، ومن خلال اشعال الصراعات والحروب القبلية، واستثارة النعرات المختلفة، فنشأت جراء ذلك صراعات قبَلية وجهوية في شرق السودان الذي ظل آمناً مستقراً تتعايش فيه الاثنيات وتأتلف وتتداخل وتتصاهر في تفاعل حضاري بديع، فتحول كل ذلك إلى حروب وصراعات أُريقت خلالها دماء بعض أبناء هذا الاقليم.

تكررت تلك الصراعات في كردفان، ثم في دارفور التي ظلت آمنة منذ اتفاقية الدوحة للسلام التي وقعتها الحكومة مع غالب الحركات المسلحة عام 2011، وانتقلت الصراعات القبلية كذلك إلى النيل الأزرق، وإلى أطراف السودان الأخرى في تطبيق عملي لنظرية شد الاطراف وضرب المراكز التي أنتجها الكيان الصهيوني وجعلها سياسية من سياساته في الاقليم.

وفي ذات السياق، غزت جماعات سياسية وثقافية مرتبطة بالغرب وتحمل أطروحاته القيمية والثقافية المجتمع السوداني، وبذلت جهوداً كبيرة لضرب منظومة قيم المجتمع التاريخية، واستبدالها بالقيم الغربية، وفي ذلك، كان التركيز كبيراً على الأسرة التي استهدفت بالاضعاف والتفكيك ، كما كان التركيز كبيراً على شريحة الشباب التي تم استهدافها بالمخدرات،

واستهدافها بنماذج قيمية تصادم قيم المجتمع التاريخية، ويُعد نموذج الشذوذ الجنسي من هذه النماذج التي بذلت جهوداً كبيرة من أجل ترسيخ وجودها في المجتمع برعاية ودعم حكومي.

وبرغم حالات الانهاك والتقسيم التي ضربت المجتمع السوداني خلال الفترة الانتقالية، إلا أنه بدأ في امتصاص الصدمات ومن ثمّ شرع في تأسيس مواقف وطنية يقارع بها الخطوب والمخاطر التي واجهته، ولمقابلة تحدى الاستقلال الوطني نشأت حركة مجتمعية فاعلة تناهض وجود البعثة الأممية، وتدعو إلى اخراجها من البلاد، وإلى استعادة السيادة والاستقلال الوطني.

وفي مقابل تحدي إعادة الهندسة الاجتماعية والقيمية، نهض المجتمع فقاوم مشروع تغيير المناهج الدراسية، وناهض مشروع الانقلاب القيمي الذي اعتمد على بعد قانوني سنته حكومة عبد الله حمدوك لأجل تحقيقه قوانين جديدة، وعدّلت قوانين وألغت أخرى. وقد ناهض المجتمع وكافح مشروع الغزو الثقافي الذي يعمل على استبدال قيم المجتمع بقيم بديلة مصادمة لوجدان المجتمع وموروثاته .

وليس بعيداً عن جهود استعادة السيادة والاستقلال الوطني، والجهود المبذولة من أجل المحافظة على المجتمع وهويته وقيمه، نهض المجتمع في مواجهة مشروع التطبيع مع الكيان الصهيوني، وانتظمت قوى المجتمع في هيئة شعبية لمناهضة التطبيع عبر مناشط وفعاليات شعبية مؤثرة.

ثم احتشدت مكونات المجتمع وتراصت في منصة وطنية جامعة تنشد توظيف الطاقات الوطنية لصالح مشروع وطني يعمل من أجل إعادة التوازن إلى المسرح السياسي السوداني، ولتشكيل الحاضر والمستقبل وفق المشيئة الوطنية التي تحفظ للوطن وحدته واستقلاله وأمنه ورفاهه. وهذا الذي تنادت له القبائل، والأحزاب الوطنية، والشرائح الشبابية والنسوية، تحت مظلة المجلس الأعلى للتصوف الذي أطلق مشروع نداء السودان الذي أنهى أعمال الحوار الوطني على مائدة مستديرة منتصف شهر أغسطس/آب/2022.

مشاهد السودان المستقبلية

إن الواقع السوداني بمعطاياته التي سبقت، يُعد واقعاً صعباً بالغ التعقيد، وقد زاد المشروع والنفوذ الخارجي من صعوبة وتعقيد هذا الواقع، خاصة وأن للمشروع الخارجي شركاء "سودانيين"، تمكنوا من تقسيم الأدوار بينهم، وأدوا أدوارهم بجرأة، من خلال التكامل بين الواجهات السياسية المختلفة من أحزاب، ولجان شبابية، وبين الواجهات العسكرية التي تمثلها الحركة الشعبية لتحرير السودان جناح عبد العزيز الحلو، ووصيفتها التي يترأسها عبد الواحد محمد نور، وتضطلع البعثة الأممية "يونتامس" بدور "المايسترو" الذي يوزع الأدوار، ويحدد زمن كل لاعب.

من كل الذي تقدم، تبرز مشاهد تستشرف مستقبل السودان في العشرية القادمة من تاريخه، والمشاهد هي:

المشهد الأول: المشهد الديمُقراطي

يعتبر هذا المشهد هو المشهد المرغوب فيه من غالب أهل السودان، لكنه المشهد الذي تواجهه صعاب كبيرة، ومن أبرز تلك الصعاب ما يلي:

- عدم قبول الأحزاب الصغيرة المتحالفة مع الخارج بهذا المشهد، بسبب عجزها التاريخي عن تحقيق أية مكاسب انتخابية، الأمر الذي سيفقدها فرصة العودة إلى السلطة وكراسي الحكم الذي منحه لها شريكها الخارجي، وبالتالي يتوقع استمرار حملاتها الرافضة لهذا الخيار، وقد يحملها هذا الرفض إلى الانتقال إلى مرحلة متقدمة من مراحل إشاعة الفوضى والاضطرابات حتى تمنع قيام الانتخابات.
- عدم توفر إرادة سياسية تنتج توافقاً وطنياً على دستور انتقالي يُستند إليه كمرجعية في أية عملية انتخابية.
- رفض بعض الدول الغربية "المستتر" لأية عملية انتخابية تمكن المجتمع السوداني من الاختيار الحر، ورفض بعض الدول لمبدأ التحول الديموقراطي، وخشيتها من اعادة تطبيقه في السودان، ويكمن مبعث الخوف في عدم رغبتها في انتقال ثقافة الحرية والديموقراطية إلى دولها ومجتمعاتها.

- تفضيل بعض الدول للحكم العسكري على الحكم القائم على الخيار الديموقراطي الانتخابي الحر، كون الأول يحقق استقراراً يعجز الثاني عن تحقيقه –كما تزعم– الأمر الذي ينعكس عليها بشكل مباشر.
- عدم وجود معادلة تستوعب قوات الدعم السريع للحركات المسلحة في دارفور في مرحلة الانتخابات وما بعدها، وخوف هذه الحركات من فقد المكاسب التي تحققت لها بموجب اتفاق جوبا، وخوف قائد الدعم السريع ومعاونيه من فقد المكاسب السياسية التي تحققت لهم خلال هذه الفترة الانتقالية.

إن تقدم المشهد الديموقراطي أو تأخره رهين بقدرة أي من طرفي المعادلة السياسية على فرض توجهه على الطرف الآخر، فالطرف الرافض للانتخابات لا يتمتع بثقل شعبي ولا مجتمعي، ويعتبر تحالفه مع الخارج هو مصدر قوته الرئيسة، أما الفريق الراغب في تحقق هذا المشهد، ويعمل من أجل تحقيقه، فإنه يستمد قدرته من المجتمع، كما يشكل الرأي العام في مؤسسات الدولة – على ضعفها– مصدراً آخر من مصادر قوته.

الطرف الأول الرافض للانتقال الديموقراطي، والرافض إجراء انتخابات يريد التربع على كراسي السلطة بدفع وسند غربي، لكنه لم يدرك إن الغرب الذي يواليه يعيش واقعاً دولياً جديداً جراء الحرب في أوكرانيا، وجراء تداعيات الصراع الدولي حول النظام العالمي الجديد، وان ذلك جعله يعيش حالة تراجع على المسرح الدولي والمسرح الاقليمي.

المشهد الثاني: مشهد التغيير المسنود بالقوة العسكرية

وهو مشهد مطروح تتبناه بعض القوى السياسية التي ترفع شعار التغيير الجذري، وتعمل من أجل استنساخ نموذج التغيير في شرق أفريقيا الذي تمّ باستخدام القوة وتوظيفها في صناعة التغيير الجذري الذي أقصى الهوية العربية من زنجبار، ويعتزم أصحاب مشروع التغيير الجذري في السودان، استدعاء هذا النموذج وتطبيقه ليحقق ذات النتيجة التي حققها حزب الأمة اليساري في زنجبار عبر المجزرة الشهيرة التي نفذها في 12/يناير/ كانون أول/ 1964، وليعيد هندسة أوضاع السودان على نحو جديد يزاوج بين نموذج زنجبار ونموذج حكم عبد الله التعايشي خليفة الامام المهدي.

يعتمد هذا المشهد على استخدام القوة العسكرية لبعض الحركات المتمردة والتي لم توقع على اتفاقية جوبا، يشاركها في ذلك بعض الأحزاب الصغيرة وبعض الشرائح الشبابية التي حظيت برعاية غربية وانتظمت في الجماعات الأناركية بمسمياتها المختلفة.

لهذا المشهد نسخة ثانية بنيت على شراكة بين ميليشيا مسلحة "مجاورة للمؤسسة العسكرية"، وبين تحالف أحزاب المشروع الخارجي، وتحظى برعاية اقليمية، وتعمل على الاستيلاء على الحكم باستخدام قوتها العسكرية بالشراكة مع هذه الأحزاب التي ستمثل دور الحاضن السياسي لهذا التغيير.

يعتمد هذا المشهد في نسختيه على الفوضى غير الخلاقة التي ستكون مدخلاً للعمل العسكري وهو ما ظل يراه الناس منذ عام من خلال المظاهرات وحالات الفوضى التي لم ينتبه كثيرون لحقيقتها برغم كشف بعض قادة هذا العمل لمشروعهم وملامحه ومراحله.

يلزم القول أن هذا المشهد هو مشهد الحرب الداخلية بامتياز، وفي حال حدوثه فإن التعافي منه وتجاوزه يتطلب زمناً طويلاً كما دلت التجارب داخل السودان وخارجه.

حظوظ هذا المشهد تضعف وتقوى من خلال ضعف أو قوة المؤسسة العسكرية، وقدرة قيادتها على اتخاذ القرار الصحيح في وقته، كما يتأثر سلباً وايجاباً بمستوى وعي المجتمع وقدرته على التفاعل الايجابي بالقدر الذي يسهم في تحصين البلد والحد من فرص تحقق هذا المشهد.

المشهد الثالث: مشهد سيطرة المؤسسة العسكرية

ولهذا المشهد نسختان كذلك، تتمثل النسخة الأولى منه في قيام قيادة المؤسسة بالسيطرة على كل مقاليد السلطة وترتيب أمرها على نحو يضمن بقاءها، ويكرس قبضتها عليها من خلال ترتيبات تفضي لاستدامة الحكم العسكري وترسيخ قيادة المؤسسة العسكرية كقيادة سياسية للبلد عبر تدابير انتقالية قد تنتهي بتدابير انتخابية، وتجد هذه النسخة تشجيعاً من بعض الدول.

أما النسخة الثانية من هذا المشهد، فتقوم على اطاحة بعض الضباط بقيادة المؤسسة العسكرية الحالية والسيطرة على المؤسسة العسكرية ومن ثم السيطرة على قيادة البلد، ثم

المضي عبر تدابير دستورية تفرض الأمر الواقع وتكرس القيادة الانقلابية كقيادة سياسية للبلد.

ينطوي هذا المشهد في أي من نسختيه على مخاطر كبيرة، في ظل وجود كثير من الحركات المسلحة،بعضها أبرم اتفاقيات سلام مع الحكومة، وبعضها رفض الاتفاق معها، مع وجود جماعة مسلحة تمتلك قدرات عسكرية ومالية كبيرة تجلس إلى جوار المؤسسة العسكرية ولها مصالح ومطامع، وقد يُعقد ذلك من عملية التغيير العسكري الهادف إلى السيطرة على السلطة دون حدوث تفاهمات مسبقة مع هذه الحركات المسلحة تضمن لها استمرار المكاسب والمصالح.

خاتمة:

الراجح وفق المعطيات الشاخصة على سطح المسرح السياسي تداخل بين المشهدين الثاني والثالث يفضي في نهاية حقبة الاحتراب التي (يمثلها المشهدين الأخيرين) إلى المشهد الأول على النحو الذي حدث في الجزائر بعد عشريتها السوداء، وذلك وفق ما يلي:-

- تطوير حالة الاضطرابات الحادثة الآن لتدخل مرحلة الفوضى المتزايدة.
- تدخل بعض الحركات والمليشيات المسلحة على خط الفوضى لتطويرها إلى حالة حرب داخلية.
- استمرار هذه الحالة التي تبدأ بالفوضى العارمة ثم تطورها إلى حرب داخلية، تستمر لمدة قد تصل إلى عشر سنوات.
- يلي ذلك سيطرة المؤسسة العسكرية على الأمور، ثم إنهاء حالة الاحتراب، العودة إلى المشهد الأول، المشهد الديموقراطي الذي تجسده "بصورة عملية" انتخابات مدروسة تجعل السيطرة من وراء جدار للمؤسسة العسكرية حقيقة ماثلة.

إن تجنب المشاهد القاسية التي تبدو راجحة وفق المعطيات الماثلة أمر ممكن، لكنه يتوقف على وقف التدخل والهيمنة الخارجية، وعلى فك الارتباط بين الخارج وأدواته المحلية، ويتوقف كذلك على فاعلية المجتمع، وتعظيم قدراته وأدواره المانعة لتحقق هذه المشاهد،

وقدرة المجتمع كذلك على تشكيل حالة اسناد وطني للمؤسسة العسكرية يمكنها من الاضطلاع بدورها في حفظ وصون سيادة واستقلال البلد، وفي تحقيق أمنه واستقراره.

الدكتور يحيى شامي

قراءة في كتاب:" المسافر و الكوتا"

توفّرْتُ على قراءة كتاب "المسافر والكوتا" لمؤلفه الأستاذ إسماعيل علي بيضون، فتابعت فصوله فصلاً فصلاً، وسطوره سطراً سطراً، وكلماته كلمةً كلمةً... ثم ماذا؟

أهو كتاب رواية؟ وفنُّ الرواية هو السائد المهيمن على فنون الكتابة الأدبية اليوم، وقد أخذ المؤلف بضغثٍ منه، أم هو كتاب ينتسب الى صميم ما يعرف بأدب السيرة الذاتية، أو أدب الرحلة ... سمِّ ذلك ما شئت، وقد أخذ بضغثٍ آخر من ذينك اللونين اللذين هما الأوفر حظاً في الكتاب. كيف وقد أبحر في عبابهما أيّما إبحار، ذلك المسافر الحفيّ بالمكان المسكون والزمان . وبالحنين مهما طال السفر أو طالت الهجرة بعيداً عن البلد الذي ولد ونشأ وترعرع فيه، عنيثُ لبنان...

كان ذلك بين لَدُن أن وطئت قدما المؤلف ذات يوم مجاهل تلك القارة المسمّاة بالقارة السوداء، ما همّ أو السمراء، وما كان زاده سوى تلك " الكوتا" التي هي نوع من الإقامة المؤقتة لا القانونية . فما بعُد بنفسه إلا وهو رهين محبسين إثنين: إما الخضوع الكامل لإرادة من تفضّل عليه بتلك "الكوتا"، وإما العصيان أو التمرّد على ذلك الواقع المحفوف بالأخطار وليس أيسرها تلك الحمّى الخبيثة المتواصلة حمّى الملاريا الأفريقية التي لازمته

طويلاً ما جعله ذات ليلة ليلاء ، وبحسب تعبيره، يفتقد معنى وجوده ككائن آدميّ، ويرى أن كل الأحلام ماتتفي ذاته قبل ولادتها، وأن كل تطلعلته حتى طعامه ونومه ولباسه وكلّ أشيائهاالصغيرة الصادرة عنه باتت ملك تلك الحمّى اللعينة، وملك ذلك السجّان المتمكّن القادر على شدّ الخناق عليه بكلتا يديه القويّتين الاثنتين...

وعُدّ عن هذا ، وذرِ الحديث عن الحمّى وحمّياها، و"الكوتا" وما حفلت به من هموم ومتاعب وأشجان ذات ألوان ، وخذ بيدي الى مغاني الأدب، مجاني الكتابة، فيا الله ما كان أمتع حديثه، وأنصع بيانه، وأجمل كناياته وتشبيهاته واستعاراته التي دلّ عليها وصفه لذلك المشهد، مشهدِ ما قبل مغيب الشمس، لمّا أن راحت تتهاوى في الأفق الغربي، وهي تلملم جدائلها الذهبية على صفحة ذلك الأفيح الأزرق الذي هو الأطلسيّ ببياض ربد أواذيّ أمواجه الملامسة لأقدام تلك الصخور الدهريّة وهي تعانق جذور أشجار تلك الغابة الإستوائية من قبل أن يطبق على الشمس ظلام الليل الإستوائي متلبسة بأحضانه ، غائرة في عمق خلجانه...

وعُدّ عن هذا ثانية، وذرِ الإنشاء جانباً، وخذ بيدي الى مضامين الكتاب التي لم يطغِ عليها الإنشاء، فلله ما كان أحفل وأغنى هذا الكتاب بما اشتمل عليه من معلومات تتعلق بعبادات وعادات وجغرافية وتضاريس ذلك البلد الذي حطَّ المؤلف فيه رحله، حتى إن القارئ ليخال نفسه أنه معه في تطوافه وحلّه وترحاله، هذا فضلاً عما اشتمل عليه الكتاب من معلومات ذات صلة بتاريخ البلد، إبتداءً من تاريخ استعماره، بل قل تاريخ استعباد سكانه، وانتهاءً باستقلاله...

وبعدُ ماذا أقول فيك أنت، يا أيها المسافر الضارب بعيداً في الآفاق وفي الفجاج، المفتون بالكلمة، المترفّع عن كل ما يشين أو يخدش التزامك بالقيم الخلقية ، والأخرى الدينية،

ألم تنجُ بنفسك، كما جاء في تضامين كتابك، عن الوقوع فيما وقع فيه ذلك الطائح الحظّ صاحبك(فريد) لمّا أن راح يراقص إحداهن على أنغام تلك الآلة الموسيقية البدائية المسماة (بانكون ماكوما)، فما كان منك إلاّ أن غادرت المكان من قبل أن تحوّلك، وبحسب تعبيرك، نار إيقاعات أغنية (هبّت، هبّت، هبّت النار... النار... النار) الى رماد تذروه الرياح في كل ناح! ؟

ثم ألم تنجُ بنفسك ثانية فتستعصم كما أن حكيت لنا حكاية تلك السيدة البريطانية التي علقتك وهوتك منذ اللحظة التي دخلت فيها المحّل الذي كنت تعمل فيه، فلما أن أقفلت راجعة بحجة أنها نسيت مظلّتها عندك، وقالت لك أخشى أن لا أكون نسيت نفسي في محلك كما نسيت مظلّتي، فما كان منك إلاّ أن انتصبتَ واقفاً، ورحت تلمس الماء لتتوضأ استعداداً لحلول أذان وقت المغرب، وأداء الصلاة هرباً من إسقاطات النفس البشرية، ومن وقوعك في حِبالات تلك الخَوْدِ الناعمة الساحرةِ الجفن، ما جنّبك الوقوع في حِبالات ذلك الرجيم الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس!؟

فأنا، يا إسماعيل، ومن وحي هذه الحادثة والحادثة التي سبقت، وبعد أن طوّفت ما طوّفت بكتابك فصلاً فصلاً، وسطراً سطراً، وكلمةً كلمةً... أزعم أني أدركت الآن لماذا يحلو لبعضهم أن ينادوك حيناً باسم (الحاج إسماعيل)، وأحايين أخرى، وإن لم تلُفَّ، ولم تكوّرَ عمامةًعلى رأسك ، باسم (الشيخ) يا إسماعيل...

المفتشة التربوية د. مريم رضا

وَقْعُ خُطا الحُلُم

هاتِ يدك ...

إنهض يا وطني ...
اِغزل من عرين الشّمس
حرّيّة وإباء،
لنسطعَ، كما الأمل،
يشدّنا الرّجاء،
بلا رخاء...
شدّ يديّ يا أخي،
اِجمع الأشلاء...
كي تنجو من الخواء،
فنحن بلا دواء.
يخور تِيهُنا في الأرجاء،
بلا ماء، أين الهواء؟
لنمسحَ عنّا الغبارَ والجفاء،

ليثقلَ أثيرُنا بنورِ الضّياء...

أتراني؟

أنا التي أرقبُ سطوعَ الشّمسِ في بلدِ الفينيق،

من بيتي العتيق،

ومن كلّ طريق...

عيناي ترنوان الى أفقٍ رغيد،

لا يهوى المغيب،

يأتي لنا بنبأ جديد،

يطوي سجلّ ماضٍ غريب،

أَفسدَهُ السّحر العجيب.

أعاصير عصفت بها سياط الجلّادة،

حبسَت التراتيل في قِلادة،

لفظَتْ أنفاسها على سجّادة،

أضلّت طريق العروج بلا هوادة...

لنا الله يا وطني...

لنا الله في المستبدّين،

في المفسدين،

لنا الله في الشّياطين...

نلحظُ شوقَ العيونِ الهائمة،

نحلُمُ بالقيامة،

ونحيي ذكرى استقلالنا المزيّف

الدكتور محمد نجيب مراد

المدينة – الدولة والمعجزة الحضارية الفينيقية على الساحل الشرقي للمتوسط: تجربة تاريخية عميقة في أبعادها الانسانية

الجماعة الفينيقية هي إحدى الجماعات التي اتخذت من الساحل الشرقي للمتوسط لبلاد الشام مقرا لإقامتها ، وهناك ثمّة اعتقاد بأنّ هذه الجماعة وفدت الى المنطقة من الخليج العربي حوالي الألف الثالث قبل الميلاد.

ذاع الصيت الحضاري للفينيقيين مع مطلع الألف الثاني (ق . م) . أمّا العوامل الحاملة لصعودهم الحضاري فأبرزها خمسة أساسية :

الأول ، نزوعهم الى الحرية واعتماد نظام لامركزية المدن (ديمقراطية المدن .)

الثاني ، الفكر الديني والتفاعل مع المعتقدات الدينية لشعوب الجوار الجغرافي في مصر وبلاد ما بين النهرين وصولا الى أماكن عديدة أخرى .

الثالث ، الأفق الاقتصادي وروح المغامرة في التبادلات التجارية عبر المتوسط مع العديد من الشعوب المزامنة في عالمهم القديم .

الرابع ، التوسّع السلمي بهدف الحضور الفاعل في غير مكان يرون فيه مصلحة مفيدة .

الخامس ، الابداع المعرفي الذي أفضى الى اختراع الأبجدية التي كانت ثورة عميقة في الكتابة والاقتصاد والمعرفة والادارة والتفاعلات البينية مع الشعوب الأخرى .

على مدى الألفية الثانية قبل الميلاد (2000 – 1000 ق.م)،تواصل التقدم الحضاري لفينيقيا على الساحل الشرقي للمتوسط ، حيث اتخذوا من الشاطىء السوري – اللبناني – الفلسطيني مقرا للتمركز والاقامة ، مستفيدين من الخصوصيات الجيوسياسية للموقع لجهة ديناميات التفاعل الخلاّق بين الساحل البحري وسلسلة الجبال الموازية الممتدة من شمال سوريا مرورا بلبنان وفلسطين وصولا الى مدن الساحل المصري في دمياط ورشيد والاسكندرية ، والى مدينة قرطاج التونسية وغيرها .

فتحت الاقامة على المتوسط آفاقا رحبة من الحرية النفسية والفكرية والاقتصادية لسكنى المدن الفينيقية ، حيث أفادوا من الطبيعة الجبلية المجاورة للبحر ، الأمر الذي أسهم في تكوين ثقافة فينيقية لم تتوفر لسواهم من الجماعات والشعوب المجاورة ، هي ثقافة طموحة ، ثقافة اللامحدود واللامتناهي كانت بمثابة الدافع الأهمّ وراء نزوعهم لاكتشاف المتوسط وما بعد المتوسط وصولا الى بقاع عديدة من العالم القريب والبعيد . فقد جعلوا من المدن – الأساكل أي المدن المزودة بمرافىء ساحلية مراكز ومحطات لتجارة عابرة للمتوسط بحرا من جهة ، والى برّ الشام وبلاد ما بين النهرين والخليج ومصر وشمال افريقيا وغيرها من جهة اخرى

كثيرة هي الإبداعات الحضارية التي شكّلت خصوصية فينيقية ، أبرز هذه الإبداعات :

1–ظهور المدينة – الدولة كظاهرة ابتدعها العقل الفينيقي في اعتماد نظام اللامركزية الادارية ، الأمر الذي يستجيب لحاجاتهم الى الاستقرار على مستوى داخلية المدينة من ناحية ، والى التفاعل النشط مع باقي المدن من ناحية أخرى . فقد ظهرت مدن – دول :

أوغاريت ، أرواد ، طرابلس ، جبيل ، بيروت ، صيدا ، صور ، عكّا ، قرطاج التونسية وسواها .

المدينة – الدولة هي المدينة – القطب أو المدينة – المركز ، كانت وظيفتها القيام بمتابعة الاجتماع المديني من حيث أنشطته الاقتصادية والدينية والسياسية . لقد أسّست هذه التجربة الادارية للمدينة – الدولة لبنية عميقة في الهيكل الاداري الفينيقى ، فكانت ظاهرة تاريخية غير مسبوقة لجهة ما يمكن وصفها بظاهرة " ديمقراطية المدن " . إلاّ أنّ هذه الوظيفة الديمقراطية للمدينة – الدولة لم تجعل من هذه الأخيرة كيانا سياسيا منفصلا عن باقي المدن – الدول المجاورة ، وإنّما جاءت هذه الصيغة الادارية لتلافي صعوبات المسالك البرية الجبلية بين الوحدات المدينية من جهة ، ومن أجل مركزة النشاط الاقتصادي التخصصي : طرابلس (صناعة وتتجير الخزف) ، صور(صناعة الأرجوان) ، جبيل او بيبلوس (تتجير خشب الأرز) ، هذا فضلا عن الوظيفة الدينية التي اختصت بها مدن أكثر من غيرها .

كانت المدن – الدول تسارع الى قيام كونفدرالية فينيقية وتكوين اتحاد سياسي عند مواجهتها اخطارا إقليمية أو خارجية . فقد اختيرت طرابلس لتكون مقرا لمجلس اتحاد فينيقي ضمّ مدن : صور وصيدا وأرواد بهدف التنسيق المشترك ، وتوحيد المواجهة ، والمحافظة على المصالح العليا المشتركة .

2–الابداع الصناعي والتجاري :

على مستوى الصناعة افادوا من جودة أخشاب الأرز الكثيفة الانتشار في جبال لبنان الموازية للبحر المتوسط ، الأمر الذي أكسب الصنّاع الفينيقيين مهارة قلّما توفرت لغيرهم في العالم القديم ، فراحوا يصنعون السفن العابرة للبحار كوسائط نقل لمنتجاتهم الصناعية والزراعية وتتجيرها في الأسواق المجاورة لهم في آسيا وأفريقيا وأوروبا .

3-التفاعل الثقافي النشط مع الجماعات والشعوب المزامنة ، التي تبادلوا معها التجارة والمعتقدات والطقوس الدينية (جبيل – مصر مثلا . (

4-اختراع الأبجدية بحروفها ال 22 حرفا ، والتي اسهمت في تأسيس وتطوير الكتابة ، حيث أحدثت ثورة كبرى ، ليس فقط في اللغة المكتوبة ، وإنّما أيضا في تطوير الحسابات التجارية ، والتأثّر والتأثير في التفاعلات الثقافية والفنية ، وتبادل المعرفة مع سائر الجماعات والشعوب التي وصلوا اليها وتعاملوا معها .

5-مدينة أوغاريت : أنموذجا حضاريا فينيقيا :

تقدّم مدينة أوغاريت في المنطقة المسماة رأس شمرة شمال مدينة اللاذقية على الساحل السوري ، أنموذجا حيا على تجربة تاريخية لحضارة المدن الفينيقية ، التي شكّلت سبقا حضاريا على سائر شعوب العالم القديم خلال الألفين الثاني والأول ق . م .

تنفرد مدينة أوغاريت بأهمية استثنائية بين سائر مدن بلاد الشام ، فهي مهد أقدم أبجدية مكتوبة في التاريخ الانساني برمته .

اكتملت نشأة هذه المدينة على مدى 400 سنة (1600 – 1200 ق . م) ، وفيها افصح الفينيقيون عن عبقريتهم الابداعية الفكرية والمعرفية .

نافست الأبجدية الأوغاريتية اللغة الأكادية في بلاد مابين النهرين ، والتي كانت بمثابة اللغة العالمية في ذلك العصر . فالتطور الذي أحدثته الأبجدية الأوغاريتية تمثّل بتجاوز الكتابة المقطعية الثقيلة السائدة آنذاك الى الكتابة التركيبية بالحروف البالغ عددها 28 حرفا ، والتي كانت تكتب من اليسار الى اليمين ، ثمّ لم يلبث الفينيقيون أن اختزلوها الى 22 حرفا وجعلوا كتابتها من اليمين الى اليسار ، وهي الكتابة التي تفاعلت مع الكتابات الأكادية والسومرية والبابلية والهيروغليفية المصرية ، وكذلك مع سائر اللهجات اللغوية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية والمجال الاقليمي ، حيث تجلّت التفاعلات فيما بعد بظهور اللغة

العربية كلغة ملازمة للجماعات الأقوامية التي توزّعت الانتشار في المجال الجغرافي العربي ، الذي لم يلبث أن تطور الى مجال قومي يعكس خصوصيات المنطقة العربية برمتها .

تمتاز أوغاريت بموقعها المطل على البحر المتوسط الذي منحها شبكة من العلاقات الدولية آنذاك دلّت على ذلك أختامها الملكية الرسمية ، التي كشفت عن صلات وطيدة كانت تربط ملوك المدينة بالبلاط الحثي والمصري وغيرهما من الشعوب المجاورة .

كان ملك أوغاريت يتمتع بسلطة رأسية بصلاحيات جامعة ، فهو الحاكم السياسي الأعلى والكاهن الأكبر ، والسيّد المطلق ، والقاضي وقائد الجيش ، يليه شريحة النبلاء والكهنة ورجال الدين ، ثمّ يأتي المواطنون والتجّار والصنّاع والأحرار والعاملون في الزراعة (القوى المنتجة)، وفي أدنى السلّم الاجتماعي يأتي العبيد ، الأمر الذي يعكس البنية الطبقية في اجتماع المدينة الفينيقية .

هكذا ، كانت الاسهامات الحضارية التي اختصّت بها المدن الفينيقية (المدن – الدول) ، من حيث أنّها شكّلت تجربة حضارية غنيّة أكسبت الجماعة الفينيقية تميزا في الابداعات الحضارية مسجّلة سبقا على سائر الجماعات والشعوب المعاصرة لهم ، وكان كلّ ذلك بفعل النظرية الفينيقية التي جمعت بين الفكر الحر والاقتصاد المنتج ، وابتكار الأبجدية – الثورة في عالم الكتابة والمعرفة والاقتصاد ، والتواصل مع العالم الخارجي باندفاع وطموح وحضور فاعل ومتميّز .

رئيس رابطة المتقاعدين المدنيين في النبطية الأستاذ علي توبة

مختارات لغوية من أسماء وأوصاف " الأصوات" ودلالاتها

الصوت	الوصف والدلالة	الصوت	الوصف والدلالة
الأجيج	شدة الأصوات	الأديد	الجلبة والضجة
الأرزيز	صوت الرعد	الأزيز	صوت الرصاص أو صوت غليان القدر أو صوت الطائرة أو صوت الريح
الإستهلال	صوت الطفل عند الولادة	الإصطكاك	صوت الأسنان
الأنين	صوت الناي أو صوت المتألم	البربرة	صوت العنز
البُغام	صوت الظبية	البقبقة	صوت الجرة في الماء ، أوصوت الماء في بطن الفرس
التثريب	صوت الظبي	التحتحة	صوت الجلد
التغريد	صوت الطيور	التمتمة	صوت الشفة غير المسموع

التهواد	الصوت اللين	الثغاء	صوت الضأن
الجعجعة	صوت الرحى	الجفجفة	صوت الثوب الجديد
الجلجلة	صوت الرعد أو الجرس	الحترشة	صوت الجراد
الحسيس	صوت النار	الحشرجة	صوت النفس عند خروج الروح
الخضب	صوت القوس	الحفيف	صوت أوراق الشجر
الحمحمة	صوت القوس	الحنين	صوت الناقة
الخِب	صوت هدير الأمواج	الخرخر	صوت الماء أو الريح
الخرير	صوت الماء	الخفق	صوت النعل
الخفقان	صوت القلب	الخنين	صوت المتألم
الخوار	صوت البقر أو الغنم أو الظبارأو صوت السهام	الدبيب	صوت النمل أو الأقدام
الدردار	صوت الطبل	الدمدمة	صوت الرعد الشديد او صوت الريح أو صوت الرصاص
الدندنة	الطنين	الدوي	صوت المدفع أو النحل أو الرعد
الرجع	صوت الصدى	الرزيم	الزئير
الرشق	صوت القلم	الرخاء	صوت الجمل
الزئير	صوت الأسد	الزط	صوت الذباب
الزغردة	صوت الفرح	الزقاء	صوت الطاووس

الزقزفة	صوت العصافير	الزمار	صوت النعام
الزمازم	صوت الرعد	الزميم	صوت العصفور أو الزنبور
السجر	صوت الرعد	السجع	صوت الطائر
السحيف	صوت الرحى	السواس	صوت الحلى
السُوفة	صوت السُمّن	الشجيج	صوت البغل أو الغراب
الشخشخة	صوت السلاح أو صوت الورق أو صوت الحديد	الشخير	صوت النائم
الشنشنة	صوت الورق أو الثوب الجديد	الشهيق	آخر صوت الحمار
الصاحر	صوت الحديد على الحديد	الصأي	صوت العقرب
الصجيج	صوت وقع الحديد على الحديد	الصخيخ	صوت الغراب عند الفزع
الصرصرة	صوت البازّي	الصرير	صوت الجراد أو الأسنان
الصريف	صوت القلم أو الباب	الصفير	صوت النسر أو القطار
الصليل	صوت السيوف	الصهال أو الصهيل	صوت الفرس أو الحصان
الضُباح	صوت الثعلب	الضحِك	صوت القرد
الضغاب	صوت الأرنب أو	الضمضمة	زئير الأسد

	الذئب أو الثعلب أو الفهد		
الضوضاء	أصوات الناس	الطنطنة	صوت الأوتار
الطنين	صوت الأذن أو صوت الذباب أو صوت النحل	العِرار	صوت الظليم
العرير	صوت الصرصار	العُواء	صوت الذئب
الغاق	صوت الغراب	الغطغطة	صوت القطا
الغُنان	صوت الذباب	الغوغائية	كثرة الأصوات والضجة
الفحيح	صوت الأفعى	القشيش	صوت الأفعى
الفيّق	صوت الدجاج	القاع أو القيع	صوت الخنزير
القاقاء	أصوات الغربان	القرقار	هدير البعير
القرقرة	أصوات الحمام	القرقعة	صوت الحديد على الحديد
القشيش	صوت جلد الحيّة	القضقضة	صوت العظام
القعقاع	صوت السلاح أو القرطاس	القعم	صوت الديك
الكشيش	صوت غليان الشراب	الكصيص	صوت الجراد
الكهكهة	صوت الأسد أو البعير	اللجَب	صهيل الخيل أو أصوات الأبطال في المعركة
اللجّة	خفقان البطن بسبب الجوع	اللعلع	صوت الحجر إذا وقع على الأرض أو

			صوت الرعد
اللغط	صوت القطا	المضمضة	صوت الحية
المغاء	صوت السنور	المواء	صوت الهر
النبض	صوت القلب	النبيب	صوت التيس
النحيب	صوت الباكي	النزيب	صوت الغزال
النزير	صوت الظبي	النشنشة	صوت الدروع
النشيش	صوت الماء إذا غلى	النضيض	صوت اللحم عند الشواء
النعيب	صوت البوم أو الغراب	النعيق	صوت الغراب
النقنقة	صوت الدجاج	النهيز	صوت الفأر
النهيم	صوت الأسد	الهتملة	الكلام الخفي
الهدير	صوت الجمل في حنجرته	الهدهدة	صوت الهدهد
الهرهرة	صوت الضأن	الهرير	صوت الكلب دون نباح
الهزج	صوت الرعد	الهزيم	صوت الرعد
الهفيف	صوت الريح	الهويّ	الطنين في الأذن
الهيقم	صوت البحر عند الاضطراب	الوحى	صوت النار
الوعواع	صوت إبن آوى	الولولة	صوت القوس
اليُعار	صوت الماعز		

الأستاذ ماهر الحاج علي

من دروس الحياة

علمتني الحياة: أن أقرُنَ الشجاعةَ بالحكمة، فأُقدِمُ حيث يجب الإقدامُ، وأُحجِمُ حيث يجب الإحجامْ... وأن لا أدعَ الشجاعةَ تذهب بي الى التهلُكة...وأنّ الخجل يفتكُ بصاحبه الفتكَ الذريع حتى ولو كان عبقرياً، فهو يُشِلُّهُ ويُجمّدُهُ ويحرمهُ من تلك الثمار اليانعة التي يقطفها الأقوياء، فالتغلُّبُ عليه يكون بالإيحاء الذاتي وبالثقة بالنفس... فالمعرفةُ هي أفضلُ ما يتحلّى به المرءُ ليُحقق ما يصبو اليه.

علمتني الحياة: أن أكون رابط الجأش هادئاً، كما تعرفونني، أُسيطرُ على جموح الخيال وفوضى العاطفة كيما أحتفظ بنشاطي وطاقتي، فأُحارب أهوائي الطاغية بالعقل، وأُقابل الأقدار ولهيبها بثغرٍ باسمٍ ... وأن ألوذَ ما استطعتُ بالصمتِ والتأمل، فإذا تكلمتُ أنزَلتُ الكلمات منازلَها باعتدال وتؤدة.

علمتني الحياة: أن لا أفتح قلبي إلا للمخلصين وذلك بعد ما مررتُ بتجارب مريرة في هذه الحياة، وأن لا أذهب بالطيبة الى حدها الأقصى حتى أتّقي شرَّ الذئاب الشرسة ، والمستغلين القُساة الذين يرونَ في الرجل الطيب القلب فريسةً طيبةَ المذاق.

علمتني الحياة: أنّ في قوة الإرادة سِرَّ النجاح، وأن الذكاءَ الحادَّ وحده لا يكفي، فإذا ما اقترَنَ بالإرادة القوية حقّقَ المرءُ الكثير من أمانيه...

علمتني الحياة: أن أُراقبَ حركة الفكر، فأُبعِدُ عني ما استطعتُ السّويداء والقنوط، وأُوصِدُ الباب في وجه الشك والأخيلةِ المريضةِ والخوفِ في جميع أشكالهِ التي تحاول أن تغزو

الذهنَ، وتعكِّرُ صفوَهُ، وأنّ الألم لا يُثقِلُ على النفس إلا إذا ضخَّمَهُ الخيال، فلا يبتئِسُ المرءُ إلا بقدر ما يعتقدُ أنه بائس.

علمتني الحياة: أن أُقابلَ كل ما يحيطُ بي من أجواءَ قاتمة في هذه الأيام الصعبة، والتي تحاول أن تحطَّ من عزيمتي بالتفاؤل... وأن لا أتكلم عن نفسي وشؤوني وشجوني، حاشداً قوايَ وتاركاً للغير أن يُفضي ما عنده... وأن أبتعد عن العنف السائد حالياً بالميل نحو الحُلمِ والتسامُح... فليس هناك أروع من الكلمة الحلوة و الإبتسامة الرقيقة لكسب الصداقات وحلِّ المشكلات واتّقاء العداوات... فكل الغزواتِ تتطلب العنف والقسوة ، ما عدا غزوةٍ واحدةٍ هي غزوةُ القلوب التي لا تُنال إلا بالمحبة...

علمتني الحياة: أن لا ألجأ الى العجلة فهي من الشيطان كما يُقال، فالعجلة لها بريقُها وأنصارُها الذين ينادون بها في هذا العصر، عصر السرعة... غير أنها لا تحقّق للمرء ما يبتغيه في أي شأن من شؤون حياته العملية...فالرأي السليم أُبديه وأدعو الى الأخذ به، فإذا لم يختمر كان غير صائب... كما أن هذه السطور التي أخطُّها إذا أرسلتها بروقاً خاطفةً دون أن أعبأ بما يقتضيه التروّي والإتقان، فإنها تذهب مع الريح، ويتحوّل عنها القارئ الذي يتطلع الى جودة ما يقرأ، لا الى الوقت الذي صُرِفَ في التأليف... كما أن كل ما أقوم به من أعمال في مختلف الحقول، إذا لم أُخطّط له ولم أُعطِهِ حقَّهُ من الوقت ومن الزمن، باءت كل تلك الأعمال بالفشل الذريع...

حمدُ الله خيرُ ما أفتُتِحَ به القولُ واخْتُتِمْ، وابتُدئَ به الخطابُ وتُمِّمْ,,,

" وآخرُ دعواهُمْ أنِ الحمدُ للهِ ربّ العالمين" صدق الله العظيم.

د. دانية يوسف الزين

أخلاقيات التواصل

تعريف التواصل:

التواصل هو عبارة عن التفاهم ما بين طرفين معينين كنظامين أو كيانين أو شخصين، ويكون أحد الطرفين مرسلاً في وقت معين، والطرف الآخر مستقبلاً في وقت آخر، ويحدث تفاعل إيجابي فيما بينهما، ويكون ذلك من خلال استعمال الحواس من قبل كل من المرسل والمستقبل على حد سواء، والذي ينبع من الرغبة الشديدة في التواصل.

التواصل لغةً هو الاجتماع والإتفاق، وقد يأتي بمعنى التتابع، وهو عكس الإنقطاع، ويعتبر طريقة يتم من خلالها وصول الأشخاص إلى حالة من التفاهم، تكون من خلال تبادل المعلومات والأفكار والمشاعر، وفيها يكون أحد الأشخاص هو المرسل والآخر هو المستقبل. وتأتي على عدة أشكال مثل الحديث، أو الكتابة، أو الرسم، أو الإيماءات، وتتكون من عدة عناصر هي: الشخص المرسل، والشخص المستقبل، ومحتوى الرسالة، ووسيلة الإتصال، وردود الفعل(معجم المعاني الجامع).

طرق التواصل :هناك مجموعة طرق للتواصل منها:

- التحدث: أكثر الطرق شيوعاً للتواصل.
- الكتابة: تنفّذ من خلال الرسائل باستخدام الحروف والرموز المفهومة من قبل الطرفين(المرسل والمستقبل).
- لغة الجسد: طريقة غير لفظية للتواصل يتم بواسطتها إيصال رسالة معينة.

- التقديم أو العرض: تكون من خلال عرض تقديمي يتم فيه إيصال رسالة أو معلومة معينة، عن شركة، أو سلعة، أو غيرها من الأمور...
- المفاوضات: تكون من خلال استخدام الكلمات والدلائل المناسبة، والمقنعة أثناء التواصل.
- القيادة: تكمن أهمية التواصل للقائد مع فريقه بإيصال المسؤوليات المترتبة عليه، والتي ينتج عنها قيادة جيدة واحترام الفريق للقائد.
- الإستماع: من أهم وسائل التواصل؛ لأنّ الإستماع الجيد يمكّن الشخص من التوصّل الى جميع الطرق السابقة والقدرة على استخدامها.

تطور وسائل التواصل

من أهم المراحل والمحطات التي مرّت بتاريخ وسائل الاتصال ما يأتي:

- الوسائل البدائية : استُخدمت طرق التواصل بصورها البدائية في العصور القديمة عن طريق إصدار أصوات معيّنة، فإصدار الأصوات الصاخبة أو ذات النبرات والترددات المختلفة كان مؤشّراً للتواصل الاجتماعي مع الناس، أو دلالةً للتحذير من خطر ما.

وكانت الطبول تُستخدم كوسيلة لإرسال الأصوات والإشارات للقبائل المجاورة والمحيطة بالمنطقة، من خلال إصدار أصوات تتبع لأنماط وترددات معينة تُخبر الأطراف الأخرى بآخر المستجدّات التي قد يهمّهم معرفتها، بالإضافة إلى إشارات الدخان التي تُعدّ من أهم وسائل الاتصال المرئية بعيدة المدى، والتي كانت تُستخدم لإيصال معلومة مهمّة أو التنبيه عن وجود خطر أو مشكلة معينة.

- الكتابة استخُدمت الكتابة منذ آلاف السنين ، فقد ظهرت بشكلها البدائي على الألواح الطينية، واستمرّ استخدامها حتّى في عصر التكنولوجيا والإعتماد على الحواسيب، ولا تزال الكتابة تتقدّم وتتطوّر بشكل كبير ومتسارع. فقد كانت الصيغ الأولى للكتابة صوراً بدائيةً مجمّعةً في رسائل كانت تُدعى بالرسم الصوري، بحيث تُمثّل كلّ صورة فكرةً

بسيطةً واحدة، ومع مرور الوقت تمّ تجميع الصور البسيطة لتُعبّر عن أفكار شاملة ومعقّدة أكثر أُطلق عليها ايدوغرافيات.

استُخدمت عدّة وسائل وأساليب لتنسيق الحروف الأبجدية على مرّ التاريخ، و كان اليونانيون القدماء يضيؤون المشاعل بطريقة معيّنة للتعبير عن الحروف الأبجدية، كما أنّ رجال البحرية قديماً استخدموا الأعلام والأضواء الوامضة بطرق خاصة للدلالة على الحروف الأبجدية، وقد استخدم البشر في العصور القديمة مواد مختلفة للكتابة عليها، مثل: لحاء الشجر، والحجارة المُسطّحة، وجلود الحيوانات، حتّى أنّهم طوّروا بعض أنظمة الكتابة لتتكيّف مع أنواع المواد التي تُكتب عليها، فاستخدم البابليّون الألواح الطينية والحجارة المسطّحة للكتابة، أمّا المصريون القدماء فقد استخدموا قماشاً خاصّاً مصنوعاً من نبات البردي، واليونانيّون كتبوا على ورق نفيس مصنوع من جلود الأغنام والماعز، وفي الوقت الحالي يتمّ استخدام الورق الذي تمّ اختراعه في الصين في جميع أنحاء العالم المتحضّر.

- الطباعة تطلّب إعداد نُسخ متعدّدة من الكتابات قبل اختراع الطباعة وقتاً طويلاً وعملاً مُجهداً من الكتّاب الذين كانوا ينسخوها يدوياً، وقد تسبّب ذلك في جعلها غير متاحة لجميع الناس، ممّا قلّل من الدافع لدى الناس لتعلّم القراءة أو الكتابة، إذ سهّلت الطباعة إعداد نسخ متعددة وغير مكلفة من هذه الأفكار والكتابات.

يعود أصل الطباعة الى القرن الثاني، فقد تمكّن الصينيون من الطباعة عن طريق وضع الحبر على أسطح رخامية بطريقة معيّنة ثمّ وضع الورق عليها، وبحلول عام 500م استُخدمت الألواح الخشبية في بعض الأجزاء من قارة آسيا لطباعة الكتابات والرسوم، إلّا أنّ ذلك كان يتطلّب وجود لوح خشبي منحوت لكلّ صفحة من الكتاب، لذلك اخترع الصينيون في القرن الحادي عشر مجّسمات صغيرة للأحرف بمواقعها المختلفة من

الكلمات بحيث تكون بارزة عن اللوح الخشبي، ليتمّ إعادة تجميعها واستعمالها لطباعة نصوص مختلفة.

اخترع صائغ الذهب الألماني يوهان غوتنبرغ المطبعة خلال عهد الامبراطورية الرومانية حوالي عام 1440م، حيث طوّر نظام طباعة كامل بالاعتماد على الأدوات المتوافرة آنذاك وابتكر أساليب جديدة لذلكً، وقد ساهم اختراعه في زيادة إنتاجية المؤسسات المطبعية وربحها، وإحداث ثورة علمية من خلال نشر اكتشافات العلماء وأبحاثهم على نطاق واسع في المجلات العلمية، كما أصبح التأليف مُجدياً من الناحية المادية، وساعدت الطباعة على توثيق اسم الكاتب ووقت النشر، وساهمت في توثيق المراجع، والتركيز على فكرة تطابق الأعمال والكتب من حيث اسم الكاتب والمعلومات الواردة في الكتاب ممّا أدّى إلى ظهور الفهارس وترقيم الصفحات وهو ما لم يكن موجوداً قبل اختراع الطباعة.

- في عام 1832م اخترع صمويل فينلي بريز مورس التلغراف الذي كانت رسائله تستغرق أياماً وأسابيع وأشهر في بعض الأحيان حتّى تصل إلى وجهتها، ولكن بعد مدّ أول سلك تلغراف كهربائي في خمسينيات القرن التاسع عشر أصبحت الرسالة تستغرق بضع دقائق فقط لتُرسل من لندن إلى نيويورك، وتمكّنت الصحف من نشر الأخبار حول العالم في نفس يوم حدوثها، كما ساعدت الكهرباء على حصول ألكسندر غراهام بيل على براءة اختراع الهاتف عام 1876م، وهو جهاز ينقل الصوت على شكل تيّارات كهربائية تمرّ في أسلاك، وقد شكّل هذا الاختراع ثورةً إلكترونيةً في مجال الاتصال. ففي عام 1880م بلغ عدد أجهزة الهاتف في الولايات المتحدة فقط 30,000 جهاز.
- وسائل البث في بداية القرن العشرين أصبح بالإمكان إرسال الرسائل حول العالم دون استخدام الأسلاك عن طريق تشفير الرسائل بموجات كهرومغناطيسية تنتقل في الفراغ، فقد تمّ اختراع تلغراف لا سلكيّ عام 1901م مهّد لاختراع المذياع الذي انتشر بشكل واسع في البيوت والمحال بحلول عام 1920م، وفي عام 1926م بدأ العمل على

اختراع جهاز التلفاز الذي ينقل إشارات فيديو أكثر تعقيداً من إشارات الصوت في الفضاء باللونين الأبيض والأسود، إلّا أنّه شهد انتشاراً واسعاً في أواخر الأربعينيات، ثمّ تمّ اختراع التلفاز الملوّن في منتصف الخمسينيات والذي شهد انتشاراً واسعاً في أواخر الستينيات.

- **الوسائل الرقمية أتاحت التكنولوجيا الرقمية ضغط كميات كبيرة من البيانات وتخزينها ونقلها بكفاءة، ممّا ساعد على الاتصال الفوري للمعلومات النصية والصوتية والفيديو عن بعد وخفض تكلفتها، إذ تُستخدم الوسائل الرقمية في الوقت الحالي لتواصل الأفراد، وعقد المؤتمرات التجارية عن بعد، وإدارة الأموال في البنوك والشركات، كما لعبت الوسائل الرقمية دوراً محورياً في مجال الترفيه من خلال التأثيرات البصرية المستخدمة في الرسوم المتحرّكة الحاسوبية والأفلام، كما أنّ أجهزة الحاسوب قادرة على تخزين كميات هائلة من المعلومات ونقلها إلى أجهزة أخرى عن طريق شبكات الحاسوب أو الإنترنت.**

وسائل التواصل الاجتماعي

تعتبر وسائل التواصل الاجتماعي أداة جديدة ظهرت منذ أواخر القرن العشرين، لكنها انتشرت في مطلع القرن الواحد وعشرين، و جعلت حياة الناس أكثر بساطة، وسهلت التواصل بين أفراد المجتمع وبينهم وبين كافة دول العالم ، كما وفرت طريقة رائعة لتفاعل الأشخاص مع بعضهم البعض. بغض النظر عما إذا كان ذلك التفاعل للعمل أو التواصل الاجتماعي. كذلك منح الأشخاص العاديين صوتًا وقدرة على التعبير عن أنفسهم بحرية، ولهذه الوسائل أخلاقيات على المرء الإلتزام بها ليحصل على تجربة ممتعة وآمنة في آنٍ واحد. و هذه الأخلاقيات عبارة عن التزام بلائحة الآداب والأخلاق التي تتحكم بوسائل التواصل الاجتماعي قبل استخدامها .

أخلاقيات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي

تطورت أخلاقيات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي باستمرار نظرًا لكونها حديثة، لأنها انتشرت في العقد الأخير فقط، بالتالي فإن قضاياها وعيوبها لا زلنا نكتشفها يوماً بعد يوم، وهذه الآداب والأخلاقيات هي التي تحكم سلوك إتصال الأشخاص ببعضهم البعض عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتتناول كل ما يخص كرامة الفرد، وكرامة الآخرين، واحترامهم وخصوصيتهم.

تُمثِّل وسائل التواصل الاجتماعي ساحة تجمع بين حياتنا الشخصية والاجتماعية والمهنية في آنٍ واحد، لذلك يجب أن نتنبه جيدًا لما نفعله على هذه الساحة الشاسعة التي تضم مئات الملايين من البشر حول العالم.

أهم أخلاقيات استخدم وسائل التواصل الاجتماعي ما يلي:

- **الحرص على عدم مشاركة المعلومات الشخصية الهامة مثل العنوان ومقر العمل وغيره.**
- **الإبقاء على الخيط الذي يفصل بين اهتمامك بشخصٍ ما ومراقبة منشوراته ، شرط أن لا تصل إلى تعقبه وتصبح مهووسًا بذلك.**
- **استخدام ألفاظ مهذبة ولطيفة أثناء التواصل، وعدم استخدام أي لغة مسيئة.**

هذا ويمكن توزيع هذه الأخلاقيات الى:

أ- الأخلاقيات التي يجب توافرها عند استخدام مواقع التواصل الاجتماعي:

- الإلتزام بقيم المجتمع وآدابه العامة .
- الحفاظ على حقوق الملكية الفكرية للأفراد.
- تحديد مدة معينة لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي كي لا يضيع وقت المستخدم دون جدوى.
- احترام الرأي الآخر والإلتزام بآداب الحوار دون إساءةٍ ولا تحقير لأي مستخدم آخر.

- الحرص على التحقق من صحة ما يتم نشره على مواقع التواصل الاجتماعي.
- عدم استخدام أية أسماء مستعارة بهدف التسبب بأذى لأي مستخدمٍ آخر.
- احترام خصوصيات الآخرين وعدم اختراق حساباتهم بهدف سرقة بياناتهم الخاصة أو التجسس عليهم.
- الإلتزام بآداب النقد بأن يكون النقد موجهاً للفكرة لا للشخص ذاته.
- عدم التسرع في نشر المعلومات المغلوطة والأخبار الكاذبة والإشاعات المغرضة لما قد تسببه من بلبلة وتهديد للأمن الاجتماعي.
- عدم القيام بنشر صور للأشخاص قبل القيام بأخذ إذنٍ مسبقٍ منهم بذلك أو نشر صور مزيفة لهم.
- الإبتعاد عن لغة الكراهية ومضايقة الأشخاص بناءً على العرق أو اللغة أو الدين أو أي اختلاف آخر.
- عدم مشاركة المعلومات الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي كمعلومات بطاقة الائتمان وغيرها، حتى لا تقع عرضًة لعمليات النصب والإحتيال.
- الانتباه دوماً لما يتم كتابته أو إعادة نشره ومراجعته قبل النشر لئلا يتم استغلاله في سياقٍ خاطئٍ أو بصورةٍ مغرضة.
- عدم التسرع في إطلاق الحكم على الآخرين، مع التذكر بأن هناك فرقًا بين التواصل الافتراضي والتواصل الحقيقي.
- عدم الإشارة إلى أماكن تواجد الآخرين أو ذكر معلومات خاصة عنهم دون أخذ إذنٍ مسبقٍ منهم، لأن الإفصاح عن مثل هذه المعلومات قد يعرضهم للخطر.

ينبغي الالتزام بأخلاقيات استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لتفادي العواقب التي يمكن أن يتعرض لها الشخص في حال أساء استخدام هذه المواقع، ولمنع إهانة

الآخرين أو التسبب لهم بضررٍ نفسي.

ب- الأخلاقيات العامة للمدوّنين على مواقع التواصل الاجتماعي: المدونون هم الأشخاص الذين يقومون بنشر الأخبار ومشاركة الأفكار والمنتجات وغيرها ضمن مدوناتهم الخاصة . وأهم الأخلاقيات التي عليهم الإلتزام بها:

- الحفاظ على المصداقية والإبتعاد عن الإحتيال.
- توثيق المعلومات التي يتم طرحها بذكر مصادرها والإشارة إليها والالتزام بقواعد الإقتباس.
- في حال وجود معلومات غير مؤكدةٍ أو عدم وجود ثقة في مدى صحتها يجب تنبيه المتابعين لذلك قبل تقديمها.
- عدم الخلط ما بين الحقائق المثبتة والإعلانات والمواد التجارية.
- الإعتراف بالخطأ عند الوقوع به وتصحيح ما تم نشره للمتابعين.

- **أخلاقيات اسنخدام الانترنت**

بما أن معظم وسائل الاتصال تعتمد على الأنترنت أرى من الضروري عرض أهم القواعد الأخلاقية التي يجب على الأفراد الذين يستخدمون الأنترنت اتباعها، ومنها :

- عدم استخدام أجهزة الكمبيوتر لإلحاق الضرر بالمستخدمين الآخرين.
- عدم استخدام أجهزة الكمبيوتر لسرقة معلومات الآخرين.
- عدم الدخول إلى الملفات دون إذن المالك.
- عدم نسخ البرامج المحمية بحقوق النشر بدون إذن المؤلف.
- احترام قوانين وسياسات حقوق النشر.
- احترام خصوصية الآخرين، تمامًا كما تتوقع منهم.

- على المستخدم عدم استخدام الأنترنت عن قصد لاسترداد أو تعديل معلومات الآخرين، والتي قد تتضمن معلومات كلمة المرور، والملفات، وما إلى ذلك...

نظريّة الفعل التواصليّ : نظرية الفعل التواصلي هي مشروعٌ بالغُ الأهمّيّة يعيد بناءَ مفهومِ العقل الذي لا يستند إلى مصطلحات مفيدة أو موضوعية، بل إلى فعل تواصليّ تحرّري

- تقترح عملية إعادة البناء هذه «إمكانية تحليل الفعل والفهم الإنسانيّ بشكلٍ مثمرٍ كهيكلٍ لغويّ»، ويعتمد كلّ قول على توقّع التحرّر من الهيمنة غير الضرورية.

مفهوم الفعل التواصلي يفترض اللغة بوصفها الوسط الذي يمكن أن يتحقق فيه نوع من التفاهم، ومن خلاله يستطيع المشاركون في التفاعل أن يُثيروا مزاعم الصدق التي يمكن الاتفاق عليها، أو الاختلاف حولها وقد طور "هابرماس" نظريته الفعل التواصلي من بعض الأفكار المتعلقة بالمضامين التي ينطوي عليها الحوار أو المحادثة .

حدد هابرماس في تصديره للكتاب الذي يحمل العنوان مدخلًا لثلاثة موضوعات متشابكة:

أولًا: مفهوم العقلانية التواصلية الذي هو ذو طابع شكلي، وإن كان في نفس الوقت يقاوم الإقتصار على معالجة العقل من الناحية المعرفية معالجة أداتية. ثانيًا: مفهوم ثنائي المستوى عن المجتمع يربط بين العالم المعيش ونماذج المنظومات (أو المؤسسات) في شكل ليس إنشائيًّا فحسب.

ثالثًا : نظرية عن الحداثة تفسر نمط الأمراض الاجتماعية المتزايدة في عصرناالحديث.

المقصود، بنظرية الفعل التواصلي هو وضع سياق الحياة الاجتماعية التي نجمت عن مفارقات الحداثة في إطار تصوري عقلي أو مفهومي، ومعنى هذا بعبارة أخرى أن "هابرماس" أراد إحكام البناء التصوري العقلي للبناءات الاجتماعية، التي يتم فيها التواصل.

ايجابيات وسلبيات وسائل التواصل الاجتماعي:

أ- الايجابيات: تتعدد إيجابيات مواقع التواصل الاجتماعي، ومن أبرزها:

- توسيع دائرة العلاقات الاجتماعية.
- تقليل الحواجز التي تعيق الإتصال.
- تعتبر وسيلة لتشكيل رأي عام فعّال، كما أنها وسيلة فعالة للترويج.
- تساعد على متابعة أخبار العالم.
- تساعد رجال الأعمال والشركات في متابعة أعمالهم والترويج لها.

ب- السلبيات: على الرغم من الإيجابيات التي تتمتع بها مواقع التواصل الاجتماعي، إلا أن لها بعض السلبيات، ومن أبرزها:

- مخاطر الإحتيال أو سرقة الهوية .
- إضاعة الوقت واختراق الخصوصية.
- قد تكون وسيلة لإرتكاب الجرائم ضد المستخدمين.
- تؤثر على العلاقات الأسرية.
- فيها بعض المخالفات للعادات والتقاليد.
- تؤدي إلى العزلة وتدني التحصيل الدراسي للطلاب.

علاوة على هذه السلبيات هناك مخاطر يتعرض لها مستخدم وسائل الإتصال، وخاصة الأطفال نظراً لقلة خبراتهم وعدم تمييزهم الخطأ من الصواب، ومن أضرار مواقع التواصل الاجتماعي على الأطفال ما يلي:

- تعرضهم للإساءة والمضايقات والتنمّر.

- **توصلهم إلى المحتويات المسيئة مثل المواد الإباحية وغيرها عن طريق الصدفة أو القصد.**
- **نشر فيديوهات وتسجيلات غير مناسبة من قِبل الأطفال نتيجة لقلة وعيهم، وهو الأمر الذي قد يعود عليهم بالسوء.**
- **يمكن لوسائل التواصل الاجتماعية أن تتسبب بتعرّض الأطفال لمشاكل عديدة مثل تدني احترام الذات والقلق المستمر.**

مهارات التواصل المباشر

- تعريف: المهارات هي القدرات التي تُستخدم عند تقديم أو تلقي مختلف أنواع المعلومات ، أو التعبير عمّا يحدث في المجتمعات الضيقة و الواسعة. باختلاف الوسيلة المستخدمة ، نجد أنّ التواصل وجهًا لوجه يكون في الغالب أكثر صعوبة من التواصل عبر الهاتف أو البريد الإلكتروني أو التقنيات الحديثة (فايسبوك– تويتر – يوتيوب...)، ولكلّ طريقة ومميزات ومهارات خاصّة بها لابدّ من اكتسابها لإتقان عملية التواصل الفعّال.

في هذه العجالة ضمن هذا المقال سنتعرّف على مختلف أنواع مهارات الإتصال هذه، وكيفية تطويرها وتحسينها لتحقق الفائدة الأعظم من هذه العملية. بسلوكيات بسيطة، تعلّم فن الثقة بالنفس لأنها مفتاح الوصول للنجاح في الحياة ، ولتحقيق الأفضل في مجال العمل و في العلاقات. ، نذكر المهارات التالية:

- مهارات الإستماع الفعّال ويعني ذلك أن نعير الشخص الذي يتحدّث إلينا كامل الإنتباه. حيث يتمتّع الأشخاص الذين يمتلكون مهارة الإستماع الفعّال بسمعة حسنة بين زملائهم في الدراسة والعمل، نظرًا للإهتمام والإحترام اللذان يقدّمونهما للآخرين.

- **القدرة على تكييف نمط التواصل مع الجمهور ونعني بهذا اختيار أسلوب وطريقة التواصل المناسبة بناءً على الشخص أو الأشخاص الذين نتواصل معهم.**
- **اللطف في التواصل لانه يعبّر عن جميع السلوكيات الإيجابية : الإبتسام للآخر حينما يتحدّث إليك، أو امتداح تصرفًا قام به. وكذلك الإنجذاب للأفكار التي يتمّ التعبير عنها بثقة حتى وإن لم تكن أفكاراً إبداعية.**
- **الوضوح واختيار نبرة الصوت المناسبة: من المهم أن يكون الصوت واضحًا ومسموعًا عندما تتحدّث، حيث أنّ القدرة على اختيار نبرة ودرجة الصوت المناسبة اعتمادًا على السياقات المختلفة تعدّ مهارة ضرورية لتحقيق تواصل فعّال. فقد يعبّر الصوت المرتفع في بعض المواقف عن الفظاظة وقلّة الاحترام، في حين يدلّ الصوت المنخفض في مواقف أخرى عن الضعف وانعدام الثقة بالنفس. لذا لابدّ من اختيار نبرة صوت مناسبة بناءً على الموقف.**
- **التعاطف لن يتم التمكّن من تحقيق تواصل فعّال إن لم نكن قادرين على تفهّم مشاعر الآخرين، والتعاطف معهم. لابدّ لنا من فهم مشاعر الآخرين حتى نتمكّن من اختيار الكلمات المناسبة التي نردّ بها عليهم. فالتعاطف مع شخص يشعر بالحزن والإحباط، سيسهم في إشعاره بالتحسن.**
- **الإحترام إحدى أهمّ جوانب الإحترام تتمثّل في معرفة الوقت المناسب الذي نبدأ فيه بالحديث أو الردّ، سواءً كان ذلك أثناء التواصل مع شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص، حيث يعتبر إعطاء المجال للآخرين للحديث دون مقاطعتهم إحدى أهم مهارات التواصل المرتبطة بالاحترام.**

المراجع

1- أسماء حسيت مكاوي، أخلاقيات التواصل الرقمي، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسة 2017

2-حسين جلوب، مهارات الاتصال: الاتصال مع الآخرين، دار كنوز المعرفة العلمية 2010

3-محمود أمين الأخلاق والاتصالات 2020

4-محمود أمين، الاتصالات وسيكولوجية العلاقات الانسانية 2019

5-يورغن هابرماس، أدب الأخلاق ، مترجم 2019

6- الاعلام ووسائط الاتصال الحديثة، أبحاث مؤتمر الجتوب الثاني الذي نفذه تجمع خريجي العلوم الاجتماعية دار رشاد برس 2014

الرئيس الفخري للمجلس القاري الأفريقي: الأستاذ ابراهيم فقيه

هل من يعتبر؟

لبنان والاغتراب اللبناني توأمان ومنذ كان الزمان، وطموح اللبنانيين في اكتشاف الآخر، والتعرف عليه، أدى الى وصول المهاجرين الى آخر الدنيا، عابرين البحار والمحيطات، بالرغم من كل مآسي وصعوبات الحياة.

حيث كان يراود اللبناني منذ القدم حلم المغامرة، لتحقيق ذاته في السفر والهجرة، مكتشفاً عالماً آخر، ناشراً الحرف، يعلمه لأنواع البشر. ويصنع البواخر والمراكب من خشب الأرز والسنديان، حاملاً ما ينتجه في أرضه ومحترفاته، عائداً بما يحتاجه مما أنتجه الآخرون، حيث كانت التجارة لدى اللبناني تخطو خطواتها الأولى ، كما شكلت الحروب العالمية والاقليمية والداخلية حافزاً مشجعاً للشباب اللبناني على الهجرة، فاستفادوا مما توصلت اليه الشعوب المتقدمة، والدول الصناعية، من علم وخبرة وحداثة، كما استطاعوا أن يرفدوا ، تلك المجتمعات المضيفة لهم، بخبرتهم ونشاطهم وكفاحهم الدؤوب الذي تميزوا به، فتوصلوا ليشكلوا رقماً صعباً في المجتمعات والدول التي يقيمون ويعملون فيها، وعبر تأقلمهم وتفهمهم لعادات الشعوب وتقاليدها وتطلعاتها، واحترامهم لقوانين تلك البلاد وأنظمتها. مما أتاح لهم أن يكونوا جزءاً أساسياً من تلك المجتمعات. فنجحوا وتألقوا في ميادين الاقتصاد والعلم والاجتماع والطب والهندسة والتجارة والإبداع في كافة مجالات الحياة.

وفي القرن الماضي وحتى تاريخه من هذا القرن كان للاغتراب اللبناني في أفريقيا دوراً مميزاً، وشكلوا كمغتربين علامة فارقة، على امتداد القارة الخضراء.

وهذه النجاحات الباهرة عبر القارات خففت الكثير من الازمات الاقتصادية التي عانى منها لبنان عبر تاريخه منذ أيام السلطنة العثمانية ونظام المتصرفية مروراً بالحرب العالمية الاولى والمجاعة التي عانى منها اللبنانيون المقيمون، الى أيام الانتداب الفرنسي واستقلال عام 1943 ثم ثورة 1958 التي تلتها فترة قصيرة من محاولة انشاء مؤسسات الدولة في العهد الشهابي، حتى كانت الحرب الاهلية عام 1975 دامت خمسة عشر عاماً تخللها الإجتياح الاسرائيلي عام 1982 ، تلاه عدواني 1993 و1996 مع اعتداءات يومية على مدن الجنوب وقراه الى أن كان التحرير المشرّف عام 2000م . عاش اللبنانيون فترة قصيرة من العز والبحبوحة حتى كان عدوان 2006 الذي دمّر البلاد تدميراً شبه كامل، واجهه اللبنانيون بالصمود والمقاومة في وجه أعتى الحروب وأشرسها، فانقلب السحر على الساحر وتحقق الإنتصار .

واليوم وبعد هذه الازمة التي لم يعرفها لبنان عبر تاريخه من كارثة اقتصادية اجتماعية ومالية ، والإنهيار الكامل لما يسمى الدولة اللبنانية، لا يزال الاغتراب يشكل الداعم الأوحد و الرافد الأساسي لمنع المجاعة وإبعاد شبح الموت المتجلّي بالفقر المدقع، عن قسم كبير من الشعب اللبناني، ولو كان للمغتربين دور في رسم السياسات اللبنانية الاقتصادية منها والمالية وكذلك التنموية والاجتماعية لكان وضع لبنان أفضل بكثير مما هو عليه اليوم، ولو كان رأي الاغتراب مسموعاً، ولو استفاد المسؤولون من تجارب المغتربين الناجحة والمتألقة في كافة ديار الانتشار... لكان لبنان خارج الأزمات.

المغتربون نظموا أنفسهم منذ أكثر من نصف قرن عبر الجامعة اللبنانية الثقافية في العالم التي تضم الى جانب مجلسها العالمي ، مجالس قارية ، ومجالس وطنية وفروع

لازلنا نحرص على تفعيلها وتعزيزها ضمن أنظمة الجامعة خير ممثل شرعي وحاضن دائم للمغتربين في كافة أنحاء العالم.

هؤلاء المغتربون الذين يلتقون في مؤتمراتهم بعيدين عن الطائفية والمذهبية والمناطقية، وحتى عن النزاعات السياسية، مبعدين عنهم الخلافات الشخصية والمصلحية والأنانيات الذاتية.

همهم حماية ورعاية جاليتهم اللبنانية المنتشرة عبر القارات الخمس وإنقاذ لبنان وشعبه من مخاطر الانزلاقات التي أوصلوه اليها كان من واجبهم إقامة مؤسسات ناجحة لدولة كان المفترض منها أن تكون راعية وعادلة، بعيداً عن الهدر والفساد المستشري في كل المفاصل وفي كافة مجالات الحياة وفي كل مكان من لبنان ، بينما الاغتراب اللبناني يسمو بأبنائه الذين يحلقون بنجاح مستمر كنجوم ساطعة في سماء العالم، ويبهرون الشعوب والدول في عطاءاتهم وتفوقهم وتميزهم ، والأسماء المشعّة منهم لا تعد ولا تحصى، هل يا ترى يتّعظ ويستفيق المسؤولون عن مؤسسات الدولة مع شركائهم من المصرفيين والمستوردين والسماسرة المتاجرين بأحشاء الوطن والداعمين للفساد والمفسدين الذين تحكموا بالبلاد والعباد لعقود طويلة دون أن يرتدعوا أو يرفّ لهم جفن، بالرغم من وصول البلاد الى الإنهيار الكامل. وهل يمكن لهؤلاء ، من تنطبق عليهم صفة مصاصي الدماء، أن يفهموا ويستوعبوا كيف ولماذا حقق المغتربون اللبنانيون هذا النجاح الباهر في ديار الإنتشار ؟

ولماذا حوّل أهل السلطة البلد الذي كان يدعى سويسرا الشرق الى جهنّم كما توقع له رئيس البلاد؟

ترى هل يقف هؤلاء مع ذاتهم ولو لمرة واحدة عن ضمير ضائع؟ لعلّ قطار الوطن ينطلق من على السكة الصحيحة في رحلة الألف ميل.

الأستاذة فاطمة بشر

Pomegranates: The Beauty of Opposition

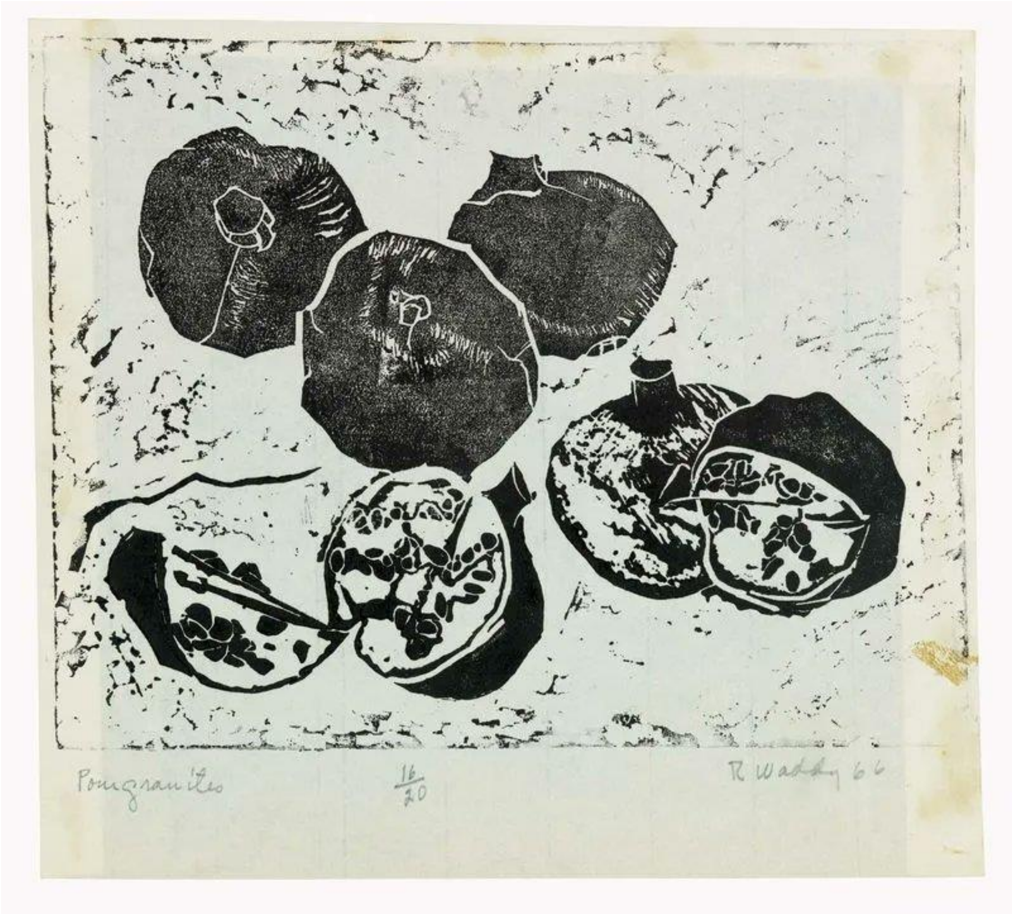

by Ruth Waddy 1966

{what, when we are dead and become
dust and bones, shall we indeed
be raised up?
What, and our fathers, the ancients?
Say: "Yes, and in all lowliness."} [37:16]

Death, as regarded by most religions and philosophies, is a home-coming: the body returns to the earth, the soul to its creator. A reunion of matter, this cycle is, a redistribution that results with a new birth. To regard death from a religious view, it is a mere gateway to an endless life, where in this case we can define this process as a rebirth.

The course of birth and death is pretty much surrounding everything in life around us; it is the core cycle on which it stands. What has drawn my attention recently is how in our arrangement of the four seasons, "autumn" (death), precedes "spring" (birth), when this circle of natural changes is highly regarded as the metaphor of life by various poets an d artists. It is strange how in such an important process humans have collectively agreed that autumn and winter's destruction and death of nature must precede spring and summer's birth and fruitfulness. Nevertheless, and despite the semi cessation of nature's work, many trees start to bloom and give their fruits during that part of the year, and it is beautiful how most of these trees are considered holy by Abrahamic religions, such as figs, olives, grapes, and pomegranates…

The pomegranate, a tree perceived as holy and heavenly by most religions, holds thousands of secrets and meanings in its graceful stretched branches with its delicate green leaves and fiery red globes that dangle from it like jewelry boxes. In literature and myth, pomegranates are used to symbolize several things, which are associated with either life or death. This contradiction in its meaning has attracted many poets who found it as a very inspirational muse for their work.

In Ovid's "Metamorphosis", as he was describing Venus's arrival to Adonis's dying body, he informed the reader of the goddess's purpose and wish: Adonis's blood will be turned into a flower. Anemone, the blood red flower, in Greek mythology has a deep connection with pomegranates, for it was also believed that the pomegranate tree has sprung from the blood of the god in demise.

> ***… a flower sprang out of that soil,***
> ***blood red in its color,***
> ***just like the flesh that lies underneath***
> ***the tough rind***
> ***of the seed-hiding pomegranate.***
> ***Brief is its season***
> ***for the winds from which it takes its name,***
> ***the anemone,***
> ***shake off those petals so lightly clinging***

and fated to perish."

[The Metamorphosis book X, 850]

Pomegranate seeds and juice have also been associated with blood in "The Unicorn in Captivity", a medieval European tapestry which shows a unicorn bearing his bloodied wounds beneath a pomegranate tree which he's chained to. If we take a closer look at the animal's wounds we realize they aren't bleeding, but crying red seeds. It is said that the captivity of this unicorn under a pomegranate tree is a symbol of the fertility of a soul's marriage with Christ. Viewing this piece of art from a religious point it reminded me of the Quranic verse {and palm trees, and pomegranates} [55;68] for the great likeness that this pomegranate tree in the tapestry holds for Rhapis palm trees. Contrarily, in Armenian mythology, the pomegranate was a symbol of life, fruitfulness and fertility, though in the Soviet-Armenian director Sergei Parajanov's film "The Color of Pomegranates", pomegranates were used as symbol of martyrdom and sacrifice, imagery for blood-shed and suffering.

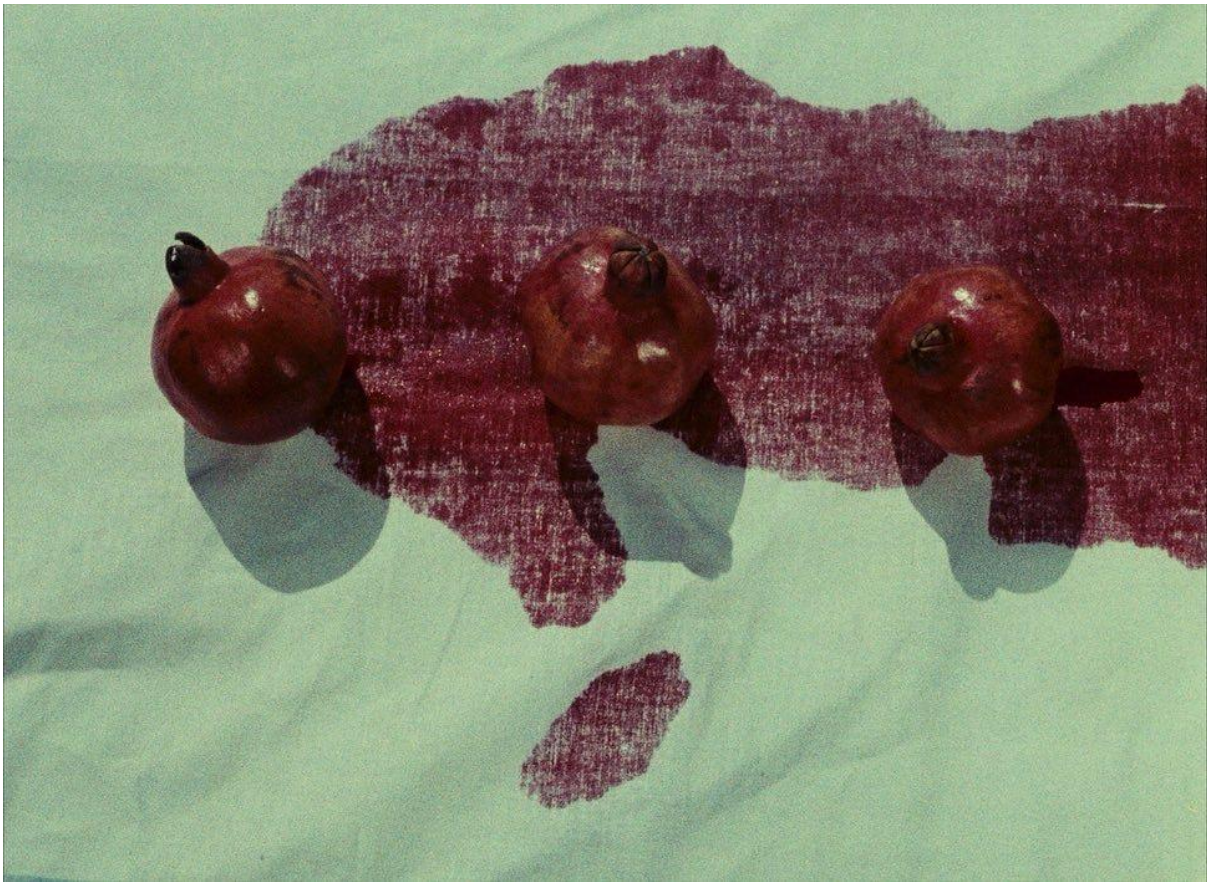

shot from “The Color of Pomegranates” 1969

To dive deeply into the contradictive meanings of pomegranates we find
the beauty of opposition lying in the myth of Hades and Persephone, which narrates the story of the goddess of life and spring who fell in love with none other than the god of the dead and underworld. Hades kidnaps Persephone and takes her to his kingdom, making her a ruler of the underworld alongside him. Demeter, Persephone's mother, goes mad after her daughter's separation, she lets the crops die, starves the mortals, replaces spring with an everlasting winter, disguises herself as a mortal and suffers with them. As the goddess of spring

was living in the realm of death, the gods feared no one would survive the madness Demeter has put the people through, so they ask her to return to her mother, ending the debacle. Before Persephone left her husband he makes sure she eats some of his pomegranates, the fruit of the underworld, to make sure she would return to him after. The pomegranates here signify a link between the two lovers, a strong bond that even the other gods can do nothing about. When Persephone reaches her mother, the goddess quits her mourning but she is not quite satisfied, her daughter has changed, she's seen the dead, married their king, and must return back to him; her mother's green kingdom did not really suit her anymore.

The myth of Hades and Persephone has intertwined the concepts of life and death into one, Demeter and her daughter rewound the cycle of death and rebirth, the cycle of winter and spring; and this specifically is the essence of pomegranates. Pomegranates are exactly the goddess of spring entering the kingdom of Hades and becoming its queen, they represent the queen of the dead, the wife of hades returning back to her mother's green kingdom; uneasy and off putting in all places.

Spring arrives with death still on her.

It hurts to be born.

–Emily Kendal Frey, from *Sorrow Arrow*

We bury our bodies in the earth we eat our food from. Pomegranates represent this cycle which we might view as contradictive. Nowadays, and despite the brutal modernity off our flesh alive, many people still seek nature to find refuge and inspiration there.

الدكتور الصيدلي عباس وهبي

الشاعر العاملي اللبناني العربي العالمي المفكّر الدكتور محمد علي شمس الدين

"قراءاتٌ في شاعريّتهِ الفنيّةِ المسرحيّةِ ، وفي أدبهِ وفلسفتهِ، و فكرهِ وانتمائهِ العقائدي "

هو السندبُاد الذي قلب الآية عندما قال : في البداياتِ كانت النارُ علماً أنّ الآيةَ القرآنية الكريمة تقول :" و كان عرشُهُ على الماء" ، والأسطورةُ البابلية تقولُ :" في تلك الأزمان الأولى لم يكنْ سوى المياه " ! شاعرٌ ترك بصماتهِ ليس في الشعرِالعربيّ فحسبُ بل و العالميّ أيضاَ ،و ما انفكّ الباحثون يغرفون من نتاجهِ الغنيّ فالدراساتُ والأبحاثُ و المقالاتُ النقديّةُ حوله جمّةٌ وخِصبةٌ و غنيّةٌ بمقدار ما ينهلون من معينِ إرثه مُبحرةً في موضوعاتٍ شتّى على غرار أسلوبه ولغته الشعريّة ، و مملكةِ شعريّته الزاهية ، و توظيفه للفلسفة والتراثِ الصوفيّ ، والرمزية ، و تصويره للمرأة والفنّ بكلّ إشراقاته المتوهّجة ...

... لقد وُلد في 15/10/ 1942 في بيت ياحون في الجنوب اللبناني و توفّيّ في 2022/09/11 ، و نال إجازةً في الحقوق و دكتوراه في التاريخ في الجامعة اللبنانية ، و هو عضو إتحاد الكتّاب اللبنانيين ، وعضو إتحاد الكتّاب العرب ، و عضو شرف في رابطة الكتّاب الأردنيين .

أعماله الشعريّة والأدبية – سيرتهُ ورؤيتهُ الشعريّة ،الأدبية ، والفلسفيّة – الفكريّة : له أعمال شعريّة صدرت بطبعات متعددة نذكر منها : " قصائد مهرّبة إلى حبيبتي آسيا عام 1975 ، غيمٌ لأحلام الملك المخلوع 1977 ، أناديك يا ملكي وحبيبي 1979 ، الشوكة

البنفسجيّة 1981 ، طيورٌ إلى الشمس المرّة 1982 ، أما آن للرقص أن ينتهي 1989، أميرال الطيور 1992 ، منازل النرد 1999 ، ممالك عالية 2002، شيرازيات 2005، الغيمة التي في الضواحي 2006، اليأس من الوردة 2009، ينام على الشجر الأخضر الطير 2012، النازلون على الريح 2013 ، كرسي على الزبد 2018 ، وآخر ديوان كان : خدوش على التاج والذي أصدرته عائلته الكريمة بُعيد وفاته بقليل ، وذلك في معرض بيروت الدوْلي للكتاب في 2022/12/03 ، إضافةً إلى بعض المؤلّفات في النقد الشعري – الأدبي والفلسفي التي سيرد ذكرها في هذه العجالة على غرار / غرباء في مكانهم / وغيرها...و قد كتب شعراً للأطفال في مجموعته " غنوا غنوا " عام 1983، و كذلك القصة " كنز في الصحراء " التي صدرت في السنةِ نفسها ،ليواصلَ هذا الشكل الكتابي حيث تجاوزت قصصه المكتوبة للطفل اثنتي عشرة قصّة ، و لُحّنت القصائد التي كتبها للصغار أيضاً. نال جائزة العويس للشعر دورة 2011/2010 و تمّ اختياره الشخصيّة العربيّة المكرّمة لجائزة الشارقة للشعر العربي 2015 ، و قد صدرت ملفّات في شعره في كلّ من مجلّة العربي (الكويت)، أدب و نقد (القاهرة) ، الحداثة (بيروت) ،بيت الشعر و إتحاد الكتّاب الفلسفي (رام الله) ، . كُتبت في شعره أبحاثٌ متعددة و صدرت الكتب التالية : " البحث عن غرناطة بالأسبانية للمستشرق بيدرو مونتابت منشورات المنارة – مدريد 77/76. / لغة محمد علي شمس الدين الشعرية د. علي مهدي زيتون منشورات حركة الريف الثقافية 1996./ م.ع.ش. أميرال الطيور د. محمد حمود دار الفكر اللبناني 2008 / شعريّة الانزياح دراسة م. ع. ش. الشعرية أُميمة الرواشدة أمانة عمان الكبرى 2004 . / فواعل الاثارة الجمالية في شعره د. عصام عبد السلام شريح دار النعتز 2018 . / نفي الغياب في رحلة الاياب ،/ قراءة في قصيدة يوم الأحد الواقع فيه صمتي للشاعر م. ع. ش. تأليف عمر شبلي دار العودة 2015 / . قصائد أنبتتها الصخور في سيرته مصطفى الجوني / 2019 .و قد كُتِب في شعره أكثر من ثلاثين أطروحة ماجستير و تعبثُ في مرادها الأجسامُ/. والفارسيّة

والانجليزيّة والأرمنيّة والرومانيّة . عاش في بيروت والجنوب اللبناني ، ومارس التعليم الجامعي و عمل مديراً للتفتيش في الضمان الصحّي الاجتماعي .

محمد علي شمس الدين شاعر الانسان والأرض والمقاومة المسكون بالتراث العربي والأصالة والفلسفة والتاريخ ، إنّه الشاعر الأديب والمفكر لا بل السندباد الذي لم يهبْ موجَ الدنيا العالي بل راح يُبحرُ و بكلّ شجاعةٍ ، فكان الشاعر الصوفيّ الملهم والملمّ بالتاريخ العربي ، و شعرِه ورموزِه ، و المطوّع للأساطير والتاريخ في صيرورةِ شعرِه النوراني . لقد كان ناقداً صارماً حاملاً لسيف الحقّ فيقطعُ ما نفر و شذَّ بشفرة قلمه ذو الحدين ، ويُبارك ما جاد و ما تألّق لذا نراه قد غزا بنقده العديد من المؤلّفات بالنقد والتحليل دون هوادة ، ودون رادع و كلّ ذلك من أجل تنمية المعرفة ، وصقل العقول ، وحماية الشعرمن الركاكة والابتذال . و بابُ النقد والردّ والمطالعة والمراجعة ، هو من أكبر أبواب العلم ، و مفاتيح أقفال المعارف ، ومناجم الحقائق التي تنجمُ عن احتكاك الآراء ، وتبادل الأفكار ، ومُصارعة الخيال والحقيقة ، ومُقارعةُ العقل والوهم . هو الشاعر المقاوم و كيف لا و هو من شرب من ينابيع جبل عامل الفكريّة الرقراقة ، و أنهار علمائه الهدّارة ، وهو من ذاق أسوةً بأهله و شعبه من ويل الهجمات الصهيونية فتحلّى بمواقف مشرّفة توّجت إخلاصه للجنوب والوطن والأمّة العربية ، ولتحرير الانسان في كلّ زمكان . لقد استلهم الابداع الشعريّ والأدبيّ من إلهام جبل عاملة جبل القداسة ، جبل الفكر والبلاغة والشعر المترنّم بأوزان الفراهيديّ والأدب المتوقّد من حرارة الايمان والابداع ، جبلُ المقاومة التي انطلقت منذ أن أطلق شرارتها الحاج موسى و أحمد الشقيفي في قلعة الشقيف ضدّ التحالف الصليبي الأيوبي العجيب الغريب! مروراً بالشهيدين الأوّل والثاني وصولاً إلى شيخ المقاومين ناصيف النصّار ... وصولاً إلى المقاومة الوطنية والاسلامية ..وقد صدق فيه قولُ أبي الطيّب المتنبّي حين قال :/ وإذا كانت النفوسُ كباراً تعبثُ في مرادها الأيّامُ / .لقد تمتّع بذكاءٍ وقّادٍ و ألمعيّةٍ تفوّق بها على كثيرٍ من الشعراء في حينٍ صرنا في زمنٍ نقولُ فيه :" الشعرُ منقصةٌ للكامل و كمالٌ للناقص ". و

يقول الشاعر المصري أحمد إمام :" بدأ شاعراً مقاوماً ملتزماً بقضايا وطنه ، و مات على النهج نفسه ، و لكن على طريقته . لم يتورّط في الكتابة المقاومة بمفهومها التحريضي الساذج ، ولم يقعْ في المباشرةِ المُنافية للطبيعة البشريّة ، وانحاز إلى الفنّ ذاته كفعلٍ مقاوم .استمرّ في السفر من الفلسفة إلى التاريخ ، ومن التصوّف ألى الرمزيّة ، واستمرّت أسئلة الشاعر التي أتبعها دائماً بفراغاتٍ ليست تُفضي ، كان يعرفُ جيّداً أنّ الشاعر عدوٌّ حقيقيٌّ للاجابات ...." وفي مقابلة له مع ألترا صوت يقول : " أعتقد أنّ ما حملني إلى عالم الكتب هي رغباتي المُبكرة في القراءة ، وهي رغبات تكاد تكون غريزية كحبّ المطر أو أو الريح أو البحر . من عمر الثانية عشرة كنت أدّخر من مال الجيب وأشتري الكتبَ و كانت حيازة الكتاب متعةٌ و هوايةٌ كالمشي أو السّفر أو اقتناء الطيور . هذه الغريزة راكمت عندي عدّة مكتبات تتبعُني في أماكن سكني المتنقلة . و كان في مكتب العمل عندي مكتبة و في السيّارة أيضاً . لكن بعد ذلك أحرقتُ نصفَها ، و كنتُ قد بِعتُ بعضها بسبب حاجتي للمال لأصرفهُ على حبيبتي في المطعم والسينما والسّفر معها . أمّا إحراقي لنصفِ كتبي فلأنني وجدتها مزعجة و مضرّة و غير جديرة بالبقاء . كنباتات ضارّة لا بدّ من حرقها . و من الكتب الأكثر تأثيراً في حياته لزوميات المعرّي والامتناع والمؤانسة للتوحيدي والمتنبّي وابن عربي والجاحظ ، هذا من القدماء . ريلطه و نيرودا و نيتشه و هايدغر و ألبير كامو ، و مائة عام من العزلة لماركيز و أولاد حارتنا وأصداء السّيرة الذاتية لمحفوظ و حجر الصّبر لعتيق رحيمي و هكذا. و يضيق المجال حسب قوله ففي صدره عوالمُ لا يستطيعُ حصرها. و من كتّابه المفضّلين كافكا والفنتازيا الغرائبية عند فاضل العزاوي. لقد كان أيّ كتابٍ يقرؤه يُوازيه كتابٌ آخر من ملاحظاته ونقده للكتاب مباشرةً على صفحاته . و الملاحظات تكون مباشرة و عارية بين القسوة والنشوة . و يقول : " قرأتُ في مجلّة "شعر" مقالةً إلى شدّة تأثري بها ، كتبتُ بجانب ذلك " اقتلهُ" أي لا تدع أحداً يُسيطر عليك . و ربّما كتبتُ ملاحظاتٍ قاسية على كتب الأصدقاء ." و هذا إن دلّ على شيءٍ إنّما يدلّ على أنّ د. شمس الدين يرفض الأغلال

مهما كانت ، ويرفض التزلّف حتّى لو كان شكلهُ ادعاءً بإعجابٍ فكريّ. و خُلاصة القول : عاش محمد علي شمس الدين طفولةً عرفت الشقاء و التمرّد إلى جانب الطموح والذكاء ، وتأثّرت بالبيئتين الدينية والريفيّة ، و لا سيّما أنّ والده كان قد أرسله لكي يتربّى في كنف حضن عمّته التي كانت عاقراً وذلك بسبب فقره المُدقع و كرد جميل لها ولزوجها الشيخ اللذين ربّياه في آنٍ معاً ، وفي البيت الجديد تأثّر شمس الدين بمربّيه الشيخ ، وهذه الطفولة المعذّبة التي عاشها شاعرنا كانت بمثابة المُحرّض الأوّل لتأجّج جذوة الشعر لديه فيما بعد .و في هذا الاطار :

يقول الكاتب مصطفى الجوني في مقابلة أجراها مع د. شمس الدين وردت في كتابه "قصائد أنبتْتها الصخور " ص. 43- 52:" بما أنّ شروط الربح الوفير لم تكن سهلة ، قرّر علي " والد د. شمس الدين" أن يُقلّل من مصاريفه غير الضرورية ، ولو كانت على حساب عاطفته تجاه من يُحبّ ، حيث إنّه لن يقومَ بزيارة الحاجة بدر والشيخ عبد الحسين إلّا مرّتين في السنة الواحدة فقط ." و ذلك بسبب سفره إلى فلسطين للعمل هناك بعد أن ضاقت به الأحوال : تابع علي محاوراً زوجته : "ما كنتُ أقومُ به من زيارات متتالية لهما ، لم تعدْ اليوم شرطاً ، لأنّني كنتُ أعزب قبلاً، وكان قليل من المال يكفيني ، أمّا اليوم فلديّ مسؤوليات لا يمكن الهروب منها و لديّ زوجة أميرة مثلك ، وولد يشبهك ، والقليل من المال لم يعد يكفينا .." لقد كان والد محمد علي يتيم الأب منذ قبل ولادته و قامت عمّته بدر بتربيته ، و لولا مال جدّه لما كان بائع ألبسة مستعملة ، فلهما حقّ عليه وهو الرفق بهما معتبراً أنّ تلك الأدبيات من أصول تربيته لذا يقول : "ولا تظنّي أنّ محمد علي هو قطعة منك فحسبُ بل هو قطعة منّي أيضاً و هما سيحافظان عليه إذا تركناه إلى جانبهما ، كما فعلا معي عندما كنتُ صغيراً ، فوجوده معهما يُسلّيهما ، خصوصاً و أنّهما عاقران .. نظرت آمنة والدة محمد علي إلى وجهه والخوف بعينيها ثمّ انفجرت باكيةً بأعلى صوتها ، متسائلةً : هل تُريد منّي أن أترك لهما فِلذةُ كبدي ، و أرحل معك إلى فلسطين ؟ "، و بعد اقتراحٍ من آمنة بأن يُسافر لوحده إلى

فلسطين غير أنّ الأب استعمل سُلطته الذكوريّة فارضاً ما يُريد ، ولكنّ سكوت الشيخ عبد الحسين وزوجته بدر عمّا كان يدورُ حولهما كان قبولاً به ، و عدم اكتراث لما كانت عليه آمنة ! و يقول جوني :" و ما أثارني هو سؤال لم أعرْه انتباهاً قبلاً ، هو أنّ ذاك الشيخ الجليل الي كان يحترم أحكامه كلّ من كان في قرية بيت ياحون و جوارها ، هل كان سيقبل حُكماً كهذا ، لو لم تكن بدر زوجته ؟ "و لكنّ آمنة تخلّت قصراً عن مولودها ومضت ... و من ثمّ رُزقت طفلاً و حملته معه إلى بيت ياحون ، حيث كانت بدر و عبد الحسين في استقبالهم ، و ابنها محمد علي في حضن العمّة ، لم يكنْ يأبه لوجود أمّه ، و لا بدرٌ سمحت لآمنة بأن تحمله ! لقد أصبحت بدر كالجنيّة التي تسرقُ أطفالها . " لم تملك آمنة الجرأة لتُخبر ابنها أنّها أمّه ولم تكن بدر تأبه لذلك البتّة ! و ما زاد الطين بِلّة أنّ محمداً لم يكن يشعر إلّا ببدرٍ أُمّاً له . لقد رُزقت آمنة بطفلين خلال وجودهما في فلسطين .. بعد النكسة بعشرة أعوام كان محمد علي قد بلغ العاشرة ، وعندما قرّر الوالد السفر إلى بيروت من أجل مدارس أولاده والعمل فيها ، و أصبح لزاماً عليه أن يُخبر ابنه البكر بأنّ آمنة هي والدته ، لكنّ وقْع الخبرِ عليه كان عادياً لأنه لم يزل مفعماً بدلال بدرٍ و عاطفتها ، و لم تكنْ تعنيه آمنة المنشغلة بأولادها الآخرين " . ورغم محاولات أمّه الخجولة لجذبه نحوها و رغم أنّه بدأ يفهم من هي أمّه الحقيقية ، وبدأ يُخبر والدته أنه يُحبّها و هي لا تُحبّه بقدر حبّه لها ، لكنها كانت تنكر ذلك بحجّة أنّ إخوتهُ الأصغر منه بحاجة إلى رعاية و اهتمام كبيرين ..ولمّا لم يقتنع بكلامها كانت تبكي و تقول : إنّ سبب شعوره هذا هي بدرٌ التي سرقته منها ، و كادت تسرق أولادها جميعاً . "

" لقد عانت والدته الأمرّين و خنقتها الغصّةُ مراراً أمام هذا الظلم غير المُبرّر لها و لابنها .. و بمرور الأيّام خبت الغصّة في صدرِ آمنة... و بقيت بعيدةً عنه و لم يكن هو أقلّ بعداً عنها ، إلى أن ترك المنزل و رحل إلى قرية بنت جبيل الجنوبية بعد أن عُيّن أستاذاً في مدرستها و هو لمّا يزل بعد في الثامنة عشر من عمره . فهرولت والدتهُ مستغلّةً بُعدَ بدرٍ

عنه لكي تُمارسَ أمومتها ، وسكنت معه في ذات المنزل لتُغدق عليه ممّا لم تكن آمنة قادرة على القيام به ، لكنّ محمد علي ، بدأ يُصوّب اتهامه لبدر من دون أن يُشعرها بذلك ، وأصبح هدفُه أن يعودَ إلى حضن أُمّه طفلاً كما يفعل إخوتهُ أمام ناظرهِ و هو يقبع أمامهم كالغريب ، لا حول ولا قوّة له ... العاطفة بينه و بين والدته قد لفظت أنفاسها الأخيرة فكاد الحزنُ يرديه ، و تحوّل إلى ارتخاءٍ في طرفي شفّته كأنّهُ في حالة اكتئابٍ دائمٍ ، و بكاءٍ صامت ، و دموعٍ تنضب ، من دون جدوى. فقساوة القدر فجّرت بداخله ينابيع الشعر و مضى يُعبّرُ عن حاله في أبياته ."

ولكنّ شمس الدين قد حُرم عاطفة الأب أيضاً ، لا بل كانت طفولته ضحيّةً بسبب تبلّد عاطفة الأب ، وسوء تقديره لما سينعكسُ عليه قراره الظالم سوءاً ومرارةً وتحطيماً بحقِّ فِلذة كبده .. وبعد هذا السرد القصصي لأوّل وهلة ، و في هذا الملخّص لسيرة طفولة الشاعر يتراءى لنا و كأنّنا أمام فيلمٍ سينمائيّ تراجيديٍّ يُضيء على سيرةِ طفولة شاعرٍ كبيرٍ عانى من فقدانه لحنان الأبوين وهو لم يتيتّم ! وهذا ما جعل السيلُ يبلغُ الزبى في حياته ! . وبالإمكان القول أنّ هذه الطفولة الحزينة المؤلمة قد أنبتت الابداع الشعري من آتون المأساة لا بل من جلمود الصخر حيثُ نبتت أقحوانة الشعر الشمس الديني الذي اعتبر أنّ الوجود هشٌّ وأنّ الهشاشة هي المنتصرة على كلّ شيء ...

و يُعتبرُأحد أبرز الشعراء العرب المعاصرين و تمتدُّ تجربته الشهرية إلى ما يقربُ من نصف قرنٍ من العطاء الشعري المتواصل ، وقد عاش في بيئةٍ ريفيّةٍ ووُلد في قريةٍ جنوبيّةٍ تُحاكي الطبيعة والعواصف والرياح ، وهو المشتعلُ بحيْرته منذ طفولته فراح يبحث عن ذاته ، وكان في العاشرة من العمر يدخل إلى غرفته و يصنعُ من الألعاب صفّاً و يتخيّل نفسه قائد أوركسترا، و بعدها تعلّم الأكورديون لكن تبيّن للطفل أنّه لن يصيرَ مبدعاً في الموسيقى فلم يُرضي غروره أن يكون عازفاً بسيطاً ،فكتبَ قصصاً قصيرةً و تبيّن للطفل مرّةً أُخرى أنّ كلّ هذه الجهود لم تملأ النقطة الشاغرة في نفسه حتّى بدأ كتابة ما يمكن أن يُسمّى شعراً بعد

ذلك ، لذا فالشعرُ كان الدواء لحيْرته والجواب الشافي لأسئلته الأولى . لقد كان الحزنُ مربضهُ والوعيُ سنابلُ حيْرته و تساؤلاته الجمّة ، وكما قال الاعلامي بشري عبد المؤمن :" يُضفي على امرأةِ القصيدة من مُخيّلته و يبتكرها ابتكاراً ، فتُصبحُ الحياة فيما بعد امرأةً تشبهها وحينما تسأله ماذا تريد من القصيدة ؟ فيقول لك بلاتردّد " لا أعلم " ..."

و كان من عاداته أن ينقل أهمّ ما أحبّه من مطالعاته على دفاتر خاصة و كرّاسات يعودُ لها بين وقتٍ وآخر و هي كرّاساتِ المُطالعة ، و ذلك لأنَ الذاكرة تنسى ، و هذه الكرّاسات قد اعتبرها ذاكرته المختارة من آلاف الكتب التي قرأها. و قد تغيّرت علاقته مع الكتب بعد دخول الكتاب الالكتروني ، فالكتب الورقية أو المكتبات الورقيّة التي كوّنها في أماكن إقامته و تنقّله كثرت واختلطت و صار من الصّعب إيجاد كتاب فيها .و كان يضطرُّ لشرائه ثانيةً مع علمه بوجوده في زاويةٍ ما في إحدى مكتباته ! هنا جاءت المكتبة الالكترونية لتكون دليلاً سريعاً و شاملاً . صار غوغل مرجعاً أساسياً له مع متعته الخاصة بكتب الشعر والروايات الورقية . و في حديثه عن مكتبته قال : " هذا جزءٌ من علاقتي بمكتبتي و لا أخفي أنه ينتابني أحياناً نفورٌ منها أو رغبةٌ بحرقها أو ضجرٌ لأسبابٍ تظهر في بعض شعري . " ... لقد كان ينتقمُ لطفولته بتمرّده على كلّ شيء حتّى على مكتبته وأشعاره ...وأخيراً إنتقم من الوجود عندما استخفّ به في فلسفته وجعله هشّاً لا بل زبداً سوف يتناثر ...

إنّه الشاعر المتمرّد على النمطيّة حتّى إنّه كان يرفض الاستعباد معتبراً أنّ الكتاب كالبلبل يجب أن يطير و أن لا يُسجن في قفص ! لقد احتكّ بالغرب من خلال سفراته لا بل من خلال مطالعاته المُبْحرة دون هوادة ممّا وسّع آفاقه ، ولكن كان للفلسفة ولتربيته الاسلامية تأثيراً كبيراً في كتاباته و هذا ما جعله مرناً غير مُتعصّبٍ لأنه فهم كُنه الأشياء وروح الأديان و العقائد المتنوّعة ، و قد عمد إلى العقل كمقياسٍ للنقد والقبول والرفض في الشؤون الفكريّة وهذا ما يُفسّر إعجابه بالمعرّي من ناحية ، كما عمد إلى الروحانية الايمانية التي جعلته صوفيّاً متأثّراً بتربيته الدينية التي لم تأسرْ شخصيته بل زادتها صقلاً ، وهذا ما جعل قصائده

غنيّةً بالرومانسيّة والحكمة والفلسفة ، كما جعلته يُعجبُ بجبران خليل جبران والمتنبّي وابن عربي وغيرهم... و إذا كان القرآنُ الكريمُ قد وهبنا نعمةً ترينا " في شجر الزيتون سرّ الكهرباء " ، ففي قصائد شمس الدين نراه لا يزيح الستار عن الأسرار بل يُنوّرها و يُلوّنها بقوسِ قزحٍ يُبشّرُ بالمطر كي تبقى شجرة شعره مُشعّة وارفة الظل ، وبما أنّ للايجاز مقامٌ ، وللإطنابِ مقاماتٌ فإنّنا نراه يختصرُ المسافات للوصول إلى الأفكار بخفّةٍ سحريّة . لم يكنْ يُحبُّ الخُطَب الحماسيّة التي يُطلبُ بها التأثيرُ في الاحساس و تحريك الشعور و تهييج العواطف ، واشتمالها على ما يُمكن الاستغناء عنه بحسب جوهر الكلام ، وتركه مخلّ بالبلاغة ، لأنّه لا يُؤثّرُ الأثر المطلوب منه والمرغوب لذلك نراه في قصائده يرفلُ بحبّه لتحرير الانسان ، والمقاومة ولكن بصورٍ رمزيّةٍ إيحائيّةٍ مؤثّرةٍ أكثر بكثيرٍ من ضجيج الكثير من القصائد التي تُذكّرنا بالقول المأثور :" أسمعُ جعجعةً و لا أرى طحيناً " ، ولكي لا يُقال كما قال أمين الريحاني :" و لا يفوتنّك أنّ في سقطات النوابغ والأبطال والنبيّين ما يُستفاد به ممّا ليس في فضائل العامة". و لا يسعنا إلّا أن نذكر ما قاله الشيخ محمد آل كاشف الغطاء في حواره مع أمين الريحاني : "وليس هذا فحسبُ أو ليس إلياذة هوميروس واوديسته ، و شاهنامة الفرس، وبهاريارنامة و أمثالها ، " وأُضيفُ إليها أساطير أوغاريت " قالت لها الأمم في العظمة وقعدت ، وركعت لها الشعراء وسجدت؟ و أنت تعلمُ جيّداً ما هي عليه من التطويل و كدّ الطبع ، ومزج الحقائق بالأباطيل . و أكثرها أوهام و خيالات ، و آراء و ثنيّات ، وحروبٌ مختلقات ." . لقد تميّز بأسلوبه الخاص الذي يُضيء على جوهر الأشياء بقليلٍ من الكلمات و بسخاءٍ من الأفكار والصور ...

ومن الكتب التي كان يقرؤها على سبيل المثال لا الحصر : رولان بارت ، البرمنيدس (أفلاطون) ،بعض الدواوين الجديدة لشعراء و أصوات شابة ، رواية بالفرنسية للدكتور محمد طعّان ، انفرادات الشعر العراقي الجديد لعبد القادر الجنابي ، خواتم أنسي الحاج ، مختارات من قصائد جلال الدين الرومي ، نواحي فان غون لرينه شار الفرنسية . صلاح ستيتية .

...لقد تحلّى بمواقف سياسية مشرّفة توّجت إخلاصه للجنوب والوطن والأمة العربية والانسان في كلّ زمكان .

و في مقابلةٍ له مع مجلة الدستور مع أ. خالد سامح يقول : " على المستوى السياسي فإنّ خلاص لبنان في انصهار طوائفه و عشائره و تيّاراته السياسية في شعبٍ واحد والآن فإنّ خلاص لبنان في انصهار طوائفه و عشائره و تيّاراته السياسية في شعبٍ واحد ، والآن ليس لدينا شعب و إنّما شعوباً ، وصحيح لدينا مقاومة رائعة في إنجازها ، ولكن كم أتمنى أن تُمثّل كل أطياف الشعب اللبناني و تنصهرُ فيها كلُّ الطوائف ، ولا تحملها طائفة واحدة ، و هنا و هنا أمل للدولة التي هي أسمى رمز سياسي للحكم والمقاومة ، و هي جامعة الوطن و أقصى ما أصبوا إليه الالتقاء بهذه الدولة ، ولكن أين هي الآن ؟ من هنا فإنّي أرى أنّ مشكلتنا في لبنان ليست سياسية فقط وإنّما ثقافة تتعلق بموروثات عديدة علينا تجاوزها ، ومنها فكرة الانتماء الأوحد للطائفة أو العشيرة المذهب و غياب الوطن الجامع بين كلّ تلك الانتماءات ".

لقد كان مواطناً علمانياً بامتياز ، يُمارس عبادته لربّه دون أن يتعارض مع معتقدات الآخرين فلكلّ أيديولوجيته ومذهبه وطائفته ولكنّ الوطن للجميع جيشاً و مقاومةً وشعباً...لقد كان يرى أنّ دور المثقف يجب أن يكون جزءاً من مشروع ثقافي و سياسي للوطن اللبناني ، و لمعاني السلطة العادلة والدولة القوية ذات الموقع العربي والدولي ، وأن يكون جزءاً من الحداثة والديمقراطية والحرّيات ، فهذا هو الهمّ العام لمعظم اللبنانيين ، وقبل كلّ شيء على المثقف اللبناني أن يُساهم في تحديد عدوِّ بلاده من صديقها .

إنّه ذلك المتصوّف و يبدو ذلك من خلال طقوسه الشعريّة التي هي موزاييك من العاطفة المتأجّجة والنار الفلسفيّة والمكاشفة الصوفيّة . هو الصيّاد الذي يعرفُ متى يقدحُ زناد قلمه السحري لكي يصطاد غزلان الكلمات المهرّبة إلى حبيبته آسيا ، و هو من جعل للزبد كرسيّاً ، و جعل المراكب المهجورة تطفو على وجه البحر مشبّهاً النوارس بالبروق ...

أربعةُ عقودٍ تزيّنت بمفاتن كواكب قصائده مشكّلةً مغامراته الشعريّة السحريّة الزاخرة بالصور والألوان والأصوات والموسيقى والفن التصويري والفلسفة والعاطفة حيناً ، والتمرّد حيناً آخر فبلغ عدد مجموعاته الشعرية الرابعة والعشرين مع ديوانه الأخير خدوش على التاج ، والتي تحوّلت إلى نجومٍ برّاقةٍ تدورُ في فلك الشعر العربي إنطلاقاً من مجموعته الأولى " قصائد مهرّبة إلى حبيبتي آسيا "عام 1975 وصولاً إلى ديوانه الأخير "خدوش على التاج " الصادر في 2022/12/04 أي بعد وفاته . لقد كان للأسطورة مكاناً مميّزاً في شعره ومن ذلك نذكر اعتباره للآلهة أنانا التي أيقظها في ديوانه " آخر ما تركته البراري " الصادر عن دار النهضة 2020 أنّها هي آسيا التي سافرت معه إلى البصرة منذُ ما يقارب النصف قرن من الزمان، وكانت تبكي آخر الليل والريح تنقرُ الباب والدم ...آلهة الحب و الحرب والتحولات .. فبالشعر يتمّ هذا التماهي الخطير بين الأسماء والأماكن والأزمنة . وقد ورد اسم إنانا في أسطورة سومريّة تتحدث عن الكاهنة إنانا التي دخلت البستان صباحاً فغلبها النومُ تعباً فرآها البستاني فقبّلها و ضاجعها ، وفضّ بكارتها ، وعاد ألى طرفِ بستانه و عندما عرفت الحقيقة في الصباح ملأت جميع آبار البلاد بالدم ، و فاضت كلّ الغابات والبساتين بالدم .." " أنظر مغامرة العقل الأولى – فراس السوّاح . هكذا عبْر الشعر خاض السندبادُ مغامراته الخطيرة حتى طال الأساطير مجتازاً الزمن بكلً جراة إذ يُعقّب على ذلك قائلاً : " لستُ سوى مسافر"!

ثمّ راح يُبحرُ من الشعر العربي إلى الشعر العالمي حتّى استطاع أن يجمع كنوزه الشعرية والفلسفية والفكرية بشكلٍ عام ، و راح يسكبها و ينظمها شعراً إيقاعيّاً أو موزوناً متلألئاً متزيّناً بالفنون والرسوم والألوان ،و أصوات الموسيقى ، والصور الحالمة ، والجمال والفلسفة التي كان ينزفها حبره كلماتٍ ليست كالكلمات ... و من ثمّ أحاطها بصوفيّة نديّةٍ سموحة ناعمة تتماهى مع الخالق و تذوب فيه . و لم يلبث أن تحوّل سندباداً للشعر يُهاجم

كلّ السفن الشعرية و يخضعها لمحكمته و عدالته و يأخذ منها الغنائم التي أضفت على شعره نكهةً خاصة و كمالاً و رُقيّاً و إبداعاً ...

و في كتاب الطواف " يقدّم سيرةً مزدوجة كما يُشير عنوانه الفرعي ، سيرة الشاعر في الحرب و سيرته في الكتابة . النصف الأوّل تُهيمنُ عليه أحوال و أهوال الحرب الأهلية اللبنانية والاجتياح الاسرائيلي ، و هو مكتوبٌ بنفس قصصي واضح يكشف عن كاتب سردٍ متمكّن من أدواته كان يُمكن أن يمضي أبعد في هذا الدرب لو أنّه شاء ذلك . أمّا النصف الآخر فيُقدّم تأملات معمّقة في الشعر و الكتابة تستحقّ التأمّل فيها والرجوع إليها والاستضاءة بها . كتابٌ آخر يُفنّدُ أنّ " النثر فضيحةُ الشاعر " حسب الكاتب عبد الوهاب ابو زيد . و في هذا الديوان يتساءل شمس الدين : " تستوقفني أحياناً وانا أجلس في بيتي أصواتٌ لا أعرفها تأتي من زاوية لم تكشف للشمس حواشيها ، أسأل نفسي : هل لحجارة هذا البيت فمٌ ؟ فسُئِل ما هو كُنهُ هذه الأصوات التي لطالما استوقفته منذ نحو نصف قرن ؟ فردّ قائلاً : الأصوات التي تفاجئني حين أجلس في الليل تأتي من ناحية غامضة في جهة الغيب . و هي نداءاتُ الشعر التي أعتقد أنّها تأتي من ناحية ميتافيزيقية يُصعبُ تحديدها ، و لعلّني في هذا المقام أجد نفسي مُلتجئاً للشاعر حين يقول : " فكان ما كان ممّا لست أذكره فظنّ خيراً و لا تسألني عن الخبر".

إذاً هو ذلك المثالي المتماهي مع الوحي الشعري الباحث عن ميتافيزيقيّة مجهولة لكنّها خِصبة ودودة و موحية ، هذه الميتافيزيقيّة – السنبلة التي كانت ترفده بقمح الشعر لم يردْ معرفة إقامتها طالما أنّها كانت خيّرة و كريمة فهي تسخى و لا تأخذ بل تُرسل ملاكها الايحائي في صورة نهرٍ دافقٍ من الأخيلة و الأحاسيس و الأسرار المنفضّة إكراماً للشاعر ! و قد تكونُ هلوساتٌ مجديةٌ في هذا العالم الواقعي ، هذه الهلوسات التي اكتسبها الشعراء الفرنسيون من أمثال فلوبير و بودلير و غيرهم من الذين انتسبوا إلى نادي الحشّاشين " Les Assasins عبر تناول المخدّرات في أوآخر القرون الوسطى " ، لكنّ شاعرنا تناول

هذه الأخيلة الفاتنة من إيمانٍ دافىءٍ و نبعِ عمرٍ   لا بل هامة امتدّت من صخر عاملة إلى صخر صنّين ، وطافت فوق وجه البحر وصولاً إلى فلسطين و شبه الجزيرة العربية لا بل علىِ مجد الأمّة العربية. لقد اعتبر أنّ العبث جزءٌ من الشعر و أضاف إليه الضجر واللعب ، واعتبر أيضاً : " أنّ الشعر ليس هذا وحده بل هو مكاشفةٌ عميقة للانسان ، هو يُحدّق في ذاته و في ما يُحيط به من الوجود. وهذه المكاشفة تضعه في غابة من الأسئلة في متعةٍ غامرة ، وفي وحشةٍ لا توصف... و ليس بين يديه سوى الكلمات ، وحين يجدها لا تكفي فيلجأُ إلى الصمت فيصبحُ الشعرُ هو الصمتُ بالمعنى الوجودي والصوفي للصمت ." و لكن أيّها الشاعر الذي عبر إلى ملكوت الله هل في غمرة العبث والصخب واللعب تنبتُ غرسة الشعر خضراءَ وارفة ؟! و هل تودّ القول : من الأرض الجرداء تنبتُ بتلات هذه الغرسة ؟ ثمّ تنمو شجرة تمتدّ جذُورها إلى عمق الانسان المتلاطم بين أعماق ذاته وبين ما يُحيقُ به من الوجود؟ نعم أنّها مكاشفة عجيبة و متعتها تكمن في عمقها لأنّ الصمتَ قد يغورُ إلى الأعماق حيث يشعر بالراحة الكبرى و سفرُ الكلمات في مجاهل الحياة تجعل الشعرَ صمتاً ! إنّها الصوفيةُ الناعمة كعصفورٍ ملوّنٍ في غابة الوجود الغريب الطلّة . و في حواره المفتوح مع الدكتور جابر عصفور في القاهرة في دار الأوبرا لدى افتتاح الملتقى العالمي الثاني للشعر العربي في مصر نقض ما قاله عصفور في كتابه المثير " زمن الرواية " الصادر عام 1999 عن أنّ الشعرَ قد خسر الرهان لصالح الرواية ، و بيّن أنّ الرواية فنٌّ حديث يعتمد على السرد والتقص ، و أنّ الشعر هو ذُروة الفنونِ و إليه تصبو جميعها بما في ذلك الرواية باعتراف نجيب محفوظ و غارسيا ماركيز ، و لا تجوزهذه المفاضلة بين فئتين مختلفتين . و قد ذُكرت هذه المفاضلة بينهما داخل مصر و خارجها آنذاك .

د. شمس الدين والعالم العبقري حسن كامل الصبّاح : ويتحدّث محمد علي شمس الدين عن تفكير بعض المستشرقين ، ونظرتهم العدائية نحن الشرق ، واتهاماتهم الباطلة لخرافية العقل العربي ، و غرقه في غيبوبة الأوهام مؤكّداً أنّ حسن كامل الصبّاح كان الردُّ العمليُّ في

تلك المرحلة على هذه الادعاءات الباطلة حتماً إذ يقول :" كان المستشرق الفرنسي أرنست رينان في محاضراته في السوربون ، يعتبرُ العقل الشرقي مُشرّب بالدين أي بالوهم ، وكان يعتبرُ الاسلام ضدّ العلم . و على الرغم من دفاع جمال الدين الأفغاني المستفيض عن هذا الاتهام بسوقه أدلّة متنوّعة عن تفتّح العلوم الافتراضية الذهنية والاختبارية أيضاً في العصور الذهبيّة للاسلام في القرن العاشر الميلادي الرابع للهجرة ، و تحت ظلّ و عهدة الحضارة الاسلامية . إلّا أنّ الخطّ السائد القبلي للاستشراق ، ظلّ في هذا المنحنى الاتهامي المدمّر للعقل الشرقي.. لأنّه يسمه بالخرافة و الغيب ،ويُجرّده من التجريب و الملاحظة والعقل . كان يظهر بين الفينة والفينة من يكشف الوجه التسلّطي السياسي الاقتصادي للاستشراق .كان يبرزُ من يفضح تهافت هذه النظرية ، نظرياً أيضاً . وأبرز من تصدّى لهذا العمل المهم حالياً المستشرق الكبير الدكتور إدوارد سعيد في " كتابه الاستشراق "و بحثه العميق حول السلطة والمعرفة . و قد تُرجم هذا الكتاب من الانكليزية إلى أكثر من لغة عالمية ، ومنها اللغة العربية .

إنّ هذا الجانب النظري السجالي في الرد على الاستشراق لا بدّ أن يدعمه و يُزكّيه وجه آخر لا يقلّ أهميّة و يتلخّص في الاثبات الفعلي لعقلانية العقل العربي ..و ذلك عبر إسهام المفكرين العرب والمخترعين العرب في ترسيخ و تطوير الفكر العلمي والتجريب العلمي والابتكار التطبيقي للعلم . إنّ مجرّد قولنا"حسن كامل الصبّاح " هو مخترع عربي يُشكّل ردّاً عملياً من دون نظريات على إفتراض خرافية العقل العربي و غيبيّته و تأخّره ..و يتعزّز هذا الموقف حين نعرف أنّ حسن كامل الصبّاح فتى الكهرباء ، وأكبر مهندس كهربائي في أكبر شركة في الولايات المتحدة الأميركية(جنرال إلكتريك) و صاحب أكثر من ثمانين اختراعاً علميّاً مسجّلاً، منها إختراع الرؤية عن بعد(التلفزيون) هو رجلٌ عربيٌّ شرقيٌّ مسلم يؤمن بالدين والأخلاق والله والآخرة والثواب والعقاب .. يؤمن بالأديان جميعاً ، أي يؤمن بالفكر الديني ، ولا تفوته ممارسة الفرائض العامة من صلاة وصوم .." مقتطفات نُشرت في مجلة الكفاح

العربي عدد 1984/11/05 و كتاب العبقري الفيلسوف حسن كامل الصباح –عباس وهبي ".

فكلا الشاعر والعالم يتماهيان مع الخالق ، و كلاهما يؤمن بالعقيدة الاسلامية دونما أيّ تزمت بل بانفتاح روحاني : و ألم يقل الصبّاح يوماً " أنّ الشعر هو فنّ جميل و ذلك في كتاباته المختارة ؟! " و هذا ما رأيناه في شعر شمس الدين بصوره الخلّابة . وتبرز الحماسة للعروبة والاسلام وللعقل الشرقي بوضوح عند الاثنين معاً إذ قال الصبّاح يوماً " إنّني إن رغبتُ في إتيان عملٍ عظيم ، فما فعلي ذلك إلّا لأُظهر للعالم الغربيّ أنّ الشرقيّ يمكنه أن يقوم بجلائل الأعمال لخدمة المجتمع الإنساني " . فالحبّ للأُمّة والتقدير للعقل العربي المبدع ، والالتزام بخدمة المجتمع الانساني هي أُمورٌ مشتركة و متقاطعة بين الشاعر، والعالم المخترع الشاعر أيضاً . لابل إنّ شمس الدين قد عشق إبداعات حسن كامل الصبّاح الوهّاجة قائلاً عنه " هنا يظهر ذاك المزيج الرائع من جوهر الشرق و علم الغرب في شخصية الصبّاح ..." كما يقول عنه ": إنّه عاشق أسرار لا المال هدفه و لا الجاه الفارغ .. هدفه ومجده هو فضّ الأسرار .. " ، ولكن أو ليس شمس الدين هو عاشقٌ للأسرار أيضاً ؟ و هذا ما يبدو في قصائده . و يُعلّق على شعر الصبّاح قائلاً :" نلاحظ إمتزاج العلم بمعاني حسن كامل الصبّاح الشعرية حتّى كأنّه في بيتيه الأخيرين من إحدى قصائده يصف التلفزيون شعراً ". و كذلك شمس الدين لم يكن هدفه كشاعر و باحث وأديب المال والجاه الفارغ، فهل يُنتسى موقفه الوطني والقومي حين سحب ترشيحه لجائزة الشيخ زايد للكتاب في أبو ظبي للعام 2020 عن كتاب آخر ما تركته البراري الصادر عن دار النهضة العربية . فيقول في هذا الشأن :" و كانت الدار قد قدّمته للجائزة بعد تفويض مني قبل إعلان الاتفاق الأميركي الاماراتي الاسرائيلي الذي شكّل سبباً كافياً و مقنعاً لي لاتخاذ هذا الموقف بسحب الترشيح والتفويض معاً. و كان آخر ما قرأته ما كتبَه الشاعر الدكتور محمد ناصر الدين في ملحق كلمات من جريدة الأخبار حيث شبّه قولي في قصيدة " الغيوم التي في

الضواحي " : يا إخوتي / في شهر تموز من عام جرح و ألفين بعد المسيح / و سبعين مجزرة في القرى في طريق الامام الذبيح / سجّلوا في دفاتركم ما يلي : لقد أزف الوقت واكتملت كربلاء / مثلما شاءها الأقوياء ". .. قال ناصر الدين " كلماتٌ أشبه بالصاروخ الذي أصاب البارجة في البحر ." لي ملاحظتان حول مجمل ذلك : الأولى هي شعوري من خلال ألآف الاتصالات و الملاحظات التي وصلتني وجود شعور عربي عام بالحدّة للكرامة ، و أنّ ثمّة عيناً أخرى خلف الظاهر من الشاشات تعرف الحقائق المرّة ، و يهمّها ربّما مع الحب أو حتّى قبله الاحساس بالكرامة في معادلات الصراع ، وأنّ الانسان يكون أوّلاً قويّاً ثمّ ثمّ .. أخلاقياً . من هنا جملة :" لقد أزف الوقت واكتملت كربلاء / مثلما شاءها الأقوياء / ..فنهر الدمع الكربلائي التاريخي الطويل ، ومناحات البكاء والتفجّع ... لا تكتمل إلّا بانتصار القوة بل هي من دون القوة فولوكلور للفرجة .."

إنّه الحسيني المقاوم بالكلمة وبسلاح الموقف الذي قد يكون أشدّ وقعاً من ضربة السيف المُهنّد . إنّه لم يبحث عن الغنى الماديّ محرّراً نفسه من شهوة تكديس المال ، بل كان همّه هو الأمّة وتحديداً فلسطين الأبيّة ، فلم يخنع و لم يُشارك و هو يشعر بموقف العزّة متماهياً مع سيد الشهداء "أبا عبدالله الحسين" فكان موقفه القومي المشرّف ...

نظرة محمد علي شمس الدين إلى الشعر الحديث" : و حول الحداثة فإنّه يراها مقترنة بالشعور بالنقصان و عدم الاكتمال ، وهي بحثٌ دائم عن الجديد ..." . و هنا يُلامسنا حسٌّ فلسفيٌّ ماديٌّ نسبيٌّ إذ أسبغ على الحداثة صفة عدم الاكتمال ، وقد تحلّى بديناميكيّة سلسة فرغم أنّه من روّاد شعر الحداثة فهو لم يكنْ متعصّباً لها بل ازداد تقديراً عندما دمجها بالجوهر العلمي متحدّثاً عن حتمية التطوير من خلال البحث الدائم المتجدّد. و في رأيه أيضاً هي ليست نتيجة البحث عن الجديد وحده بل هي توقُ المخيّلة الدائم للابتكار والتجاوز . إذاً لقد جعل الشعر ابتكاراً مستمرّاً و كأنّي به يُردّد ما قاله أحد الشعراء الانكليز :" الشاعر هو رياضيٌّ بطبعه " ، كذلك ما قاله بول سارتر : " الشاعر غير الشعر، و ما قاله سعيد عقل في

النبطية يوما ":" إنّ الشعرَ خلقٌ " .. أمّا بالنسبة لقصيدة النثر فقد عرّفها بأنّها نمط شعري جديد ابتكره الشاعر الفرنسي بودلير ، و هي إضافة حقيقية لأساليب الشعر و تقنياته . و أضاف أنّها تُشكّل نظرياً و عملياً تغييراً مهمّاً و مفصليّاً في مفهوم الشعر وارتباطه التقليدي العريق بالوزن كما رأى أرسطو في كتاب الشعر والفلاسفة ، والنقّاد العرب في نظرتهم – الموسيقي الايقاعي في الشعر ، و هو ما اقترحته قصيدة النثر. لقد توطّدت علاقات شمس الدين بصداقاتٍ مميّزةٍ مع البيّاتي و بلند الحيدري و يوسف الصايغ وطهمازي و عبد القادر الحنّابي و شاركهم في مهرجان المربد عام 1974 ، وكانت آخر زيارة له إلى بغداد في أوآخر عام 2020 بدعوةٍ من إتحاد الأدباء . و عندما وصل إلى مطار بغداد و في مقابلة صحافيّة قال فيها بكلّ اعتداد : " أنا في بغداد " و كأنّي به يقول أنا قيصرُ الشعر العربي قد وصلتُ إلى مرتع الشعر في بلاد الفرات . و في هذه المقابلة قيّم علاقته بالعراق و شعرائه على أنّها وطيدة و مديدة ، وأنّ علاقته بالشعر العراقي مبكرة . و قد سبّبها السيّاب بدايةً و حين زار العراق أوّل مرّة في مربد البصرة عام 1974 ، و أنّ من دواعي الزيارة الذهاب إلى أماكن ذكرها بدر في أبي الخصيب . من البصرة انطلقت قصائدُ مهرّبة إلى حبيبتي آسيا و هناك عقد صداقاته الثمينة مع الشعراء العراقيين ، و بينه و بين البيّاتي وشائج فنّية ، وبينهما أربعون رسالة تبادلاها في مختلف مراحل حياته . و قد كانت علاقته بأجيال الشعر العراقي جيدة ، جماعة كركوك فاضل الغزاوي ، و سركون بولص ، و مؤيد الراوي ووليد جمعة حميد ..و في عام 2020 لبّى دعوة أتحاد الأدباء والكتّاب العرب في العراق مقيماً ندوةً شعرية في مقرّ الاتحاد في بغداد ، وأُمسية في الجامعة المستنصريّة . كما عقد ندوةً نقديّة متعدّدة الأصوات حول شعره في قصر الاتحاد معتبراً أنّ العراق نبعٌ من ينابيع الشعر دائم التدفّق على خصوصيات كثيرة ، و قد قيل ذات يوم إنّ الشعر عراقي . و يرى شمس الدين في ردّه على سؤال حول أنّ الشعر قد وصل إلى مرحلة اللاجدوى برأي الكثيرين في ظلّ فداحة الخراب المحيق من كلّ حدبٍ و صوب فأجاب : أنه لا يريد و لا يرغب باقتناع أحدٍ

بالشعر بل يرى أنّه استحقاق لمن يستحقّه ، و كما قال السيد المسيح :" ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ". ، بل بأمرٍ ما آخر قد يكون الشعر أحد احتمالاته .والشعر برأيه أشبه ما يكون بنهرٍ متدفّق كالنيل أو الفرات ، لكنّه من نبعٍ غامض أو نصفٍ مُعتم ، ويجري في سهول و منحدرات واسعة اسمها الزمان ، و يصبُّ في بحرٍ من الوجود ، ليتبخّر بفعل أشعّة شمس الله و يتحوّل لغيوم تسقط على منابعه وتكوّنه من جديد ." .

الشعرُ كالماء : لقد جعل شمس الدين الشعرَ كالماء في ولادته وحركته و سيرورته ، أو ليس في البداية كان عرشُ الله على الماء ؟ أم برأيه كان عرشه على الشعر "! وفي حواره مع الدكتور نور الدين الورفلي حول الشعر والقصيدة و أسرارها و أصواتها ، قال :" أنت من يأتيها والحال أنّ القصيدة حاضرة و غائبة في مكان ما في نفسي في وقتٍ واحد أشبه ما تكون بسكون بُحيرةٍ لا أعرفُ متى تُحرّكها الريح و كيف ... إنّي أنتظر السوانح و ألتقطها إذا استطعتُ لذلك سبيلاً إذ كثيراً ما تمرُّ و لا أستطيع الامساك بها ." هنا نرى شمس الدين قد جمع الضدّين في قالبٍ واحد ألا وهو الغياب والحضور ، و لا غرو بذلك ، أليست نواة الذرّة تحتضنُ الالكترون والبروتون في آنٍ معاً ؟! و يُتابع : " بالطبع القصيدة غالباً ما تكون حرّة و صاخبة تُعزّز و تمنع و لستُ ممن يدّعون أنّي قادرٌ على جلبها بمحض إرادتي و رغبتي بالصيغة ، لكن لأكنْ دقيقاً و صادقاً لا جبر في القصيدة ، و لا تفويض كأقدارنا نشاء و يشاء ، لمن أكتب القصيدة وتقصدني ، و هكذا أديرُ عجلات هذه المركبة الربّانية ، وتدور بي . وفي النتيجة بين يدينا قصائد مولودة موجودة تماماً كأطفالنا و ذرارينا ." لم يأسر د. شمس الدين القصيدة بل تركها كوصيٍّ يوحى من داخله و شبّبها كالقدر المُفوّض ، إنّها مركبةٌ زمنية تدورُ وتدورُ و في دورانها ألفُ رحلةٍ وجودية ، وقد تكون ما ورائية حالمة ، و هو يستطيعُ أن يعبرَ بسرعة الضوء إلى أيّ زمكان ، ويعود بمولوداته الفضائية قصائد تحبو ترفل تغدو كذراريته ، و أطفاله ، تسكنُ في مخيّلته ، وفي منزله و في دفاتر أشعاره . و يُتابع قائلاً : " نعم تتزاحم و تُطلّ برؤوسها و تتمنّعُ و خلال الكتابة غالباً ما أكتبُ أكثر

من قصيدة واحدة في وقتٍ واحد بمعنى إحتمالات و أشكال في تجارب عديدة في المعنى و السياق والشكل واللغة والموسيقى ، و هناك تدفّق و لكن أيضاً تمنع وتُفسّر أحياناً ، يقفُ مجرى فتبقى القصيدة معلّقة ، ولا أعلم متى يفتح المجرى أو يفتح لي .." لقد جعل بأنامله السحريّة القصيدة قصائد من خلال تسييله لها سياقاً و شكلاً و صرفاً و نحواً وبلاغةً و موسيقى ، و كيف لا فهو أميرال الطيور الساحر الذي قد يجعلها نهراً دافقاً دون هوادة لكنّه يعود لتواضعه و لانسانيته ليبرز معاناته مؤكّداً أنّ الشاعر عندما يسبح في نهر القصيدة لا يصلُ إلى ضفّته الخضراء المنتظرة بلهفة ، بل قد يكون هناك ليلٌ مسكونٌ بكلمة متمرّدة أو وزنٍ شارد كغزالٍ في غابة مظلمة ، أو أنّ يكون قد تعثّر من بلادة صخرةٍ رغم أنّ قلبَ الصخر أحنُّ من قلوب الناس !

ويرى أنّ الشعرَمركبةٌ غامضة لها إتجاهات مثيرة كثيرة ، ولكنّها قلقة لا المعنى مستقرٌّ و لا اتجاه الريح معروف ، والمركبة تسير في هذا الهياج و لكنّها قد تتحطّم . غالباً ما مركباتي تتحطّم لذلك تشعرُ بطعمٍ رمادي في ما أكتب ، و ربّما عدمية ، والصوفية التي أحيت ما تبدّد في أحوالي أخيراً منحتني احتمالات التعامل مع الأقدار والموت والحبّ والرهبة بما يُشبه الغيبوبة اللذيذة نشوة الغيبوبة ."

تعليق : لقد كتب هذه الأجوبة في **2022/05/09** أي قبل عدة أشهر من وفاته . لذلك نشعر بذلك التلاطم والقلق الذي اعتراه ، والسؤلا هل هو المرض الذي تغلغل في رئتيه أم أنّه انقلاب العمر ، و استغاثاتُ الطفولة المقهورة ؟ لذا نراه يرسم بالشعر و كأنّه في بحرٍ هائج تلاطم والريحُ تعصفُ من كلّ حدبٍ وصوب ، وليس هذا فحسبُ بل أقرّ بحتمية التحطم كما تحطّمت مركباته من قبل ، و ذوّقنا الطعم الرمادي من خلال ما كتبه ، أو بالأحرى لقد علت موجةُ العدمية لديه لكنّ الصدفة كانت المنقذ والموجّه والموعظ لكيفيّة التعامل مع الأقدار والموت والحب والرهبة إلى حدّ الهذيان كمخدّرٍ و هنا مخدِّر شاعرنا هي الصوفية اللذيذة الحالمة ، لا بل المركبة الوردية المتجهة نحو المقصد الشامل الواحد أي الله عزّ وجل

لذلك نرى مناجاته لربّه في قصيدته : " قرباني لجمالك لا تغضب فأنا لستُ قويّاً حتّى تنهرني بالموت ، يكفي أن ترسل في طلبي نسمة صيفٍ فأوافيك". " و حين نقرأ قصيدته " قتلتني عاشقتي " : و أهالت فوق تراب الأرض أغانيها / فاخضرّ العظمُ وأنبت زنبقةً يتفيّأ في تربتها الأحياء.../ و تحرسها أرواحُ محبّيها / وأتت عاشقتي في الليل تزور القبرَ / فأذهلها شبحٌ تحت الصفصاف يُناديها / صرخت من أنت ؟/ و حين أشارت للقبر و فاجأها صوتي / سقطت في صدر مغنّيها / قتلتني عاشقتي / قتلتني / و أنا في ظُلمة قبري أبكيهاَ " /... نشعرُ أنّه كان يحيا ويموت عدّة مرّات ثمّ يرفضُ قيود الزمكان فيخلد ما بين الموت والحياة حيثُ يقفل الزمن في زنزانته الخلود !

و يقول المفكّر (ROBERT BLY) :" إنّ السعادة مبعثُها الجسد أو الروح ، أو مصدر و مكان ثالث . أُفكّر كثيراً في هذا المصدر الثالث الذي طالما أعتقدتُ أنّه الحبّ حيث نذهبُ للقاء من نهواهم حقّاً ، بينما يؤمنُ آخرون أنّه الله نفسه . و يؤكد بلاي أنّ من يمنعنا من إيجاد ذلك المكان الثالث هو انشغالنا بأماكننا الحالية أكثر من اللازم ، لكنّه يزوره بسهولة عندما يقرأ أو يُترجم الشعر الصوفي ، و خصوصاً شعر حافظ الشيرازي و جلال الدين الرومي ، لأنّ حافظ يُحدّثنا من ذلك المكان ، من الحبّ أو من الله بودٍّ بالغ البساطة ". والأمر نفسهُ ينسحبُ على الشاعر محمد علي شمس الدين . وهذا ما نلاحظه من خلال قصيدته رحلة نحو العرش التي كتبها في 2022/06/01 : / ما لا يُقال و لا يُرى حلمت به أصغر " محمد " للرؤيا / و لبّاها له السماء بساط / كلّما طويت فيه المسافة نحو العرش / أدناها أكاد ألمحُ نورَ الله في يده إذا أشار إليها / ثمّ أعلاها / و ما ترنّم بالأشعار شيخُ هوى / بعد الوضوء فأحياها و أغناها / كأنّ قلبك في ليلٍ رأى حلماً / عن الصلاةِ و قبل الفجرِ صلّاها /...إذاً شاعرنا قد اختار المصدر الثالث الذي هو الله حيث الكمال المتجلّي بالوعي الأكبر والطاقة اللذين لا نقدر على تصوّرهما. هناك نحو ذلك العرش الذي كان على الماء رحل سندباد الشعر الصوفي في مركبة العشق النوراني متطهّراً من كلّ الآثام .و في

2022/08/17 نراهُ يّطلقُ قصيدته هنا/هناك فيقول : | /عليك أن تغادرَ المكان / عليك أن تغادرَ الذين طالما ألفتهم ،/كرسّيك الذي جلستَ فيه / مهدُ أمّك التي رأتك فيهِ مثل نجمةِ الزمان / و نسرُك الذي تحبّ أن تكون مثله / وكلبك الذي تحبُّ أن تدعوه "بيدبا" / و عندليب حزنك المقيم فوق أيكه / ونهد طفلة أحببتها / يكاد أن يفرَّ من قميصها كحبّة المرجان / عليك أن تغادرَ الفصول / أن يدوسَ نعلك الردى / وما غرست من ورودك التي سمّيتها على اسم فلّة الربيع / شوكة الخريف أو شقائق النعمان / عليك أن تذوبَ في المدى / كنقطةِ الدخان / وأن تغيبَ في البحار . لا صدى و لا تعود./"

لقد كان يدقّ جرس الوداع في تأمّلٍ لسيرة حياته ، و ما أحبّ فتنحصر النهاية في الذوبان في المدى كنقطة الدخان ، فودّع كروحٍ هائمةٍ فوق البحار في صمتٍ في حنانٍ و شوقٍ ورديٍّ، فودّع نسرَ المجد و كلبَ الوفاء ، " فيشو شارما أو بيدبا" الذي يعني في اللغة السنسكريتيّة القديمة الرجل الحكيم أو معلّم البلاط ، وهو فيلسوف و حكيم هندي ، و يُقال إنّ بيدبا قد ألّف لملك الهند " دبشليم " مؤلّفاً حول الحيوانات والطيور فيه تشخيصات رئيسية ، وهي ترمزُ في الأساس إلى شخصياتٍ بشريّة و تتضمّن القصص عدّة مواضيع من أبرزها العلاقة بين الحاكم والمحكوم بالاضافة إلى عددٍ من الحكم والمواعظ . " أُنظر كتاب كليلة ودمنة " . و كلبُ بيدبا كان يمنعُ تسلّل اللصوص و يُطارد المتسلّلين و يبرز ذلك من خلال حوار الذئب الجائع و الدخلاء و يرضي سيّد هو يأتمرُ، بأمره ، لكنّ هذا الكلب قد وضع له صاحبه توقاً فحدّ من حرّيته !

لقد عمل العلماءُ الألمان منذ سنواتٍ طويلة على النظريّة التي تقول بأنّ المادة لا تفنى و يبقى أثرها في الفضاء ، و يرى هؤلاء العلماء أنّ كلّ من عاش على هذه الأرض له صورة منتشرة في الأثير لكنّ المشكلة هي كيف يُمكن لمْلَمتها لتُصبحَ واقعاً !! و قد نشرت مجلّةٌ علميّة ألمانيّة خبراً عنوانه بسؤال : هل ترغب أن تُشاهد المسيح حقيقةً ؟ و هل ترغب أن تُشاهد محمد بن عبد الله كما كان؟ إنتظر هي مسألة وقت ! وهذا ما جعلني أقفُ متأمّلاً لقوله

و كأنّي به يتماهى شعرياً إنطلاقاً من حسٍّ مادي علميٍّ نسبيٍّ مقروناً بمثاليةٍ حالمة . فهذا الذوبان في المدى والغيب في البحار أليس هما تلك الصورة المنتشرة في الأثير الفضائي ؟ فنراه يكتبُ تحت عنوان " وجاء أخو الصغير" في رثاء الشاعر الراحل حسن عبدالله : " والآن ونحنُ على مسافةٍ لا تُصدّق من موت حسن عبدالله نرغبُ في أن يكون موته كمثل قصيدته " وهمٌ من أوهام الربيع" حيثُ تلك العناصر الأوّلية للحياة ربيع و جدول و فتاة دون العشرين " تُمشّط شعر العجب" . و طاب للشاعر أن يقطفَ عصفورين عن الشجرة و حين لاحظ أنّهما لم يخافا منه ، وسألهما عن سبب ذلك " ابتسما / و أجابا من أعلى الشجرة / عجباً/ أو نهربُ من شخصٍ يتخيّل... ؟" هل مات حسن عبدالله حقّاً أم نحن نتخيّل أنّ حسن عبدالله مات؟" ! لقد مزج شمس الدين بين الواقع والحلم من خلال أسلوبٍ قصصي جاذبٍ و فلسفيّ ناعم فجعل الموت وهماً من أوهام الربيع والحياة وهماً رومانسيّاً ربيعيّاً ..و بكلّ حذاقةٍ جعلنا نمزجُ بين الموت والحياة من خلال مركبة الأخيلة الصوفية الناعمة كخدّ صبيةٍ ، يغار من روعتها القمر والرقّة في آنٍ معاً ، والتي تُسافر بنا إلى زمكانٍ حيثُ لا خوف من حاكمٍ ظالمٍ ، و لا من سيفٍ باطشٍ و لا من جوعٍ كافرٍ. وقد تتوّج هذا المزيجُ الفلسفيُّ بسؤاله هل مات ... ام نحن نتخيّل أنّه قد مات؟ و هذا ما جعلنا بعد قراءة هذا الرثاء متسائلين هل حقّاً مات محمد علي شمس الدين أم أنّ الموت قد انتعش به فعاش !؟

سؤال : و تكملةً للاجوبة مع صديقه د. نور الدين الورفلي : يقول شمس الدين : " الشعرُ جرحٌ من أقدم جروحِ الغيب " هذا هو تعريفي بالشعر فهو جرحٌ لأنّه كلمة ، والكلمة جرحٌ يجرحُ بها الشاعر الوجود ليستخرج دمه أي سرّه و باطنه و هو جرحٌ قديمٌ مُصاحبٌ للانسان من أوّل وجوده . أمّا الغيبُ فيبدأُ بالمستور المجهول ، وينتهي بالسرّ الأعظم الله عزّ وجل ..." لقد جعل شاعرُنا الكلمةَ جرحاً وخنجراً في آنٍ معاً فكيف للجرح أن يجرحَ الجرح ؟! و لكن يحقُّ للشاعر ما لا يحقّ لغيره ، فالألم بحدّ ذاته هو خنجرٌ والشعور بألم الآخرين هو تلقٍّ لطعنته . و قد جعل الشاعر أسرار الباطن دماً ، وهنا نشهدُ عودةً نحو التاريخ القديم حين

سأل الانسان عن سرِ وجوده و خلقه ...ثمّ جعل الغيبَ كوكباً يدور من المستور الأعمى إلى النور العظيم ، أي من سرّ العتمة إلى سرّ النور . لكنّه لم يُجادل في الوجود الالهي كما فعل الفيلسوف الشاعر أبو العلاء المعرّي 973م –1057 حين قال : " قُلتم لنا خالقٌ حكيمٌ فقلنا صدقتمْ / كذا نقولُ / زعمتموهُ بلا مكانٍ و لا زمانٍ ألا فقولوا /، هذاكلامٌ له خبيءٌ معناهُ /ليست لنا عقولُ/. لقد اعتبر المعرّي أنّ الله عزّ وجل يتمتّع بالبعد الخامس الذي اكتشفه العالم العبقري حسن كامل الصبّاح الذي قال يوماً :" إنّ وجودَ مقصد واحد شامل تتجه لتحقيقه كلّ النواميس والقوى الطبيعية التي نشاهدُها هو نتيجة لازمة لوجود البعد العقلي الخامس ، أي مجرّد تنبّؤنا بالحادثات قبل وقوعها هو إقرارٌ ضمنيٌ بذلك " ، ولكنّ الصبّاح قال :" الله ليس هو ذلك الكائن الأكثر تطابقاً مع مفاهيمنا " ، و بالتالي يتماهى مع الدين الاسلامي الذي يقول إنّ ما نراه في هذا الوجود هو من تأثيرات الله .بينما المعرّي يعتبر أنّ له زمكاناً ، و شمس الدين يتماهى مع الصبّاح بل مع الدين الاسلامي فيعتبرُه سرّ الأسرار. لقد ثابر شمس الدين في مُزاوجة الفلسفة والتاريخ واستمرّ مُبحراً من التصوّف إلى الرمزية ، وراحت تساؤلاته التي ترفرفُ كطائرٍ حائر في فضاءٍ قد يكونُ فارغاً ، أو مليئاً بطيور الأفكار والمعجزات ! و هنا تبرز عظمة الشاعرلأنّ الاجابات قد تقطعُ رأس القصيدة . و قصائد شمس الدين كانت تستقي من ينابيع المعارف الانسانية بشكلٍ عام ممّا جعله شاعر الرمزية المقنّعة .لقد غرّد أميرال الطيور في فضاء الحقول البعيدة لابساً أقنعتَه العجيبة كي يستطيع الوصول أُسوةً برُوّادِ الفضاء ... لقد ترك محمد علي شمس الدين نِتاجاً شعرياً كبيراً توّجه قبل مماته بقليل بتاجٍ عليه خدوش الزمن و الألم و الضنى والبذل والحبّ .. وحسب إمام : يحارُ الواقف أمامه أنّه لشاعر واحدٍ ترك غابةٌ شعرية هائلة ، يُجاور فيها النصُّ الايروتيكي النّص الغزلي ، و أسئلة الميتافيزيقيا نصوص العرفان . غابةٌ متعدّدةُ الرؤى والأوجه ، آمن فيها بلا نهاية المعرفة ، و كونيّة عمل الشاعر . وعلى مستوى الشكل ، كتب النصَّ الكلاسيكي والتفعيلي والشذرة و الأبيغرام ، و ناوش قصيدة النثر ، و ترجم ترجمةً شعريةً كما

في الشيرازيات التي دخلها بنرجسيّته المعروفة رأساً برأسٍ مع صديقه حافظ الشيرازي ". إنّ ملامح الصوفية عند شمس الدين تمسُّ شغاف القلب ، وتُدغدغُ الروحَ ، والأروعُ هي تلك الميتافيزيقيا التي تجعلُ الزهرَ يعبقُ من عالمٍ آخر . و لا غرو إذا قلتُ إنّ الشعراءَ المبدعين هم أنبياءُ القصيدة ، وهم الأرهفُ حسّاً والأوسعُ مخيّلةً ، وفي حقول قصيدتهم تنبتُ سنابل العشق المرهفة . و بين فضاء الرهافة و فضاء العشق يُسافرُ أنبياءُ الكلمة التي تقدّست بماءِ الشعر . لقد جعل شمس الدين النارَ ترقصُ في آتون العالم المتأجّج المتصارع ، وجعل للماءِ لغة الحكمة مشيداً هيكلهُ الشعريّ الوهّاج المفتوح على مصراعيه لكلّ من يُريد أن يؤمّ صلاة الشعر في مصلّى الوجود .إنّ تساؤلاته تُثير فينا طاقةً إيجابيةً لا تلبسُ أن تتحوّل إلى تفاعلاتٍ كهروكيميائية سرعان ما ترتسمُ خواطرَ ملوّنة توقظنا من عراكنا الحياتي في زمن الردّة هذا . و كلما شفّ وتوغّل في أسرار الرمز والكناية كان يُتوّج قصائده بزمرّد الابداع والروعة . و يرى شمس الدين :" أنّ الشعرَ قد يتناسبُ مع فكره المخلّص من ناحيتين : ناحية ارتباطه بالغيب إذ كلّ شعرٍ مهمّا كان ماديّاً أو يوميّا له ميتافيزيقية ، و من ناحية إرتباطه بالخيال . والأرجح أنّ سقراط سخى في الخيال باعتباره يجمع بين الموجود والمعدوم في وقت واحد ، وذلك لحساب العقل و ترتيباته . و لعلّ القرآن في ذكره للهيام لدى الشعراء قد نزع نزعة مشابهة . بعد ذلك جاء من أنقذ الشعر من براثن الفكرة اليونانية عن الشعر. ففي حديثه عن السماع عن الفتوحات المكيّة يعتبر ابن عربي : " أنّ الخيال في الشاعر هو صورةُ الله فيه، لأنّ الشاعر بالخيال يوجدُ ما ليس موجوداً". أمّا أنّ الشعرَ اليوم في مأزقٍ وجودي و يجبُ إنقاذه . ففكرة فانتيزية غير دقيقة ، راجت هناك و من ثمّ هنا . و مازالت جميع الفنون من رواية و موسيقى حتّى الآن تصبو نحو الشعر . و أُضيفُ و هو أمرٌ مهمٌّ جداً ، وأنّ علوم ما بعد الحداثة تلتحم بالشعر في نظرية "الكاوس"(Chaos THEORY) والاحتمالات . وليس الشعر غريقاً حتّى يتمّ إنقاذه لأنّ من يكتبُ الشعر هم الشعراء .

" مقابلة د. شمس الدين مع محمد ناصر الدين تحت عنوان : الالتباس الثقافي أخطر من الالتباس السياسي" في 2017/09/16."سؤال : تساءل د. نورالدين الورفلي عن علاقة الشعر بالمعرفة بالعلوم بالتكنولوجيا بأبستمووولوجيا المعرفة ، فرأى أنّ في الأساس اللغوي شعر عرف لكن في القاع الابداعي والأفق الشعري فإنّ الشعرَ ليس المعرفة بل قلق المعرفة ، ولذلك فإنّه رأى أنّ الشعر يبدأ من حيث تنتهي المعارف و ينتهي التاريخ ، وتساءل كيف ؟

جواب : فردّ شمس الدين قائلاً : " أقصد أنّ الشعر هو التحويل الشعري لكلّ شيء يمسّه لذلك هو الأقرب للسحر منه للعلم ، وأقرب للحلم منه لليقظة ، و لماذا نسأل و نجيب : لأنّه ابن المخيّلة الفذ و ابن ديناميكيّة الكلمات في عقلها و طيشها و لا وعيها و طبقاتها الأكثر سفليةً وغوراً و نسياناً ".

تعليق : لكن أوليس من يرصدُ تكوين الكون يرَ فيه الجمالَ والابداع والتنظيم والحكمة ؟! لقد تربّى الكائن اللامتناهي في الكبر وأعني الكون على النظام والانتظام ، وحسن التناغم والتراتب والتفاعل حتّى تبادل أحسن التعامل بين مكوّناته فكان دوران الكواكب حول شموسها الأم ، وكانت الموجات الضوئية التي تُسافرُ و تنطلقُ في الأغوار ، و كانت الجاذبية التي تُفتِنُ قلوب النجوم و تأسرُ قلوبَ البشر في حقولها المليئة بالطاقة الالكترومغناطيسية ! فوُلد الحبُّ في الكون بين مكوّناته التي هي النجوم والكواكب والمخلوقات ، وهكذا وُلد التجاذب بين البشر ولو من البعيد عبر موجاتٍ إلكترومغناطيسيّة ، أفليست الخريطةُ الجينيّة هي شيفراتٌ كيميائيّة ؟ أوليس عمل الأجهزة البيولوجيّة يرتكز على تبادلات الرسائل ذات الشيفرات الكيميائية ؟ و كذلك الانسجام بين الكائنات هو تجاذبات مغناطيسيّة تتحول إلى شيفراتٍ كيميائيّة فترتعشُ القلوب و تبزغُ شمس الحياة ..إذاً أيها الشاعر الراحل إنّ قدرة الشعر على التغيير و على خلق المستحيل أوليس ترتبط بالوعي وبخزّان الذاكرة و بالمخيّلة؟ و كلُّ هذه تُحرّكها الرموز الكهروبيولوجيّة الكيميائيّة . إذاً الشعرُ كائنٌ حيٌّ يمتدُّ سحرهُ إلى فيزيولوجيّة و قلب و إحساس ووجدان الإنسان ! الشعرهو كوكبٌ غيرمرئيٌّ يدور في عدّة أفلاك ، و هو

كالنور تفاعلُ فيزيوكيميائيٌّ – روحي لكنّه غير مرئيّ يُسافرمن مدارٍ إلى مدار ، الشعرُ يسكنُ ما بين السحر و العلم ، أو ليس للسحر مأوى في حنايا العلم ؟ و كذلك الشعرُ هو سرُّ الأسرار.

لذا نرى شمس الدين يقول : الشعرُ متأهّبٌ دائماً تُطلقه في فم مسدّسٍ و احتكاكه بالوجود لا يهدأ لأنه يعملُ في الليل والنهار ، بل لعلّه كائنٌ ليليّ لا ينام فحركةُ اللاوعي هي مُحرّك الشعر الأقوى والأعلم ، إنّه المساحات السوداء التي لا تُحدُّ من كينونة الشاعر والانسان.

كلّ اكتمال لقصيدةٍ منقوص . فالقصيدةُ دائماً هي الابتداء بالقصيدة ، وهنا الشعرُ كالدهرِ لا أوّل له و لا آخر بل لعلّه الدوران وللدوران في الرقص أهميّة خاصة ، وهو في الجسد يُماهي دوران الأفلاك والمياه والأنوار والدماء . أمّا الجمال فأهمُّ ما فيه غموضه والخوف . لأنّه يُذكّر ليس فقط بالحياة بل بالموت أيضاً ..." مقابلة أُجريت معه في 2022/05/10. "

تعليق : و هذه الرؤية لا بل هذا التحديد لماهية الشعر ألا يجعله على مسافة واحدة ما بين العلم والسحر ؟!و لكن لماذا رأى الشاعر شمس الدين أنّ أهميّة الجمال تكمنُ في الغموض؟ هل كل ما هو رمزي يكون فاتناً ؟ هل هو إصرارٌ على صوفيّةٍ تبحثُ عن ماهية الله و تذوبُ فيه ؟ و ما علاقة الخوف بالجمال ؟ و لكن سُرعان ما أجاب لأنّه يُذكِّرُ بالحياة والموت معاً ... إذاً الخوف من الجمال لأنّه سيفنى ! و لكن كما قال في قصيدته العميان " غويا" : أشار لهم غويا بالريشة فقال : إنتظروا هل يقدرُ أعمى أن يُبصر أعمى ؟ / أويقرأُ سطراً سطّره (غويا)/. فكيف بنا نحن البشر الضررة سوف نرى ذاك الغموض في الجمال أو طائر الخوف الملوّن؟ لقد استطاع شمس الدين أن يُسخّر الريادة في استلهام فضاء شعريّ نورانيّ محصّن بلغة محكمة و ثقافة مبحرة في أعماق التاريخ والواقع ؟ وهذه القدرة لم تأتِ على طبقٍ من فضّة بل هي وليدة عراك حياتي و مخاضٍ ثقافي ووجداني أمكن له أن يغدو رافداً غزيراً في القصيدة المعاصرة .

وفي مقابلة أجراها معه أ. محمد ناصرالدين في 2017/09/16 في جريدة الأخبار سؤال : "
هل هناك محطّات معيّنة في حياة الشاعر تسمح لنا بفهمٍ أعمق لشعره ،أم يصعبُ الفصل بين الشاعر و حياته ؟

جواب :" شمس الدين : " هي افتراضات على أيّ حال. من يُدقّق في سيرةِ أبي العلاء المعرّي مثلاً يرَ أنّ حياته بنت شعرِه بمقدار ما هو شعره ابن سيرته الوشيجة بين سلوك شعرٍ ما ونصوصه معقّدة جدّاً و مفاجئة . يوم انتحر أرنست همنغواي كتب غارسي ماركيز أنّ ما يعرفه عن شخصيّة همنغواي العنيفة من صيد الوحوش في الغابات والقرش في البحار ، لا يسمح للحظة بإمكانية إنتحاره . و يوم فصل البنيويون والألسنيون بين النصّ و صاحبه ، لاحظوا أن تلمّس سيرةِ النص لا تكون إلّا من خلال النصّ نفسه ، و لا شيء سواه . فالنصّ تبعاً لهم ،هنا، كائن لغوي لا أكثر . النصُّ برأيي مغامرة لغوية ووجودية في وقتٍ واحد ...

"و يقول البروفسور فراس السواح :" و لكن في قلّة الكلام تناغمٌ مع الطبيعة ، وهي لا تُعبّر عن نفسها بالكلمات " فكيف بذلك الشاعر الذي لا يملك سلاحاً غير الكلمة ؟ أي كيف يستطيع التناغم مع الطبيعة لا بل مع محيطه و هو يُقنّنُ في كلماته ؟ و هذا التقنين في الكلمة ألا يُخبىء ما في الأعماق من حكمة و عشقٍ و آهات و عذابات و فرح و ثورة و كفاح الخ...؟ الشاعر هو منظومةٌ من الأحاسيس المختزنة في الوعي واللاوعي التي يُديرها سلوك المرء ونمط حياته و تربيته ، إنّه يستعين بأعماق ذاته لكي يُحاكي العالم ، ولكن كيف لتلمّس سيرة النص لا يكون إلّا من خلال النصّ نفسه فقط ؟ فعلى سبيل المثال لا الحصر الحاصد الشعري لمحمد علي شمس الدين الذي هو من أرض الجنوب المقاوم ، هو نتيجة سيرٍ غنيّةٍ بالبذل و الألم والصبر والعشق للثقافة والأدب والشع والكلمة ، فكيف سنتلمّس نصوصه ما لم نتعرّف على سيرته العامرة وتقلبّات مزاجه وانفعالاته وغيرها من الأمور ؟

سؤال : " كم كان لك من العمر حين نشرت ديوانك الأوّل " قصائد مهرّبة إلى حبيبتي آسيا" ؟ و هل كنت تعرف مسبقاً أنّك ستكون شاعراً ؟ جواب : " الديوان الأوّل صدر عن دار

الآداب في نهاية عام 1974 م و كنت أبلغ 32 عاماً . كنت أعرفُ أنّ ما أصنعه هو الشعر ، و أعرفُ أنّه خطيرٌ جدّاً ، كنت أنا الصغير والهارب دائماً من الناس بإمكانية الطيران الشاسع في اتجاهي ، و قصائد هذا الديوان إقحاماتٌ جنونيّة لكلّ ما حولي . هل "قصائد مهرّبة" حياتي تُشبهُ شعري ؟ كلّا قطعاً . كان لي صاحب أو إثنان و بنتُ جميلةٌ كالقمر قربنا ، و كثيرٌ من حيوانات الدار ، و كتبٌ تُراثيّةٌ في مكتبة الجّد ، و كنّا فقراء . لكنّي أُصبتُ بنوعٍ من الأرق استمرّ طويلاً ، وكتبتُ قبل عام 1970 المئات من النصوص التي مزّقتها لأنّي كرهتها .

"تعليق : هنا يبدو الشاعر على كرسيّ الاعتراف دون خوفٍ و دون تردّدٍ لا بل سرد بكلّ عفويةٍ نشأته التي جمّلها بحبّه للقراءة و لنمط الحياة الريفيّة ، و بوجه ابنته الجميلة كالقمر ، فما أروع بساطة الحياة في كنف بيتٍ تراثيٍّ يحضنُ البراءة والجمال ، وقد جعل الفقر وساماً على صدره .إنّه الأرق الذي جعله هارباً من الناس عبر الطيران والهيام النفسي اتجاه نفسه ، و لكن ما هو مسبّب هذا الأرق ؟ هل هو ناتج عن اضطراب التوتّر ، أو عن الطفولة القاسية التي مرّ بها ؟ فتراكم التوتّر النفسي نتيجة لحالات موتّرة قد يُولِّد هذا الشعور بالقلق الحاد ، و حتّى العوامل الوراثية قد تؤدّي إلى وجود شخصية قلقة . وهل هذا القلق جعله يُطلق ما في داخله من مكنوناتٍ و أحاسيس جعلته شاعراً ؟ إنّ الحياة حياة الشاعر لن تُشبه شعره لكنّها تتقنّع و تتمكيجُ داخل قصيدته حتّى إنّ الشاعر نفسه لن يرى حتى ظلّها ، وهكذا فإنّ الفارس الشمس الديني كان يُطلقُ سراح الكلمات من سجن داخله حتّى إنّه لم يلحظ ما حلّ بأسراه من تغيّرات !

سؤال : " في شعر محمد علي شمس الدين مريم و زينب و خديجة وليلى و آسيا ، هل المعجم الأنثوي يعود لشخصيّات حقيقيّةٍ ؟

جواب :" بالطبع هنا نساء حقيقيات شعريّاً لكن شتّان بين نصّ كلّ امرأةٍ و سيرتها . سوف تجدُ على سبيل المثال أنّ اسماً واحداً هو ليلى يحملُ أحوالاً متعدّدة . ففي قصيدة " وجه

ليلى" يتبيّن من النشيد الأخير أنّ متيّماً وهو أنا ، لم يُحبّ ليلى بل شُبّه له ، و أنّ القصّة بكاملها أسطورة : " علّقتُ على باب الدنيا قلباً مطعون / و صلبتُ جناح الطيرعلى جذع الزيتون / و نقشتُ على عنقي سيفاً / و على هدبي سيفاً مسنون /و شنقتُ الشمس بأعتابي / و صفعتُ قفا القمر المفتون / لا قيسُ أحبّ و لا ليلى عرفت وجهاً للمجنون /. " و في قصيدة أخرى بعنوان " خمسةُ أبوابٍ للموسيقى" في ديوان الغيوم التي في الضواحي ، يأتي ما يلي :" / والذي حيّر العقل حتّى براهُ الجنون / أنّ ليلى التي متّ في حبّها ألف عامٍ تخون ". باختصار : أنّ نساء القصائد هنّ نساء الخيال اللواتي يأتين من الواقع أحياناً و لكن ليذهبنّ إلى الأسطورة .

تعليق : حسب البروفسور فراس السوّاح في كتابه مغامرة العقل الأولى ص. 21 يقول " فالأسطورة والحالة هذه هي التفكير في القوى البداية الفاعلة الغائية وراء هذا المظهر المبتدي للعالم و كيفية عملها و تأثيرها ، و ترابطها مع عالمنا و حياتنا إنّها أسلوب في المعرفة والكشف والتوصل للحقائق ... إنّها الاطار الأسبق والأداة الأقدم للتفكير الانساني المبدع الخلّاق الذي قادنا على طول الجادة الشاقة ، التي انتهت بالعلوم الحديثة والمنجزات الحضاريّة الغائيّة .".

و عليه : فالقرن التاسع عشر في أوروبا قد حمل معه ثورةً فنيةً و جمالية أعادت للأسطورة رونقها وبهاءها بشكلٍ فنّي تعبيري ، و ما لبث الرومانتيكيون أن اعتبروها أصلاً للفن والدين والتاريخ والحضارات منهلاً ثرّاً و ملهماً .. والأساطير لها منشأ طبيعي لذلك نرى شاعرنا السندبادي البحّار في التاريخ لم يتوان عن دعوة الأسطورة إلى مائدة قصيدته الشهيّة فحوّل نساء الواقع إلى زوّار للخيال على مركبة الأسطورة ، و لكنّ هذا الأمر لم يكن للزخرفة لا بل لمحاكاة تمرّده و خروجه عن المألوف ، و عدم الانحباس في داخله ، بل عاد إلى الأصل حيث وُلد الفنُّ والدين ورقص التاريخ بحضاراته .

السؤال البديهي الأوّل : ما هو الشعر ؟ د. شمس الدين : الشعرُ مسألةٌ بديهيّة و فلسفيّة في وقتٍ واحدٍ ، و هو مسألةٌ تاريخيّة أيضاً . و للشعر صلةٌ مؤكدّةٌ باللغة ، و بفنون كثيرة : الرواية ، الموسيقى ، الرسم ، الكيمياء ، كما أنّ شبكة علاقاته تمتدُّ من أدنى مستوى لعيش الانسان في الكهوف الأولى ، إلى ريادات العقل البشري المغامرة في المجرّات ، و في المختبرات ، و في النفوس و طيّاتها الغامضة . هكذا ربّما جاء تعريف عبد القاهر الجرجاني للشعر على أنّه " الجمعُ بين رقاب المتعارضات " . صورة بسيطة لما ينطوي عليه هذا الفن من قابلية التعدّد ، و تعريف الشعر في النقد العربي القديم والحديث لم ينفصل عن جذرٍ فلسفي و جذرٍ تاريخي ، لكنّهم عوّلوا على عنصري المُحاكاة والوزن . ما طرأ على هذين العنصرين حتّى اليوم مهمّ . فالوزن تفلّت من سيمتريته نحو الايقاع من ناحية ال Rythme ، و من ثمّ ليكون حرّاً بالمرّة حتّى في أن يكون لا وزناً ؟ كما ارتأى بودلير في طرح سؤاله : " هل يمكنُ أن نشتقّ من النثر قصيدة ؟ وانتهى إلى تلك التسمية الجديدة الملتبسة (قصيدة النثر Poéme en prose) . قد يكونث الشعرُ هو حفرُ بئرٍ في صحراء النثر الشائعة ."

تعليق : في البدايات الأولى للانسان عندما كان العقلُ صفحةً بيضاء ناصعة كالثلج لم يُنقش عليها شيء كان نوراً خابيةً في عماء الوجود ، و لم يألف الحركة خارج نطاق الغزيرة ، و بعد مخاضٍ وردود فعلٍ و تكيّف بدأت مغامرته الكبرى مع الكون . فكانت قفزته الأولى نحو المعرفة ، وكانت الأسطورة هي مولوده الأوّل و لا سيّما بعدما سقط السحر في مقبرة الوهم ، فكانت له تأمّلاته و حكمته ومنطقه فسبر أغوار المعرفة ، و كان أداة الانسان الرائعة في الأدب والشعر والفنّ والعلم من تفسير و تعليل، والشرائع والأعراف والقانون ، و كلّها كانت إنعكاساً خارجيّاً بحقائقه الداخلية . فكما أنّ الأسطورة نظام فكريٌّ متكامل حسب د. فراس السوّاح استوعب قلق الانسان و توقه الأبدي لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه ، و الأحاجي التي يتحدّاه بها التنظيم الكوني الذي يتحرّك ضمنه . فكذلك الشعرُ كان مرافقاً و مسانداً للأسطورة لا بل كان لغتها عندما تفتّح وعيُ الانسان ، وحدّث عن الأساطير

والأشعار الموجودة في ألواح اوغاريت بلا حرج . " والأسطورة حسب السوّاح في كتابه المذكور آنفاً ص. 30 هي نصٌّ أدبيٌّ وُضع في أبهى حلّة فنّية ممكنة . و أقوى صيغة مؤثّرة في النفوس ." وهذا ما زاد في سيطرتها و تأثيرها ، وكان على الأدباء والشعراء أن ينتظروا فترةً طويلةً قبل أن ينفصلا عن الأسطورة ، وهذا ما رأيناه في معظم الأساطير السورية والسومرية والبابلية في اجمل شكلٍ شعريٍّ ممكن . و قام هوميروس بصياغة معظم أساطير عصره المتداولة شعراً في الأوديسة والالياذة . و إلى جانب الشعر والأدب خَلقت الأسطورة فنوناً أخرى كالمسرح ، كما دفعت فنوناً أخرى كالغناء و الموسيقى ." إذاً الشعر والأدب هما إبنا الأسطورة الأم ، والانسان هو الأب ! هذه هي المسألة التاريخية للشعر التي تحدّث عنها الشاعر المفكّر د. شمس الدين ، و أمّا أن تكون بديهية فلهذا تفسيرٌ آخر هو أنّ الانسان بفطرته يميل نحو الشعر بل قلْ نحو التعبير عمّا يعتريه بكلمات تُصوّر ما يُحيطه و تبدأُ من أعماقه . فالموتُ صنوُّ الحياة ووجهها الآخر، والطبيعة يجب أن تُجدّد نفسها بالموت و معاودة الانبعاث إلى حياة غضّة جديدة . فالشعرُ هو جذوة فعّاليّة تلقائيّة موجودة في صميم التفاعلات الذاتية للشاعر مع نفسه و مع محيطه بل مع الكون . و للطبيعةِ لغةٌ لا تُستعمل فيها المفردات بل تُعبّرُ بلغة الرسم للجمال و للأهوال أي للربيع والرعد والبرق والبراكين وغيرها .. لذا فإنّ الطبيعة تتناغم مع قلّة الكلام ، لكنّ الشعر يتناغم مع الكلمة يُحاكي كلّ شيء حتّى الطبيعة التي ترفض المفردات . و هناك فرضية حول جين الله وهي أنّ جيناً معيّناً (VMAT2) تُهيّء البشر تجاه التجارب الروحية أو الصوفية ، وقد افترض الفكرة دين هامر **Dean Hamer** مؤلف كتاب جين الله . و هي تُمكّن قياس كميّة الروحانيّة بالقياسات النفسيّة والميل إلى الروحانية والنفسية كافة . و هذه الجين قد افتُرضت على مزيجٍ من الدراسات الجينية العصبية السلوكية . وبالتالي هي جين العواطف والشعور المتماهي مع الذات العلوية . و ما أودّ قوله أنّها تُحفّزُ الانسان على الشعور بالأحاسيس المميّزة و منها الشعر والأدب والفن بكلّ أقسامه . و عليه الشعر موجود لا بل كان ينتظر

الحياة داخل الانسان ، و عندما تفتّح وعيه راح يُحرّره من هذه الأعماق لذا قال شاعرنا أنّه بديهيّ . و هنا تبرز علاقةُ الشعرِ ببقيّة الفنون واللغة . وهذا التطور للانسان العلميّ التقنيّ والحياتيّ بشكل عام جعل الشعر يتماهى مع ريادات العقل البشري المغامر في الزمكان .

أمّا مسألة تنوّع الشعر وانفلاته من أغلال الوزن و سيمتريته نحو الايقاع فهذا أمرٌ طبيعيٌّ لكنّ شمس الدين لم يلبث أن ميّز الشعرَ عن النثر لا بل توّجه حين قال : " هو حفرُبئرٍ في صحراء النثر الشاسعة " أي إنّه ساقي العطاشى للتائهين في رمال النثر ! و لكن أو ليس النثر سهولٌ خِصبة تموج فيه سنابلُ الشعر ؟! "

و يقول فراس السوّاح : لقد تهاوت الأسطورة تحت مطارق الفلسفة و تجرّع سقراط السمّ جرّاء اجترائه على آلهة اليونان ، و من بعده تابع أفلاطون و أرسطو المهمّة . و تعاونت مع الفلسفة الديانتان المسيحية والاسلامية . ثمّ أدّى تبلور المناهج العلميّة مع تطور العصور الحديثة إلى الازدراء الكامل للأسطورة و إنزالها إلى مرتبة الحكاية المسلّية لما تحتويه من عناصر غيبية تتنافى والتفكير العلمي السليم . كما ادّعى العلم في بعض مراحله القضاء على الفلسفة والدين معاً . إلّا أنّ القرن التاسع عشر في أوروبا قد جلب معه ثورةً فنّيةً و جماليّة أعادت للأسطورة رونقها و بهاءها كشكلٍ فنّيٍ تعبيريٍّ من أشكال الفلكلور والأدب الشعبي .. و ما لبث الرومانتيكيون أن مشوا خطوات أبعد في النظر من الأسطورة فاعتبروها أصلاً للفن والدين والتاريخ وصارت لهم نهلاً ثرّاً و مهمّاً " . والعلاقة بين الفلسفة والأسطورة هي علاقة متشابكة و معقّدة و غامضة لا يمكن إغفالها ، ويرى بعض الفلاسفة أنّ الأسطورة هي المقدّمة الطبيعية والأساسية لظهور التفكير الفلسفيّ أي إنّ التفكير الفلسفيّ قد انبثق عن التفكير الأسطوري . و رغم أنّ الفلسفة كانت في أوّل طلّتها شعراً و لا سيّما في خضمّ بحثها عن أصل الكون والأشياء على يد الفلاسفة الطبيعيين الأوائل على غرار طاليس و هيراقليس وغيرهما فإنّ هذه العلاقة ظلّت مثيرةً للجدل . و تقولُ الباحثة الجزائرية

د. حبيبة محمدي في كتابها : " نيتشه شهوة الحكمة وجنون الشعر " مشيرةً إلى إنّه عبر أفكار نيتشه الجدليّة ثمّة محاولةً للاجابة عن تساؤل مفاده : ما أهميّة أن يتضمّن الشعر الأفكار الفلسفيّة ، و هل من الممكن أن تُقدّم الأفكار الفلسفيّة في إطارٍ شعريٍّ ؟ مكتشفةً أنّ كلّاً من الفيلسوف والشاعر يستخدم الكلمات في محاولة إعادة تشكيل العالم و فهمه مُستعينةً بمقولة للفيلسوف الألماني هايدغر ": إنّ كلّ تفكيرٍ تأمليٍّ يكون شعراً ، و إنّ كلّ شعرٍ يكون بدوره نوعاً من التفكير " ، و تعود إلى جذور التراث الصوفي الاسلامي الذي جمع بين الفلسفة والشعر حيث صاغ ابن سينا نظريته الفلسفيّة الخاصة بالنفس البشرية شعراً . و في رحلةٍ في تاريخ الفلسفة اليونانيّة نرى أنّ الفلاسفة قد نظموا قصائد شعريّة تضمّنت أفكارهم الفلسفية بدايةً من بار مينِدس (520-450 ق. م.) مروراً بهراقليطس والسوفساطائيين الذين ظهروا أواسط القرن الخامس قبل الميلاد ، كما نرى موقف أفلاطون المعادي للشعر والشعراء و رغم كونه ألّف الشعر في شبابه ، و عدّ الشعر نوعاً من المسّ الالهي الذي يُفجّر الطاقة الابداعيّة عند الانسان ، لكنّه مع ذلك عدّه مصدراً مضلّلاً للمعرفة ، وفضّل استبعاده من مدينته الفاضلة . فيما أرسطو قد عدّه محاكاة للطبيعة و هو باعث فنّ الشعر ، و مؤسّس جذوره في تاريخ الفلسفة ، أمّا هيغل حسب المؤلفة فقد عدّ الشعر حدّاً وسطاً بين الفنون التشكيلية والموسيقى . كما أنّ موضوعات الشعر والفلسفة تكاد تكون واحدة . فالفلسفة نتجت في المعرفة والوجود والقيم والشعر كذلك . لذا قد اعتبره شمس الدين أنّه مسألة فلسفيّة ، و قد عبّر عن ذلك ببلاغةٍ واضحة تطلّبت هذا التحليل التاريخي لنشأة الشعر والأسطورة ، و قد بان ذلك في أكثر قصائده و نذكرُ منها : في قصيدة ليوناردو : / هل أنت أخذت الحكمة من أفواه الحكماء بروما ؟ و ملكت مفاتيح السحر من الاغريق / و كانت نشوتهم تقطر من أطراف أصابعهم ؟ حين غمست الريشة في ماءٍ داكن / و رسمتَ امراةً بخطوطٍ كشبَاك الصيّادين / رسمت يديْها كالأسماك و عينيه كالخوف النائم في الأعماق .../ فافتحْ بالريشة ما واريتَ من السرِ و خفّفْ شيئاً من تعبي. و في قصيدته

غويا : / أشار لهم غويا بالريشة و قال /انتظروا هل يقدرُ أعمى أن يُبصرَ أعمى ؟ أو يقرأُ سطراً سطّرهُ غويا في اللوحة / قال له : قلْ شيئاً واقرأْ ماذا يعني أعمى في الصورة يا غويا / أو أن يقود خطاه و في حفرة هذا الليل عذابٌ لا يعرفُ آخره؟ /.

و في مقالةٍ له نُشرت له في 2022/06/16 تحت عنوان : استئناف المعنى يُضيء بخفّة على علاقة الشعر بالفلسفة : نُلاحظ في شعره أنّه يُركّز على إبرازه النواحي الجمالية في المتن من خلال الايقاع أو من خلال الصورة البلاغيّة المتزيّنة بالفلسفة ، و عندها تبرز النواحي الامتاعية التذوقية التي تُناصرها البراعة التصويريّة بماء الشعر السحري ! و نُلاحظ أيضاً التوظيفات البلاغيّة الناعمة السهلة الفهم المتنوّعة موجّهاً اهتمامه بقوّة نحو تتبّع جوانب الجمال، وبثّ الاثارة و يعتمد السرد القصصي أحياناً في شعره ممّا يجعل أداءه في جانبٍ كبير ينحو منحىً تصويريّاً فنّياً ممتعاً ...

إستئناف المعنى : يقول شمس الدين :" في الشعر ما أُسمّيه " استئنافُ المعنى " . يقول أبو الطيّب المتنبّي : " فوق النجوم و فوق ما أملوا فإذا أرادوا رفعةً نزلوا " . و يقول نيتشه في " هكذا تكلّم زرادشت ": " إنّكم متشوّقون إلى الاعتلاء فتنظرون إلى ما هو فوقكم . أمّا أنا فأنظر إلى ما تحت قدمي " . يقولُ سعيد عقل : " كمثل صنّين يهوي إنْ صعدا " هنا معنى مستأنف ثلاث مرّات .. و في كلّ مرّة تؤتي ثمارها في ثلاثة مواسم ... وهي مسألةٌ تتعلّق بمعنى المعنى (على قول الجرجاني) و قدرة الشعر المفتوحة على الابتكار برغم تقارب المعاني أو ترادفها." تعليق : و في هذه المقارنة حول استئناف المعنى تبرز علاقة الشعر بالفلسفة جليّة وناصعة كابيضاض جبل صنين المكلّل بالثلج . والانتقال من النقيض إلى نقيضه يحصل في إطار الدياليكتيك و على صهوة التغيير أو على صهوة الفلسفة ...

و في أدب و مقالات شمس الدين تبدو الشروح المتنوّعة و هي شروح ترتبط بالشعر عينه أو بعددٍ من الشعراء فعلى سبيل المثال :

في مقالة له تحت عنوان ملفّان في الثقافة / المدرس و بيضون (تعديل و إضافة)، ملفّان في الثقافة انطوى عليهما باب كلمات " ورد في جريدة الأخبار عدد 2022/07/16 ":

يستحقّان منّا إلتفاتة : أحدهما أعّده خليل صويلح بعنوان " فاتح المدرس/ كافكا الجبال مطلّا على فراغ الكون" و هو عن الرسام السوري فاتح المدرس (1999/1922) في وجهه الآخر (الأدبي) ، و الثاني أعدّه محمد ناصر الدين بعنوان " عباس بيضون صور لا نفارقك كأمراء البحر " بمناسبة صدور طبعة جديدة من قصيدة "صور" .عن دار النهضة (2022) / بعد طبعتها الأولى 1974. أي بعد مرور نصف قرن إلاَّ قليلاًعلى صدورها .. و كلا الملفّين يستدعي منّا كلمات بشأن فاتح المدرس (شاعراً) كان يسكبُ هذه الحساسية الشعرية في ألوانه خاصة حيث اللون هو روح اللوحة والخطُّ جسدها ، و قد عبّر بالكلمات عن ذلك فقد نُشرت له التخطيطات والقصائد . وهنا ما يقوله بشأن الألوان " أنا أضربُ اللونَ باللون أُناطح أكثر من ثورٍ هائج في وقتٍ واحد لكي لا أرى اللون يغلبني . أُنظر إلى الأخضر إنّه أوقح لون في العالم . يصرخُ مثل بيّاع الباذنجان . الأحمر أجلب له العبد الأسود قربهُ ليرضيه .. الأزرق يحردُ أحياناً فأُطيّبُ خاطره .." سأُضيف : كان ثمّة شيء ما من الأصفر ممدّد في الحقول . و أنا لا أُسمّي المدرس " كافكا الجبال " بل فان غوغ الحقول " . بالنسبة لقصيدة صور لعبّاس بيضون ثمّة فرق بين قصيدة صور و قصيدة "فقد حوّل الشاعر المدينة إلى قصيدة" تتّسم بالملحميّة و الاستعارات التاريخيّة و إنشاد عبر سرد شعري طويل و هي القصيدة الوحيدة في نتاج بيضون الشعري التي تتسم بالملحميّة والانشاد . هو المشغول بالتفاصيل واللمح والاشارات الشعريّة الخاصة فكأنّه ارتقع في صور إلى الميتافيزيك والميتاتاريخ ليعود في جميع شعره إلى التفاصيل والحال وبالذات السريّة ...

تعليق : و يتحوّل شمس الدين إلى رسّامٍ بالكلمة و ناقدٍ مدقّقٍ في تفسيراته وشروحاته أو يتقنّع و ينسّل إلى داخل نصوصِ منْ يلاحقهم في نقدهِ من شعراء و أدباء سواءً إيجاباً أم سلباً .. لقد ظنّ الكثيرون أنّ النقد الجديد كما دعا إليه إليوت أصبح متجاوزاً و تدخلُ في

هذا النقد درجة عالية من الوعي بخصوصية النتاج الأدبي ، وعبقرية كلّ عمل فرد ، و بأهمّية التقنية واللغة ، والتشكيل الكلّي لروح النص كما أوضحه إليوت في " نظرية الموروث والموهبة ". و يقول إدوارد سعيد في هذا النطاق "لكلّ نصٍّ عبقرية ... و تقوم أعمال شمس الدين على نظرة تاريخيّة إنسانيّة و فلسفيّة أحياناً ، ونظرة تحليليّة تعتمد على العقلانيّة في النقد و تسعى إلى نبذ التطرّف و إجلاء الحقيقة ، و هو يتعامل مع النقد إبتداءً من تاريخ الأدب وصولاً إلى المرحلة المعاصرة ففي مقالة له تحت عنوان : "

الشاعران (في تأسيس الحداثة) في 2022/06/19 يقول : عددٌ من أبرز شعراء الحداثة الشعرية العربية أدخلوا شاعرين من التراث في تأسيس رؤية كلّ منهم الحداثية كقناع أو دينامو مُحرّك للرؤية . هما بالأولويّة أبو الطيّب المتنبي و أبو العلاء المعرّي ، شاعران حُرّان من أكثر من ألف عام . و كان المعرّي في عنوان مختاراته من شعر المتنبي قد رسم خطأ لاعجاز المتنبي في " معجز أحمد" . في بعض رؤى الحداثيين العرب : عبد الوهّاب البيّاتي و أدونيس و كمال أبو ديب ومحمود درويش و محمد علي شمس الدين يدخل المتنبي كمحرّك رؤيوي للعالم والعصر وسائلَ كثيرة في المعنى واللغة والقلق . فإنّ البيّاتي كتب باكراً (1963) قصيدته " موت المتنبي " (لتحترق نوافذ المدينة / و لتذبل الحروف والأوزان / و لتأكل الضباع هذي الجيف اللعينة ..). و كتب أدونيس إحياءً شعريّاً لمخطوط متخيّل للمتنبي من خلال " الكتاب بأجزائه" ... و كتب كمال أبو ديب " عذابات المتنبّي " ، وكتب محمود درويش رحلة المتنبي إلى مصر في ديوان " حصار لمدائح البحر " ، وكتب محمد علي شمس الدين " ممالك عالية " .. و في هذه التجارب جدل وتداخل واستلهام مع شاعر جوهري في التجربة العربيّة والعالميّة سيرته و أشعاره .. حيث يُمكن للمعنى أن يتوالد و للصيرورة الشعريّة أن تحدث بتدوير الأزمنة و الأمكنة واللغة والذات .. فليست المسألة العلاقة بين الأصالة و الحداثة من خلال الاستعارة والقناع بل جدل المعنى و دمج التجربة الشعريّة بعصبٍ إنسانيٍّ مرنٍ و قابلٍ للاتساع " ...

تعليق : ولكنّ هذا الدمج للتجربة الشعريّة أيكون في مرونته و اتساعه على حساب انتصار الحداثة على الكلاسيك ؟ أو بالأحرى أتُبني الحداثةُ ممالكها على أمجاد الماضي مدّعيةً أنّها من روح العصر و أنّها الوريث الشرعي للأصالة ؟! وهل هذا القناع أو الدينامو المُحرّك للرؤية هما ضروريان لولادة الحداثة ؟ فهل من الضروري أن يتحوّل البيّاتي الشاعر الرقيق إلى نيرون يحرقُ نوافذ المدينة و يذبل الحروف و الأوزان حتّى جعل الضباع تأكل هذي الجيف التي وصفها باللعينة !؟ ما هذا الانتقام من الشعر الكلاسيكي ؟ و لكنّ شمس الدين في ممالك عالية تماهى مع المتنبّي و أسّس مملكته الشعريّة على بعضٍ من الأصالة ، و جعلها الدينامو المحرّك لمخيّلته فراح يحفرُ في التاريخ حتّى حصل على كنز الأصالة و نفض عنه غبار التراكمات ، وغسله بطهره فراح يلمع في قصائده ، لا بل عاد فتىً جميلاً يبدو أنّه نرجس أو محمد علي شمس الدين لكن عاد على صهوة الحداثة بحلّةٍ متواضعةٍ معترفاً بقوله " نعم أنا نرجسي " ثمّ يشرح نرجسيته المختلفة عن الفرويديّة.. أو لم يكن المتنبي نرجسيّاً ؟ أليس هو من ادعى النبوة ؟ و كذلك شمس الدين اختال بجمال قصائده بين الدراسات والأطروحات والندوات الشعريّة والنقديّة ، لا بل إنّه كان يحملُ سيف النقد الجارح أينما حضر في ساحات الاحتفالات بتوقيع الدواوين الشعريّة . لكنّ هذه الكدمات والجروح التي كان يتركها و بكلّ صراحة إنّما كانت محفّزاً للعديد من الشعراء كي يُحلّقوا في سماء القصيدة ..

يتبع في العدد السابع

الدكتورة عُلى المحمد

دور الأسرة في تحقيق التماسك المجتمعي

(دراسة نظرية عن أهمية الأسرة)

دور الأسرة في التماسك المجتمعي

نعيش اليوم في عالم واسع متسارع الخطى متصارع القوى تتقاذفنا فيه أمواج الإنفتاح تعلو بنا تارة وتنخفض بنا تارة أخرى تغيرنا ، تقولبنا تؤثر فينا وترسم لكل منا شخصية تحمل في طياتها ما هو سلبي وما هو إيجابي وما هو قريب من التنشئة السليمة وما هو بعيد عنها ووسط هذا الخصم الواسع يظهر لنا وبوضوح أهمية الأسرة تلك النقطة المحورية الأساسية في دائرة الحياة والمجتمع فهي اصغر وأهم مؤثر جماعي ، إجتماعي ، مجتمعي ، تلك النواة التي قد تكون إما دافعا" نحو تقدم البشرية وإما عائقا أمام تقدمها .

وقد توافق المفكرون والفلاسفة والباحثون على عظمة وأهمية هذا الدور الذي تقوم به هذه المؤسسة التربوية على كافة الصعد وبمختلف الأساليب. من هنا وإنطلاقا من هذه الأهمية للأسرة سنحاول في هذه الأوراق البحثية تبيان العلاقة بين الترابط الأسري والترابط المجتمعي إنطلاقا من السؤال التالي : ما هو دور التربية والتنشئة الأسرية في تحقيق التماسك المجتمعي ؟ وما هي المشكلات الأسرية التي قد تقف بوجه تحقيق هذا التماسك ؟

ومن أجل الإجابة على هذه التساؤلات كان لابد من تحديد العديد من النقاط المساعدة على تبيان هذا الدور وهذه العلاقة وذلك تبعاً لما يلي:

1-تعريف مصطلحات الدراسة

2-الأسرة كنظام إجتماعي

3-الوظائف والعمليات الإجتماعية للأسرة

4-المشكلات الأسرية

5-حاجات الطفل والعوامل المؤثرة في نموه الإجتماعي

6-نماذج من مناهج واساليب تربوية

7-الأسرة بين الأمس واليوم

8-نحو تربية وتنشئة أسرية سليمة

- 1مصطلحات الدراسة

الدور : جمعة أدوار ويعني المهمة والوظيفةوهي إحدى المعاني الواردة في معجم المعاني الجامع (معجم عربي ، عربي)

التربية : هي كل عملية أو مجهود أو نشاط يؤثر في قوة الإنسان أو تكوينه والتربية بمفهومها الشامل هي الوسيلة التي تساعد الإنسان على بناء قيمة وعاداته ونظمه السياسية والإجتماعية والإقتصادية هي عملية صناعة الإنسان وتكييفه مع بيئته وتفاعلها معها .

التنشئة : أصل الكلمة من الفعل نشأ ومعناه في اللغة ربا وشب وكلمة نشأ تعني أيضا الولد الذي كبر وشب ولكن لم يتكامل هذا لغة ، اما اصطلاحا فهي طريقة تهدف إلى تدريب الأفراد على كيفية القيام بأدوارهم ليصبحوا فاعلين في المجتمع وهي عملية مستمرة طيلة حياة الإنسان (هلا الصالحين ، مجلة بنيان)

التماسك : ويعني الإرتباط الوثيق ، على الصعيد الإجتماعي فالتماسك يعبر عن مدى قوة الروابط بين أعضاء الجماعة وكلما زاد تماسك الجماعة كلما زادت قدرة الجماعة على فرض معاييرها السلوكية على أفرادها

(محمد صقر عاشعد)

1-الأسرة : الأسرة هي المفرد لكلمة أسرات او أسرات أما العائلة فجمعها عائلات وعوائل والأسرة تتكون من أفراد تربطهم صلة القرابة من خلال التزاوج والانجاب وتساهم الأسرة في النشاط الإجتماعي في كل جوانبه المادية ، الروحية ، العقائدية ، الإقتصادية (مصطفى الخشاب) .

2-الأسرة كنظام الإجتماعي

تحتل الأسرة المركز الأول من جهة الأهمية على صعيد التربية والتنشئة ، ففي الأسرة يتعرف الطفل علبى علاقاته الإجتماعية الأولى التي يكتسب من خلالها خبراته ومعارفه ولا يوجد أي مؤسسة او نظام ينقل الطفل من طبيعته البيولوجية Biologie nature إلى طبيعته الإنسانية Human nature كمؤسسة الأسرة .

وتظهرالعمليات الإجتماعية في الأسرة تظهر باشكال متعددة من تآلف وتعاون وتكييف وضبط مع ما يعترض ذلك من تنافس وإختلاف واحيانا صراع فدور الأسرة إذا هو دور أساسي في تشكيل ذوات الأطفال التي يتشكل من خلال التغذية والحماية والرعاية فالتنشئة الإجتماعية الصالحة التي تقوم بها الأسرة هي أساس النمو والإرتقاء .

لقد أكدت البحوث في هذا المجال أن هناك علاقة قوية بين التدعيم الأسري وبين إرتفاع درجة تاكيد الذات والقدرة على الانجاز الدراسي والإبداع والتوافق الاجتماعي ونمو الادراك.

والعكس صحيح فالتعسف واستخدام القوة في التنشئة والتربية الأسرية له تأثير على عدم توافق الأفراد مع أنفسهم ومع مجتمعهم .

فالأسرة إذا عبارة عن جماعة ال" نحن " وذلك بدرجات مختلفة ومتنوعة وعلى كافة الصعد فالنظام الإجتماعي للأسرة يتاثر بالعديد من الجوانب من دين وثقافة وعادات وتقاليد... ويتكون

تبعا لها ويطبعها في شخصية الطفل منذ ولادته فقبل إلتحاق الولد بالمدرسة يكون قد إكتسب كثيرا من الأنماط الإجتماعية وبدأ بتكوين شخصيته من خلال إكتسابه للمعارف والعادات والاتجاهات التي تؤثر بشكل واضح على عملية تكيفه أو عدم تكيفيه في المتقبل (Education 1995 and sociologie).

3-الوظائف واعمليات الإجتماعية للأسرة

يرى وليم أوجبرن Ogbrun العالم التربوي أن هناك سبع وظائف بناها على ما كانت تقوم به الأسرة في الماضي وهذه الوظائف هي :

الوظيفة العاطفية ، الإقتصادية ، التربوية ، الترويجية ، الدينية ، وظيفة الحماية ووظيفة المكانة العائلية .

أما هوارد بيكر Haword Backer يرى في وظائف الأسرة أمورا أخرى كالإنجاب ، حماية ورعاية الطفل الإنتاج الإقتصادي للسلع والخدمات التشكيل الإجتماعي للأطفال ، تربية الأطفال ، الترفيه، التفاعل العاطفي. هذه الوظائف قد يتضح بعضها وقد لا يتضح تبعا لتركيبة الأسرة وتركيبة المجتمع وما يحيط بهما من عوامل وتغيرات إلا أن هناك ثوابت بعمق الدور الأسري منها :

* دوام الوجود الإجتماعي : وهي الوظيفة الأولى للأسرة حيث يتم من خلالها تجدد وأستمرار الحياة البشرية

من خلال الانجاب.

* الرعاية والتوجيه : وهي وظيفة تبدأ منذ الولادة حيث يتوجب على كل أسرة إعالة أفرادها من غذاء وكساء

وصحة و... وتوجيههم مع ما يتوافق مع القيم والمبادئ والمعايير الأخلاقية .

* اشباع دوافع الوجدان والعاطفة

كل فرد منا يحتاج إلى أن يحب ويحب والأسرة هي خير من يوفلر ذلك على أن تكون العاطفة متزنة فتلبية

الحاجات النفسية العاطفية المتزنة من أهم وظائف الأسرة السليمة التي من دونها قد يتولد لدينا تدميرية . تفكك المجتمع وتهبط به إلى الحضيض

إذا يكمن جوهر العملية التربوية السرية في بناء الفرد الذي سيبنى مع الآخرين مجتمعا متعاونا ومترابطا لذا نستطيع أن ننظر للأسرة على أنها الميدان المؤسس لتفاعل الشخصيات والأفراد في إطار تكيفهم ومسايرتهم لنمط الحياة في المجتمع الواسع .

إلا أن ذلك لا يعني إستمرارية التوافق والإنسجام والتكيف مع سائر الأوضاع وبين سائر الأسر فالتعالرض أيضا هو حالة طبيعية ليس بين بين أفراد الأسرة نفسها بل أحيانا يظهر حتى بين المرء وذاته والتعارض بين الطفل ووالديه يعود إلى عوامل عدة أبرزها اليوم الهوة الثقافية والقيمية بين الأجيال جيل الآباء والأجداد مع جيل الأبناء وكما ذكرنا فإن الشعور بالإنتماء لجماعة ال " نحن " أي للأسرة كلها كان التفاعل بين الطفل ووالديه قويا وكلما كان الإنتماء والشعور به قويا كلما كان التعارض أقل وإضافة إلى الهوة الثقافية القيمية هنالك إختلاف في تحديد الأدوار من خلال عدم التحديد الواضح لظاهرة النضج المرتبطة بالمسؤولية والتي إختلفت عن السابق بين ما يسمى بالمجتمعات التقليدية والمجتمعات المعاصرة فغالبا ما يشعر أبناء هذا الجيل بأن المسؤولية حمل ثقيل عليهم وأنها مفروضة عليهم فرضا وليست نابعة من قناعتهم الشخصية أو من الضرورة إليها وهذا التشويش الفكري قد يكون له أسباب أخرى وعديدة للتعارض منها عدم فهم الأهل لأولادهم وتسلطهم عليهم حتى بأبسط الأمور والتي تعد من خصوصيات الأولاد كالدراسة والعمل مثلا .

والواقع أن التعارض أمر لا مفر منه ورغم ما يحمله من سلبيات إلا أنه دليل دماء جديدة وحركة شرط أن يكون صادرا عن تفكير وتأني وليس عن أهواء متناثرة ومبعثرة وإلا فإن الأسر والمجتمع ككل قد يصل إلى تفكك لا تحمد عقباه .

4-المشكلات الأسرية

يزخر عالمنا اليوم بالعديد من المشكلات منها ما هو إجتماعي ومنها ما هو إقتصادي ومنها ما هو سياسي فالعالم اليوم هو عالم متسارع الخطى متماوج الأهواء لا حدود لحركته ولا لتغيره ذلك التغيير الذي ترك بصماته على كل مناحي الحياة والتي حملت الكثير من السلبيات خصوصا في مجتمعاتنا على الصعيد الإجتماعي وأول ما يتبادر إلى الأذهان بعد ذكر إجتماعي الواقع الأسري والمشكلات التي تلفه اليوم لأن الأسرة وكما ذكرنا هي نقطة الإنطلاق لكافة الصعد وتحديدا الإجتماعية.

- عدم التوافق العاطفي وهو من الأمور المهمة المساعدة على الإستقرار الأسري حيث يقر الباحثون أن هذا النوع من التوافق يخفف من حدة الصراع والتوتر ويخفف من درجة الخلافات بين الزوجين وعدم وجود هذا النوع من التوافق له سلبيات لا تقف عند الزوجين بل تتعداهما إلى أفراد الأسرة ثم إلى المجتمع ككل .
- العنف يرى مواري ستراوس M.Strauss أن هناك معيارا" ثقافيا" على ما يبدو ومسلم به لدى بعض الأسر يجيز للأفراد داخل الأسرة الاعتداء والضرب على بعضهم البعض في بعض المجتمعات وأيا" يكن المجتمع وأيا" تكن أسباب العنف الممارس إلا أن ما يحسن هذه العلاقة هو القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية السليمة فالبعد عنها لا يساعد إلا عللى الفكك وشدة الرفض لأي رابط.

- <u>سوء معاملة الأطفال (جسديا" ونفسيا")</u>

إن سوء معاملة الأطفال ليست ظاهرة حديثة والتبرير لها من جانب بعض الآباء والمدرسين والأوصياء ان هذا النوع من العقاب البدني الذي يراه البعض سوء معاملة إلا أن العديد يرى في طياته حفظ للنظام وضبط العلاقات وتصويبها ، وهناك من يراه نوعا" من الجهالة والقسوة والبعد عن الانسانية التي تستدعي تدخلا" لتقويمه.

وسوء المعاملة المذكور يأخذ وجهين أحدهما جسدي والآخر نفسي وكلاهما مؤثران سيئان على الصعيد الشخصي وعلى الصعيد البنائي للمجتمع.

والمعاملة السيئة سواء أكانت جسدية أو نفسية فإنها تؤدي في كلتا الحالتين إلى مشاكل إجتماعية خطيرة وتتزايده ويعتقد " ديفيد جيل " Davied Gill أن الميل في المستقبل لدى الأطفال الذين أسيئت معاملتهم تتجه نحو القتل والسرقة وارتكاب جرائم العنف المختلفة في المجتمع.[7]

- <u>سوء الأوضاع الاقتصادية</u>

يؤثر هذا العامل اليوم كثيرا على العلاقات الأسرية لأنه عامل يرهق كاهل الأسرة خصوصا إن لم يكن لدى أفرادها قدرة على تحمل هذا الواقع وعلى محاولة تغييره.

ان هذا العامل ليس بضرورة وضعه كسبب للمشكلات لأن ذلك يعود إلى نوعية الأفراد وتحملم وإيمانهم إلا أنه مما لا شك فيه أن عدم التوازن الاقتصادي بشكل عام يفقد الأسرة توازنها أيضا" خصوصا إذا ما ترافق الخلل والضعف الاقتصادي مع خلل مجتمعي وضعف قيمي.

- <u>الهوة بين الجيلين (جيل الآباء وجيل الأبناء)</u>

ان المتابع لواقع حياتنا اليوم يلاحظ ان كما" هائلا" من القيم الوافدة أثرت على نمط حياتنا وحياة أبنائنا ووسعت المسافة داخل البيت الواحد بين الولد وأهله ، فالأهل لم يعودوا أصحاب

القرار الأول في رأي الولد كذلك ليسوا المصدر الوحيد للمعرفة وللتنشئة فهناك مصادر كثيرة ينسجم معها الولد أكثر من أهله يعيشها ويتعايشها من الهواتف خليوية الى أجهزة كمبيوتر الى ما هنالك من مستحدثات معلومات وتسالي وعروضات احتلت الجزء الأكبر من قلب وروح الأبناء يقابلها أحياناً رفض من الأهل مما ساهم في أكثر الأحيان في خلق مشكلات تزيد من الشرح بين الآباء والأبناء شرحاً يزداد حدة يوماً بعد يوم فهذا الالغاء او شبه الالغاء لدور الأهل الناتج عن وجود البدائل الحديثة وترك الأبناء يتحملون مسؤولياتهم وسط هذا الجو بعيد عن بناء العلاقة البناءة بين الأهل والأبناء هو أمر كارثي يستدعي أي عاقل للوقوف أمامه والتفكير الجدَي بإيجاد الخلول التي تعيد للأسرة مكانتها.

- حاجات الطفل والعوامل المؤثرة في نموه

وبعد ذكر هذه المشكلات وطرق التعامل القائمة بين الفرد وأسرته ، وجب علينا ذكر الحاجات التي يتوجب على الأسرة تأمينها للطفل وإشباعها له لما لها من تأثير على بناء شخصيات المستقبل فمعرفة حاجات الطفل وطرق إشباعها تساعد الفرد للوصول إلى أفضل مستوى من النمو النفسي والتوافق مع الذات ومع المحيط الذي يعيش فيه.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الدوافع والحاجات يختلف بين فرد وآخر وبين جماعة وأخرى وبيئة وأخرى إلا أن هناك حاجات أساسية يكاد علماء التربية والإجتماع يتفقون عليها وهي كالتالي:

أ- الحاجة إلى الإنتماء

الانسان هو ذلك الكائن الاجتماعي الذي لا يستطيع العيش منفردا" ومنعزلا" عن الجماعة ورب العالمين خلقنا شعوبا" لنتعارف ونتآلف فقد قال تعالى "وجعلناكم شعوبا وقبائل لتتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" [سورة] فالفرد يتلمس في الجماعة أمورا" عدة ويسعى لإشباع حاجات عدة من أهمها حاجته إلى الانتماء والتقدير والاحترام والتفاعل مع الآخرين فالعزلة من الأمور السيئة على الصعيدين الفردي والمجتمعي.

من هنا وعلى صعيد الأسرة يجب أن يشعر الأبناء بإنتمائهم ألى أسرهم وهذا لا يتآتى من فراغ فكلما ساهمت الأسرة في إفساح المجال لقيام كل فرد بدوره مع تقدير هذا الدور كلما كانت العلاقة صحيحة ومتينة ومتماسكة والعكس صحيح.

ب- الحاجة إلى الحب والمحبة

ان الحاجة الى الحب والمحبة هي من أهم المشاعر التي تبنى عليها الشخصيات السوية فشعور الفرد بأن هناك من يهتم لشأنه ولميوله وعواطفه كلما ازداد اندفاع هذا الفرد للإنضمام إلى الجماعة التي شاركته عواطفه وصفاته وكلما ضعف هذا الشعور بالحب والاهتمتم كلما ازداد شعوره بالنبذ والضعف واهمال.

ت- الحاجة الى الأمن

تعتبر هذه الحاجة من اهم الحاجات والأمور التي يتوجب توافرها يقول الرسول (ص) : "من كان آمنا في سربه ، معافي في بدنه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بما فيها".

وتتضح هذه الحاجة عند كافة افراد المجتمع والطفل هو ذلك الكائن الذي يشعر بحاجته القوية للشعور بالأمان فهو المخلوق الأضعف والأكثر حاجة لهذا الشعور من أجل بناء سوى نفسي ومجتمعي مستقر.

والإستقرار الحقيقي لا يتآتى إلا من خلال الأمن والإشباع في بيئة إجتماعية أسرية صحيحة تميل إلى التعامل مع الآخرين بثقة وتقديرفالشخص الذي يفتقد لهذا الشعور يفتقد الإطمئنان والهدوء والثقة بنفسه وبالآخرين .

ث- الحاجة إلى تأكيد الذات

_يسعى كل منا لإثبات وجوده من خلال وجوده ومن خلال إعتراف الآخرين بهذا الوجود ، فالفرد بحاجة للإعتراف به وهذه الحاجة تستلزم أهمية خاصة من الأسرة كما تستلزم التركيز

والعمل على إحراز مكانة ما أو تقدير ينطلق من الأسرة الى المجتمع ككل . والفرد الذي لا يستطيع تأكيد ذاته لا عبر أسرته ولا أصدقائه ولا كل محيطه قد يتوجه إلى الانضمام الى جماعة مضادة لقيمه ومبادئه تظهر تقديرا" له وتشبع هذه الحاجة لديه لكن بشكل غير سوى ومشوه.

ج- الحاجة الى اللعب

ركز العديد من الباحثين على أهمية اللعب لما له من وظيفة حيوية في إعداد الأطفال واشباعهم قبل دخولهم عالم الكبار هذا يرى عدد آخر من المفكرين أن اللعب ليس حاجة فقط بقدر ما هو سلوك واسلوب للتعليم والتشخيص والعلاج يخفف من القلق ويتيح الفرصة للتدريب وأيضا" للتهذيب وللتنفيس عن الطاقة الزائدة عن الطفل ويراه البعض الآخر أنه وسيلةلتجديد النشاط والتسلية والترفيه .

هذا المفهوم العام للعب إلا أن التعمق في هذا المفهوم يشير إلى أن لكل مرحلة من عمر الطفل لها خصوصيتها الجسدية والفكرية والنفسية وحسب ما يروي أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب"(رضي) في مجال العلاقات والمراحل العمرية مايلي "لاعبة سبعا" وأدبه سبعا" وصاحبه سبعا" واترك حبله على الغارب" ، والحديث واضح بتقسيماته العمرية وبإعطاء كل عمر ما يستحقه مع بناء سليم ومراعاة كل مرحلة بما يتلائم معها.

ح- الحاجة إلى الإستطلاع

إن هذا الدافع من أهم الدوافع التي أدت إلى نمو و إطراد العلم والمعرفة ويشمل هذا الدافع على عدة مستويات حسية ، حركية ، معرفية ، إنفعالية ، وهذه الحاجة ايضا" تنمى من خلال وعي الأسرة وتشجيعها لطفلها ودعم ثقته بنفسه وأيضا" بالآخرين لذا يلاحظ ان النمو الاجتماعي للطفل يتأثر بالعديد من العوامل التي أثيرت حولها مناقشات عدة فهناك من يرى ان

الوراثة هي المسؤولة عن خصائص الإنسان وتزعم هذا الاتجاه مكدوجال Mc Dougall (1960) لأنه يولد فردا" مزودا" بعدد من الغرائز الفسيولوجية المتوارثة.

أما البعض الآخر فيرى أن البيئة وحدها هي المسؤولة عما يتصف به الإنسان من خصائص واكدوا أن السلوك الفردي حتى ولو كان مرضيا" فإنه نتاج لما تعلمه أثناء تفاعله مع الآخرين وتزعم هذا الاتجاه واطسون Watson (1951) حيث رأى أنه بالإمكان تشكيل شخصية الطفل كما يريد مربوه فقد يجعلون منه عالما" أو متشردا" وفقا" لما يتعلمه ويتدرب عليه.

والواقع الملموس يجمع بين الرأيين فشخصية الانسان تتشكل وفق مؤثرات متفاعلة من عوامل وراثية وعوامل بيئية إذ لا نستطيع إهمال أي منهما والثقل الأكبر في السنوات الأولى يقع على الأسرة وصدق الرسول (ص) حين يقول " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الأب راع ومسؤول عن رعيته والأم راعية ومسؤولة عن رعيتها" .

وتجدر الإشارة إلى أن الفصل الدقيق بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية شبه مستحيل إلا من الناحية النظرية فالأنماط السلوكية التفاعلية تتحدد بشكل أو بآخر من العلاقات الأولية ويزداد وعيه ونموه بزيادة تفاعله مع المحيطين به[8] ومن أهم المحيطين به هوالأم ومن المعلوم أن حرمان الطفل من هذه العلاقة سيؤثر على نموه الجسدي والانفعالي والاجتماعي.[9]

6- نماذج واساليب تربوية

بناء" على ما تقدم نستطيع القول أن الطفل هو ذلك الوعاء الذي تصب فيه ا الأسرة قيمها ومبادئها وثقافتها... وكلما كان المحتوى جيدا" والتفاعل معه جيدا" كلما كانت الشخصية بناءة قوية وكلما كانت ضعيفة كلما كان التفاعل ضعيفاً. وبما أن هناك أساليب متنوعة لذا سيكون لدينا شخصيات متنوعة منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي تبعا" لتوجهات كل أسرة ولأساليبها التي أجمع علماء التربية على العديد منها ومن تلك الأساليب مثلا".

التربية من خلال العمل والتقليد والمحاكاة، التعزيز ، الوعظ والارشاد، القدوة ، المحاكاة العقلية ، الاستجواب ، الترغيب والترهيب ، رواية القصص وضرب الأمثال ، أسلوب العبر التاريخية...

هذه النماذج والطرق هي التي تبني في الطفل قيمة ومبادئه ولكل منها إنعكاس ودور فالتربية ليست أمورا" نظرية هي تطبيق ومراعاة ودراسة للحاجات وكيفية تلبيتها هي عمل قائم على المبادئ السليمة واول هذه المبادئ تعزيز ثقة الولد بنفسه وبمن حوله فالإطمئنان كما ذكرنا من أهم دوافعالنجاح مع رفع مداركه وقدراته كي يستطيع التمييز بين الصواب والخطأ القائم على إعتماد الوعظ والارشاد والترغيب والترهيب المعتمد على الأسلوب القصصي وضرب الأمثال الملائمة للموقف الذي يتعرض له الطفل ولعمره ولمدراكه.

فالولد في سنواته الأولى يحتاج للعب وسبق وذكرنا أهمية اللعب عند الأطفال وما يبنيه في نفوسهم من راحة وعاطفة وخيال وعندما يصبح الطفل قادر على تمييز الأمور يصبح ملزماً تأديبه وتوجيهه وذلك بشدة من غير عنف ولين من غير ضعف كما ورد عل الامام علي(رضي) فالقسوة ليست هدفا" ولا الدلال هدفا" الهدف الحقيقي هو تلمس شخصية قوية وسليمة.

ومع مرور الزمن وعندما يصبح الطفل شابا" مسؤولا" يطلب من الأهل مصاحبة الأبناء إشعارا" منهم بأهميتهم وبأن عم الطفولة قد مر وأصبح اليوم صديقا" ورفيقا" لوالديه يشكو همه لهم ويفتح قلبه لهم.

وبناء الشخصية ينطلق من تلك المبادئ الثلاث التي ذكرناها ويصبح بالإمكان تركه في عمر ملائم لإستقلاليته ولإعتماده على نفسه، هذا ما يجب فعله في كل أسرة.

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال أين هي أسرنا من كل ذلك اليوم؟؟

وأين نحن من التفهم والوعي التربوي وسط هذا الخضم الواسع من بحر العمولة والقولبة؟؟

إن الإختلاف المعيشي والتغيير المجتمعي ترك الكثير من البصمات على الأسرة وللتعرف أكثر سنتوقف مع بعض الصور الحياتية للأسرة اليوم.

7-صور أسرية بين الأمس واليوم

يجمع الكثير من علماء التربية وعلماء الاجتماع على أن الطفل لا يولد شخصا" بل يولد فردا" ولا يتهيأ له هذا الانتقال إلا نتيجة التأثيرات الثقافية من لغة وأفكارا" وأهدافا" وقيما"....

وذلك يأتي بعد تلبية حاجاته البيولوجية كطفل أي الحاجات التي وضعها بلوم في قاعدة هرمه هرم الاحتياجات وبما أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل هي السنوات الأكثر حسما" وخصوبة حسب رؤية الكثيرين من علماء التربية لذا واجب النظر إليها بتمعن ووجب أيضا" مراجعة الدور الذي تقوم به الأسر في هذه المرحلة العمرية.

فمع اتساع الهوة بين الأجيال ومع التدهور الاقتصادي القائم والتسارع التكنولوجي الذي شمل أغلب المجتمعات عليها نلاحظ أن الوجود الأسري لم يعد بذات الأهمية التي كان عليها سابقا" إذ احتلت وسائل التواصل الحديثة في جزء منها مكان الأسرة فهذه الوسائل فتحت وسهلت التواصل مع الأكثر بعدا" وأبعدت من هم أكثر قربا". فالجلسات العائلية والتقارب الروحي والمفاهيمي الذي كان سائدا" في أغلب الأسر لم نعد نراه اليوم إلا نادرا" فمثلا" الاحترام كان مفهوما" موحدا" بين الأجيال أما اليوم فقد أصبح له عدة أوجه لا يتفق عليها الحفيد مع الإبن مع الأب وتجدر الاشارة إلى أن الانفتاح الشديد الغير مدروس فتح المجال للتاثير بما يثبته الاعلام أكثر مما يتاثر باسرته.

هذا وفي حال نظرنا من ناحية اخرى نرى أن أجهزة التواصل الحديثة أثرت بالأبناء أكثر من تاثير الأهل عليهم وبالأهل أكثرمن اهمالهم بأبنائهم.قد سلب الجهازالخليوي اهتمام الأم بولدها فيصبح إهتمامها بالجهاز وباستخدامه يغلب على اهتمامها بأهل منزلها. وهذا يولد اهتمام الولد بما تهتم به أمه ويتولد لديه تعلق بالهاتف الخليوي يعادل أو يسبق إهتمامه بوالدته وتعلقه بها

في بعض الأحيان تعلقا" خاليا" من أي عاطفة حقيقية مع بعد عن الواقع بشكل لا يبني بداخل الولد أي مشاعر تقربه من أسرته كما كان سابقا" كانت العائلة تتوحد بالعمل ، فالولد لا يشعر بالبعدعن أسرته ولا من ناحية أمه ولا من ناحية أبيه لا بحجة العمل ولا بحجة الدراسة والمدرسة إضافة إلى ذلك يلاحظ أن الطفل في هذه البيئة يتعود على الاعتماد على نفسه مبكرا" ويعي ذاته بعيدا" عن الاملاءات الخارجية بل يعي ذاته انطلاقا" من ذاته ومن المحيط الطبيعي الذي يساعده أيضا" على ادراك التراتبية الأسرية وفهم معنى الاحترام الذي نفقد جزء" كبيرا" منهم اليوم بسبب هجمة الأفكار الغربية والغريبة عنا . فالثقافة لها علاقة بالنمو الاجتماعي للطفل حيث يمكننا القول أن الطفل مادام يحيا في بيئته إجتماعية قوامها الوحدات الاجتماعية الأولية المتمثلة بالأسرة والجيران وجماعات اللعب..وغيرها من تنظيمات المجتمع ، فإن الطفل عندها يكتسب من هذه الوحدات عادتها وقيمتها ومعاييرها وأفكارها مما يجعل منه كانت اجتماعي متوازن مع بيئته في نموه العاطفي ، الانفعالي ، الاجتماعي .

والى جانب هذا النمط المعيشي المتشابه والمتقارب في بيئته الثقافية والفكرية لا بد من اضاءة بسيطة على امر كان يعد من الأمور البناءة لعلاقات سليمة وصحية ألا وهي مجالسة الأطفال ورواية القصص المعبرة حيث تقودنا تلك القصص الى انارة العواطف والانفعالات لدى الطفل اضافة الى اثارتها للعمليات العقلية والمعرفية كالإدراك والتخيل فالقصص هي أوعية لنشر الثقافة فالعديد منها يحمل في طياته افكاراً ومعلومات علمية وتاريخية وجغرافية وفنية وأدبية ونفسية واجتماعية...

واليوم تغيرت هذه الصورة فكم من الأهل يا ترى يهتم بمجالسة أطفاله وبالتقرب منهم؟ كم من الأهل يروي على أبنائه القصص الشعبية والتاريخية والأدبية؟ من يهتم اليوم بحمل الأطفال من واقعهم والتحليق بهم بلطف الى عالم يتخطى أبعاد الزمان والمكان وينتج متنفساً لهم ولمشاعرهم؟

يظهر هذا البعد من الأبناء والآباء والأمهات اليوم عند أكثر العائلات مما يعكس الكثير من المساوئ التربوية فإهمال الحكايات والقصص وإهمال مجالسة الأطفال وتغذيتهم باليتم والأخلاق في هذا العصر يؤثر بشكل او بآخر على اضعاف الروابط والتقارب بين الجيلين ومما لا شك فيه أن الحاجة لبناء اليتم والمعايير الأخلاقية هي الأساس ببناء المجتمع ورقيه.

إذاً وبعد عرض هذه الصور المتعاقبة من اتساع الهوة بين الجيال وضعف متابعة الأهل والأولاد والتي ولدت استيعاباً للمفاهيم بأوجه مختلفة بين جيل وآخر كمفاهيم الاحترام، الحرية والمساواة...

هذا ونيتطيع القول أن أهمية الزواية والقصة في بناء الشخصية وتماسك الأسر أمر لا يستهان به من الناحية القيمية والثقافية والفكرية وبناءً على الواقع المعاش اليوم نجد أن الأسرة اليوم فقدت الكثير من معناها الحقيقي فهي تبدو بغالبيتها كهيكل شبه فارغ من العمق المعنوي التربوي.

واعتماد على ما تقدم يستطيع تخليص معيقات التكام والاندماج الاسري فيما يلي:

- استخدام وسائل الاتصال بشكل غير منضبط
- ضعف متابعة الطفل واعطائه حقه من الاهتمام والرعاية العاطفية
- عدم الاهتمام والمتابعة الجدية الأسرية
- إهمال الجلسات الودية الأسرية والتي كانت للقصة دور محوري فيها

8-نحو تنشئة أسرية صحيحة

اعتمادا" على ما تقدم نستطيع القول ان أغلب كل الأسراليوم تتعرض للعديد من المشاكل بعضها بسيط وبعضها معقد إلا أن أهمية وجود الأسرة وضرورتها يخفف من حدة هذه المشاكل فهي المؤسسة الأولى التي تقوم بصقل شخصية الفرد والمساهمة في ترقية المجتمع وتطويره فهي المؤسسة التي لا يمكن الاستغناء عنها مهما عصفت بها وبنا الأحداث فضعف الأسرة

يعني ضعف الفرد ومن ثم ضعف المجتمع وما المعاناة المجتمعية التي نراها اليوم من انحطاط فكري وانساني في العلاقات الانسانية وغياب التكامل الاجتماعي الا نتيجة لضعف الدور الأسري التربوي .

ومن أجل سلامة المجتمع وترابطه لا بد من عرض لبعض العوامل المساعدة على نجاح وتماسك الأسرة :

- التواصل الايجابي : يتولد من هذا التواصل الاحساس بالاشباع والرضا حيث يلعب التواصل دورا" مهما" في تسيير العلاقات بين أفراد المجتمع .
- التوافق الروحي : الى جانب الترابط المادي لا بد من الاهتمام بالجانب الروحي المعنوي وخير من يقوم بذلك الأسرة فبفضل هذا التوافق تزداد لديهم القدرة على حل المشاكل بطريقة فعالة .
- الإلتزام : ويقصد به معرفة كل فرد من أفراد الأسرة بحقوقه وواجباته على أن تكون الأسرة في الاعتبار الأول للفرد مع احترام حريته الشخصية .
- رفع المعنويات ومواجهة الضغوط النفسية : ويقصد بذلك التشجيع والبناء والقدرة لمواجهة الصعوبات النفسية والاجتماعية.
- التقدير والمحبة : وهو الذي يخفف من روتين الحياة ويخلق جوا" من التعاطف من خلال اعتماد إستراتيجيات عدة من اهمها ذكر المحاسن والتركيز عليها وذلك قبل توجيه النقد على امر ما معوتفعيل مفهومي الثواب والعقاب.
- قضاء الوقت سويا" : وذلك يعتمد كما ذكرنا من خلل تناول الوجبات وقضاء العطلات وغيرها من المواقف التي تدعم أوامر المحبة بين افرادها فالأسرة السعيدة هي تلك الأسرة التي تسودها علاقات مستمرة تقوي الشعور بالإنتماء والتضامن والترابط الذي يعكس صورة ذلك كله داخل المجتمع وما أحوج مجتمعنا الى هذه الصورة.

المراجع

1-معجم الجامع (معجم عربي عربي)

2- B.C.Rollias and D.L Thomas A Theory of parental power and child compliance in crowm well and of sn power in families sage publications 1985.

3- Francis , J.Brown , Educationad Sociology 1995 .p.212

4- Abarn .w.Decline of the American Family , in E.G. payne Readings in educationad sociology 1932 p.252

5- Beker and Hill, R, Familly Marriage and parent hood 1984 p.47

6- Murray ,A,Straws wife Beating How common and why? Victim Logy vol 2N 3 1977 p.443

7- Julian Joseph social problem 3rd Edition Priencie-hall New Jersy 1980, pp 400-404

8-حضير مسعود الحضير المرشد التربوي لمعلمات رياض الأطفال مكتب التربية العربي القاهرة 1996

9- سيد عثمان علم النفس الاجتماعي التربوي مكتبة الخانجي القاهرة 1986

مواقع الكترونية

W htps/at ar.m.wikipedia.wiki

علم التربية – ويكيبيديا

الموضوع	الصفحة
إفتتاحية العدد: المعرفة والعطاء : د. كاظم نورالدين	5
المتعلمون ذوي الصعوبات التعليمية في زمن التعليم من بعد: د. ريما يونس	11
دموع حفيدي تحبّر أوجاع الوطن: د. علي حجازي	15
العلم والتجربة الشخصية: الحاج حسيب عواضة	20
تصويبات لغوية الجزء الثالث : د. عباس فتوني	27
تطور الفلسفة: د. محمد مروة	35
" عروس الفرات"الخطاب الروائي يحتفي بإشهار القهر تشكيلاً ودلالة: د. رفاه دياب	37
الاشغال اليدوية وآثارها الاقتصادية والاجتماعية: الأستاذة نغم عواضة	58
حول أميّة النبيي صلى الله عليه وسلّم: د. دلال عباس	65
خواطر من الماضي الجميل: الأستاذ رشيد سكافي	86
من هو الشيخ ناصيف النصّار: د. محمد كوراني	91
فاطمة(ع) لؤلؤة الانسانية: الأستاذة لطيفة الحاج قديح	97
التربية على السلامة المرورية: الأستاذة ابتهاج صالح	116
الشاعر والقاضي: الأستاذ علي محمد خليل	130
"شملة" خواطر: د. محمد فران	132
العرب كيف تزوجوا وكيف يتزوجون: د. علي مشلب	136
علم اجتماع المعرفة بين ابن خلدون وماركس: د. ناهض قديح	145
التمييز بين الجنسين في سوق العمل / دراسة سوسيولوجية للفرص والعقبات: د. نادين نور الدين	154
أمثال شعبية الجزء الأول: د. روني خليل	188
الحرف اللبنانية بين التعثر والإنقراض: الأستاذة هدى عباس	192

الأديب اللبناني جبران خليل جبران: الأستاذ محمد قديح	205
حالة لا تطاق: د. محمد علي الشامي	226
إعاقة فكرية: الاستاذة لين هاجر الأشعل	229
أي مستقبل ينتظر السودان في عشريته القادمة؟: د.محمد حسيب الرسول	231
قراءة في كتاب " المسافر و الكوتا": د. يحيى شامي	250
وقْعُ خُطا الحُلُم: د. مريم رضا	253
المدينة الدولة والمعجزة الحضارية الفينيقية.. د. محمد مراد	255
مختارات لغوية من أسماء وصفات "الأصوات "ودلالتها: الأستاذ علي توبة	260
من دروس الحياة: الأستاذ ماهر الحاج علي	265
أخلاقيات التواصل: د. دانية الزين	267
هل من يعتبر؟ الأستاذ ابراهيم فقيه	280
Pomegranates: the beauty of opposition : الأستاذة فاطمة بشر	284
الشاعر العاملي اللبناني العربي العاملي المفكّر الدكتور محمد علي شمس الدين: الدكتور الصيدلي عباس وهبي	291
المحبة الأخوية: الجاج حعفر سبيتي	328
دور الأسرة في تحقيق التماسك المجتمعي: د. عُلى المحمد	329
خلفية العدد: الطاقة الفكرية والعلم الموثّق: الأستاذة غدير حوماني	348

الأستاذة غدير حوماني (خلفية العلاف)

الطاقة الفكرية والعلم الموثّق

يمتلك الإنسان القدرة على الإدراك والتفكير، ولديه الإمكانية على الوعي، وكذلك القدرة على التغيير، لهذا يمكننا القول بأن لديه القدرة على وضع الأهداف والتخطيط والحلم والتقييم...

إنطلاقاً مما تقدّم، كل انسان مثقف قادر على التحليل، وينطلق في تدوين المعلومات والمعطيات وصولاً الى النتائج والنظريات...فيتمكّن من خلال المقارنة بين المحتوى الموجود في دهاليز العلم (المراجع: من كتب ومؤلفات في كل الميادين، ومن ضمنها المجلات العلمية والأدبية والفنية والاجتماعية ...)، و المعلومات الموجودة في مخازن الذاكرة ، بعد تدخل العقل(الفكر)، من مساندة الأفكار إيجاباً أو سلباً. فيتخذ القرار في إنجاز موضوع علمي أدبي فني اجتماعي سياسي...

وهذا حال باحثينا ومفكرينا وأدبائنا الذين بحثوا وكتبوا في موضوعات مختلفة هادفين الى نقل المعارف الى أجيال المستقبل.

وجاءت مجلة " معرفة وعطاء" الألكترونية، نصف السنوية، التي تصدرها هيئة تكريم العطاء المميز لتوثّق هذه الكتابات... في أعدادها المتتالية، أملاً أن تستمر هذه الحسنة العلمية الجارية.